الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقُشَيْرِيُّ

حياتُهُ وشِعْرُهُ

جَمَعَهُ وَحَقَّقَهُ وَشَرَحَهُ وَصَنَعَ فَهارِسَه

د . خالد عبد الرّؤوف الجبر

أستاذ النّقد والبَلاغة المُساعِد

بجامعة البَترا الأردُنيَّة

الصِّمَّةُ بنُ عَبدِ اللهِ القُشَيرِيُّ

حياتُهُ وشِعْرُه

جامعة البترا

ص.ب هاتف ٥٧١٥٥٤٦ - ٥٧١٥٥٤٩ فاكس ٥٧١٥٥٧٠

عمان- الأردن

رقم الإيداع لدى دائـــرة المكتبات والوثائق الوطنية	٢٠٠٣/٢/٣١٧

٩٢٨,١ جبر	الجبر، خالد عبد الرؤوف الصمة بن عبدالله القشيري: حياته وشعره/ خالد عبد الرؤوف الجبر عمان-دار المناهج، ٢٠٠٣ ر. إ.: ٢٠٠٣/٢/٣١٧ الواصفات: التراجم//الأدب العربي//الشعراء العرب/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعـات والنشر	٢٠٠٣/٢/٣٨٩

الصف والطباعة

دار المناهج للنشر والتوزيع

تلفاكس ٤٦٥٠٦٢٤ (٠٠٩٦٢٦) ص.ب ٢١٥٣٠٨

عمان ١١١٢٢ الأردن

إِلى عالِمٍ تَجَسَّدَ فيهِ الْعِلْمُ مَعْرِفَةً وَمَنْهَجًا وَذَوْقًا، وَناقِدٍ لَمَّا يَزَلْ يُلَوِّنُ القَديمَ بِظِلالِ الْحَديثِ، ولا يَجِدُ غَضاضَةً في تَنْحِيَةِ الْحَديثِ المارِقِ عَنِ سَمْتِ الأدبِ الرَّفيع، والنَّقْدِ الْواعِي الْمُبين عَنْ ذائِقَةٍ فائِقَة .

إلى أستاذِنا وَحَبيبنـا

الدُّكتور محمود السَّمرة

وَصَلْنا بالصِّحَّةِ، فَنافَسْناهُ عِشْقَ رَيّا، وضاعَتْ لَغْتُنا بِعَبَقِ الْمَكانِ

خالـد

المحتويات

تقديم

لعلّ البَحثَ في حَياةِ شاعرٍ مِن شُعَراء العربِ القدامى ضَرْبٌ من الْخَوْضِ في غِمار الْمَجْهولِ أحيانًا؛ ذلكَ لأنَّ الْمَصادرَ الأدبيَّةَ والتّاريخيَّةَ إنَّما عُنِيَتْ بِمشاهيرِ الشُّعَراءِ؛ لا سيَّما أولئكَ الذينَ مَكَّنَتْ لَهُم السِّياسَةُ مَواطِئَ أقدامِهم، وأضْفَى عليهم الاتِّصالُ بأهْلِ الْحَلِّ والعَقْدِ هالَةً اشتُهِروا بِها في النّاسِ، ولَوَتْ أعْناقَ النُّقّادِ فَيَمَّموا شَطْرَ أشْعارهم .

والصِّمَّةُ القُشَيريُّ شاعِرٌ ذاعَ صِيتُهُ، وطبَّقَتْ أخبارُهُ الآفاقَ؛ لا لِما تقدَّمَ من أسباب، ولكنْ بالنَّظَرِ إلى جَماليّاتِ شِعْرِه، وبِما فيهِ من عُمْقِ إحساسٍ وصِدْقِ عاطِفَة، وبِحَنينِه الدّائبِ إلى مَوْطِنِه وَدِياره. شاعِرٌ عاشِقٌ حالَتْ صُروفُ الدَّهْرِ دونَ هَواهُ، وذاقَ مَرارَةَ ظُلْمِ ذَوي القُرْبى حتّى ترَحَّلَ عَنْ دِياره بَعْدَ إذْ زُوِّجَتْ حبيبَتُه (رَيّا) مِنْ رَجُلٍ غَنِيّ، فَنَأى بنفْسِهِ عَنْ دِيار ظالِميهِ - أبيهِ وعَمِّهِ. ارْتَحَلَ غازِيًا عسَى أنْ يَجِدَ في الغَزْوِ سَلْواهُ عَنْ حبيبَتِه، لكنَّ البُعْدَ لَمْ يَكُنْ شافيًا، فَكانَ حَنينُهُ في أجْمَلِ ما قالَتِ العَرَبُ في حَنينِها إلى أوْطانِها؛ حتّى قِيلَ إنَّ أجْمَل أبياتٍ قالَتْها العربُ في الجاهليّةِ والإسلامِ هيَ تلكَ التي جاءَتْ في عينيَّتِه الْمَشْهُورة (حَنَنْتَ إلى رَيّا). وليسَ غريبًا أنْ يَجْعَلَها أبو تَمّامٍ فاتِحَةَ بابِ النَّسيبِ من حَماسَتِه .

وقَدْ راعَتْنِي عينيَّةُ الصِّمَّةِ حينَ درَسْناها على أستاذِنا الدُّكتور مَحمود السَّمْرَةِ في السَّنةِ التّمهيديّة للدّكتوراة، فَجَنَحْتُ إلى مُلاحَقَةِ أخبار الصِّمَّةِ في المصادر، وطَفِقْتُ أجْمَعُ ما تَقَعُ عينايَ عليهِ في كُتُبِ التّراجِمِ، حتّى توفَّرْتُ على حشْدٍ من أخبارِهِ وشِعْرِه. ووقَفْتُ يومذاكَ عَلى تَضارُبٍ شديدٍ في تلكَ الأخبار والأشْعار؛ تَضارُبٍ يَطولُ نسْبَةَ شِعْرِه إليْهِ وإلى غَيْرِه من شُعَراءِ عَصْرِه، ويُظلِّلُ حياتَهُ بِظلالٍ مِنَ الغُموضِ

والتّناقُضِ، ولعلَّ هذا التّضارُبَ كانَ حافِزًا مُلِحًّا لِكَي أتابِعَ ما بَدأتُ، فَكَثْرَةُ الرِّواياتِ واختِلافُها الظّاهرُ أمْرٌ يستَحِقُّ التّحقيقَ والتّدقيقَ .

ومِمّا يُشارُ إليهِ في هذا الْمَقامِ أنَّ شِعْرَ الصِّمَّةِ كانَ مَحَطَّ اهتِمامِ رُواةِ الشِّعرِ القدامى، ومَثارَ عِنايَةِ النُّقّادِ، والْجَغرافيِّينَ، واللغويّينَ، وأهلِ القَصَصِ وأخبار؛ حتّى صَنَعَ لَهُ كلٌّ من الْمُفضَّلِ وابْنِ حبيبٍ ديواناً، ووضَعَ عيسى ابْنُ دَأبٍ كِتاباً تحدّث فيهِ عن أخباره وقِصَّةِ حُبِّه لابْنَةِ عمِّهِ (ريّا)، لكنَّ هذه الكتبَ لَمْ تَصِلْنا فيما وصَلَنا من تُراثِنا الأدبيِّ. ثُمَّ وَجَدْتُ الشَّيْخَ حَمَد الجاسِر قَدْ عَمِلَ عَلى جَمْعِ شِعْرِ الصِّمَّةِ ونَشْرِه مع طَرفٍ من أخباره وأخبار قبيلَتِه في مجلَّةِ العربِ عامَ ١٩٦٧، وقد اشتَمَل ما جَمَعه على مائتينِ وواحِدٍ وأربَعينَ بيتًا؛ اعتَمَد في جُلِّها على ما رَواهُ الْهَجَريُّ في (التّعليقات والنّوادر). كَما عَمِلَ عبد العزيز الفيصَل على نشْرِ هذا الذي جَمَعه الشّيخُ الجاسِرُ - مُضيفًا إليهِ تسعَةً وعِشرينَ بيتًا - في كِتابٍ عامَ ١٩٨١، وجَعَلَهُ دِيوانَ الصِّمَّةِ .

وحينَ نَظَرْتُ في ما توفَّرْتُ عليهِ من شِعْرِ الصِّمَّةِ وجَدْتُه يَقَعُ في ثلاثِمائةٍ وأرْبَعَةٍ وثَلاثينَ بيتًا؛ بِزيادَةِ ثلاثةٍ وتِسْعينَ بيتًا عنِ الذي جَمَعَهُ الشّيخُ الجاسِرُ، وأرْبَعَةٍ وسِتّينَ بيتًا عنِ الذي نشَرهُ عبد العزيز الفيصَل، وهي زيادَةٌ تستَحِقُّ النَّظَرَ، وتُضيفُ كَثيرًا إلى شِعْرِ الصِّمَّةِ الذي وُصِفَ بأنَّهُ شاعِرٌ مُقِلٌّ .

وَقَدْ عَمدْتُ إلى أخبار الصِّمَّةِ، وروايَةِ شِعْرِه، وأخبار قبيلَتِه قُشَيْر، ودِيارِها، وشُعَرائِها، والتفَتُّ إلى الرِّواياتِ التي وَصَفَتْهُ بأنّه كانَ أعْوَرَ، فحَقَّقْتُ هذا كُلَّه، وجَعَلْتُه في القسْمِ الأوّلِ، ثُمَّ جَعَلْتُ شِعْرَهُ في القسْمِ الثّاني. وإذا كانَ من واجِبِ الباحِثِ أنْ يُذَكِّرَ بفَضْلِ من سَبَقَه من الباحِثينَ في مَجالِ بَحْثِهِ؛ فإنّي أجِدُني مُلْزَمًا بالإشادَةِ بِصَنيعِ الشّيخ حَمَد الجاسِر الذي كانَ أوّل من تنبّه ونبَّه إلى شِعْرِ الصِّمَّةِ، أمّا الفيصَل فلا أتَوَرَّعُ عنْ تَرديدِ ما قالَهُ الجاسِرُ في شَأْنِه؛ حينَ وصَفَه بأنّه سَطا عَلى ما فعلَهُ ثُمَّ ادَّعاهُ لِنَفسِه ونَشَرَه باسْمِه.

وأشيرُ إلى أنّي وثّقتُ شِعْرَ الصِّمَّةِ من الْمَصادِرِ التي ذكَرتْ شيئًا منه، وضَرَبْتُ الرِّواياتِ بَعْضَها ببعْضٍ، حتّى تخلَّصَ لِي منه ما أطمَئِنُّ إليْهِ فأثبتُّه، وحقَّقْتُ نسْبَةَ ما رُوِيَ لَهُ ونُسِبَ لِغَيْرِه من الشُّعَراء؛ ولاحقْتُ الأماكِنَ التي يذْكُرُها في شِعْرِه فعرَّفْتُ بها من مصادِرِ البُلْدانيّاتِ، وصحَّحْتُ ما وقعَ فيهِ الشّيخُ الجاسِرُ من أخطاءٍ في تلكَ الأماكِنِ، ثُمَّ عَمِلْتُ عَلى شَرْحِ ما يقْتَضِي الشَّرْحَ من شِعْرِ الصِّمَّةِ .

ولا بُدَّ لي أنْ أزْجِيَ عَمِيمَ الشُّكْرِ لأستاذِنا الدُّكتور مَحمود السَّمْرَة على تشجيعِهِ الدَّؤوبِ، ومُلاحَظاتِهِ الثَّمينَةِ، في ما يتّصِلُ بهذه الدِّراسة، وإذا كُنْتُ أهْدِي عَمَلي هذا إلى أستاذِنا وَحبيبنا محمود السَّمرَة؛ فإنَّ هذا جهْدُ الْمُقِلِّ، وعُذْري أنَّ الهَدِيَّةَ عَلى قَدْرِ مُهْدِيها، وهي أقَلُّ مِنْ قَدْرِه. كَما أشكُرُ لأستاذي الدكتور ناصر الدّين الأسد توجيهاتِه القَيِّمة، والأستاذ الدُّكتور عفيف عبد الرَّحمن الذي ما بَخِلَ عليَّ بِما حَوَتْهُ مكتَبَتُه العامِرَةُ من مصادِرَ ومراجِع، وأثَمِّنُ لِزَميليَّ: الدّكتور وليد العَناتي، والدّكتورة رَزان محمود إبراهيم مُراجَعَةَ هذا العَمَلِ وتدقيقَهُ، شاكِرًا كُلَّ الشُّكْرِ لِمَنْ واقفَنِي فِكْرَةً، وهَدانِي إلى زَلَّة .

وبَعْدُ، فَهذه دِراسَةٌ وقَفَتْ عِنْدَ حُدودِ حَياةِ الصِّمَّةِ بْنِ عبدِ اللهِ القُشَيْرِيِّ، وأخبار قبيلَتِه، وجَمْعِ شِعْرِهِ وتوثيقِهِ وشَرْحِه، وأرجو أنْ يُعِينَني اللهُ عَلى دَرْسِ شِعْرِ الصِّمَّةِ موضوعيًا وفنِّيًا في قابِلِ الأيّامِ؛ إنَّه نِعْمَ الْمَوْلى ونِعْمَ النّصير .

خالد عبد الرّؤوف الجبر

عمّان ٢٠٠٢/١١/٢٥

القِسْمُ الأوّل

١. قبيلَةُ قُشَيــــــر

٢. دِيارُ القُشَيريِّين

٣. شُعَراءُ قُشَيــــر

٤. الصِّمَّةُ بْنُ عبْدِ اللهِ القُشَيْرِيُّ :

- اسْمُهُ ونَسَبُــه
- حَياتُهُ وعِشْقُهُ ريّا
- وَفاتُــــه

٥. هَلْ كانَ الصِّمَّةُ أعْوَرَ ؟

٦. ديوانُ الصِّمَّةِ القُشَيْرِيّ

١ . قبيلة قشير

يَرجِعُ القُشيْرِيّونَ في أصولِهم إلى قبيلَةِ كَعْبِ بْنِ رَبيعَةَ بْنِ عامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَهُم مِنْ وَلَد قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ، وَهُمْ وَأَبْناءُ عُمومَتِهم من قبائِلِ: مُعَاوِيَـةَ (الْحَرِيشِ)، وَجَعْـدَةَ (رَهْطِ النّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ)، وَعُقَيْلٍ، وعَبْدِ اللهِ، وَحَبيبٍ، جَميعًا وَلَدُ كَعْبِ بْنِ رَبيعَةَ .

وقدْ فصَّلَ ابْنُ حَزْمٍ الْقَوْلَ في وَلَدِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ وَأحْفادِهِ فقالَ [١]: " وَلَدُ قُشَيْرِ ابْنِ كَعْبٍ: رَبيعَةُ وَمُعاوِيَةُ وَسَلَمَةُ الْخَيْرِ؛ أُمُّهُم الْخَنساءُ بِنتُ عَليِّ بْنِ تَغْلَبَةَ بْـنِ بَجِيلَـةَ. وَسَلَمَةُ الشَّرِّ والأَعْوَرُ وَقُرْطٌ وَمُرَّةُ. ومنهُم مالكٌ ذو الرُّقَيْبَةِ ابنُ سَلَمَةِ الْخَـيْرِ بْـنِ قُشَيْر الذي أسَرَ حاجِبَ بْنَ زُرارَةَ يَوْمَ جَبَلَةَ [٢]. وَبَيْحَرَةُ بْنُ فِراسٍ [٣] بْنِ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ سَـلَمَةِ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرٍ؛ يُقالُ إِنَّهُ نَخسَ ناقَةَ النّبيِّ - ﷺ - فَلَعَنَـهُ. وَهُبَـيْرَةُ بْـنُ عـامِرِ بْـنِ سَـلَمَةِ الْخَيْرِ؛ أسَرَ الْمُتَجَرِّدَةَ امْرَأةَ النُّعْمانِ [٤]، فَلَمّا عَرَفَها أطْلَقَها. وابْنُهُ قُـرَّةُ بْـنُ هُبَـيْرَةَ؛ وفَـدَ عَلى رسول اللهِ -ﷺ- فَوَلّاهُ صَدَقاتِ قَوْمِهِ [٥] .

---

(١) ابن حَزْم الأندلسيّ الظّـاهريّ، جَمـهَرةُ أنسـاب العربِ، تحقيـق وتعليـق عبـد السّلام هـارون، (القـاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)، ص ص ٢٨٩-٢٩٠

(٢) أي جَبَلة بْن الأيْهَم أحَد مُلوكِ الْغَساسِنَة، وذِكْرُ مِثْلِ هذه الوقائع دالٌّ عَلى الْحُروبِ التي شارَكَ فيها القُشَيْرِيُّونَ قَبْلَ الإسلامِ

(٣) ذكَرَه ابنُ هِشامٍ في السّيرة النّبويّة، ص ٢٨٣

(٤) هي صاحِبَةُ النَّصيفِ التي قالَ فيها نابِغَةُ بَني ذُبْيانَ:

سَقَـطَ النَّصيفُ وَلَمْ تُرِدْ إسْقاطَـهُ ... فَتَنـاوَلَتْهُ واتَّقَـتْنا باليَـــدِ

(٥) وقالَ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ في ذلكَ شِعْرًا، قالَ:

حَباها رَسـولُ اللهِ إذْ نَزَلَتْ بِــهِ ... وَأمْكَنَها مِنْ نائِلٍ غَـيْرِ مُنْفَــدِ

فَأضْحَتْ بِرَوْضِ الْخَضْرِ وَهْيَ حَثيثَةٌ ... وَقَدْ أَنْجَحَتْ حاجاتُها مِنْ مُحَمَّدِ

عَلَيْها فَتًى لا يُـرْدِفُ الذَّمَّ رَحْلَــهُ ... تَرُوكٌ لأمْـرِ العاجِزِ الْمُتَــرَدِّدِ

انْظُر (الإصابة في تَمييز الصَّحابة، ٥ ص ٤٣٩).

وكانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ: حَبيبٌ، والطُّفَيْلُ؛ وَمِنْ وَلَدِهْ الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ ابْنِ هُبَيْرَةَ الْقُشَيْرِيُّ الشَّاعِرُ ...، ووَحْشِيُّ بْنُ الطُّفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ [1]، وَزُرارَةُ بْنُ عُقْبَةَ ابْنِ سَميرِ ابْنِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ؛ وَلِيَ خُراسَانَ وَوَلَدُهُ بِنَيْسابُور. وبَكْرُ بْنُ مُحمَّدِ بْنِ العَلاءِ ابْنِ يَحْيى بْنِ زيادِ بْنِ الْوَليدِ بْنِ الْجَهْمِ بْنِ مالِكِ بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ شَنُوءَةَ بْنِ سَلَمَةِ الْخَيرِ بْنِ قُشَيْرٍ؛ القاضِي الْمالِكِيُّ. وَحَيْدَةُ بْنُ مُعاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ بْنِ قُشَيْرٍ؛ لَهُ صُحْبَةٌ، وابْنُ ابْنِهِ بَهْزُ بْنُ حَكيمِ بْنِ مُعاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ؛ رُوِيَ عَنْهُ [2].

وَزِيادُ بْنُ عَبدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَبدِ اللهِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ زُفَرَ بْنِ عبدِ اللهِ بْنِ الأَعْوَرِ بْنِ قُشَيْرٍ؛ وَلاّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزيزِ - رَحِمَهُ اللهُ - خُراسانَ. وَجَيّاشُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الأَعْوَرِ ابْنِ قُشَيْرٍ؛ شَهِدَ يَوْمَ الْيَرْموكِ، فَيُقالُ: إِنَّهُ قَتَلَ بِيَدِهِ أَلْفَ نَصْرانِيٍّ، وَقُطِعَتْ يَدُهُ يومئذٍ.

والْفَقيهُ الإمامُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجّاجِ النَّيْسابُوريُّ [3]، وَكُلْثومُ بْنُ عِياضِ بْنِ وَحْوَحِ ابْنِ قَيْسِ بْنِ الأَعْوَرِ بْنِ قُشَيْرٍ، وابْنُ أخيهِ بَلْجُ بْنُ بِشْرِ بْنِ عِياضٍ؛ الذي وَلِيَ الأَنْدَلُسَ.

وَدارُ بَني قُشَيْرٍ بالأَنْدَلُسِ: جَيّانُ، وَمِنْهُم بِأَلْبِيرَةَ عَدَدٌ".

أمّا الْهَجَرِيُّ؛ وهو من أهْلِ القرْنِ الرّابِعِ؛ فقد أفاضَ في الكلامِ عَلى نَسَبِ قُشَير، وبيَّنَ أصول القبيلَةِ وَفُروعَها بِما لا يَجِدُهُ الباحِثُ عِنْدَ غَيْرِه مِمَّن تَحدَّثوا عَنْ نسبِهِم. فقد ذكَرَ أنّ بَني قُشَيْرٍ مِنْ هوازن، ثُمّ من عامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وما ذكَرَه هُنا يَتَّفِقُ وَما

(١) هُوَ أبو حَبْرَةَ بِنْتِ وَحشِيٍّ التي ذَكَرت الرِّواياتُ أنَّ الصِّمَّةَ تزوَّجَها قَبْلَ رَحيلِهِ عَنْ ديار قبيلَتِه إلى الشّامِ فَطَبَرِسْتانَ، وقالَ فيها:

كُلِي التَّمْرَ حَتَّى يُصْرَمَ النَّخْلُ، واضْفُرِي خِطامَكِ، لا تَدْرِينَ ما الْيَوْمُ مِنْ أَمْسِ

انظر قافية السّين من مَجموع شِعْرِه

(٢) أيْ أنَّهُ كانت لَهُ صُحْبَةٌ بِرسولِ اللهِ عليهِ السَّلامِ، فَسَمِعَ منه الحديثَ وحفِظَ عَنْهُ، فَكانَ مِنْ رُواتِه

(٣) هُوَ صاحِبُ الصَّحيحِ الْمَعروفِ بصَحيحِ مُسْلِم؛ فَهُوَ قُشَيْرِيٌّ نَسَبًا؛ نَيْسابُورِيٌّ وِلادَةً، وهو من وَلَدِ زُرارةَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ سَميرِ بْنِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ الذي تقدَّمَ ذِكْرُه

تقدَّمَ من أنَّهُمْ بَنُو قُشَيْرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبيعَةَ، وهؤلاءِ هُمْ: سَلَمَةُ الْخَيْرِ؛ وبيْتُهم فيهِ الشَّرَفُ والْعَدَدُ، وأمُّ سَلَمَةِ الْخَيْرِ هِيَ بِنْتُ الْوَحيدِ بْنِ كِلابِ بْنِ عامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ. أمّا سَلَمَةُ الشَّرِّ وَمُعاوِيَةُ، فأُمُّهُما قَسْرِيَّةٌ، مِنْ قَسْرِ بَجيلَةَ .

ثُمَّ عَدَّ الْهَجَرِيُّ في أبْناءِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ: عَبْدَ اللهِ، وَقُرْطًا، وعامِرًا، وَمالِكًا. وعدَّ في أفْخاذِهِم: قُرَّةَ بْنَ عامِرِ بْنِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ، وبَنِي مالِكِ بْنِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ؛ وَمِنْ فصائِلِ هؤلاءِ: سُعَيْرٌ، وحَزْنٌ، وعامٌ، ومُعاوِيَةُ، والْحُرُّ، وصَقْرٌ، وضَمْرَةُ، وَمَغْرًا، وَعَدَرٌ .

وذَكَرَ مِن قبائِلِ عبْدِ اللهِ بْنِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ: فِراسًا وَقِراسًا (قبيلَتَيْنِ)؛ وهُمْ أهْلُ الْجَباجِي (عَرْضٍ في جَنوبيِّ الْفَلَجِ)، وَأهْلُ صَدَّاءَ (عَرْضٍ مِنْ أعْراضِهِمْ أيضًا)، ومُرارَةَ، وَسَوادَةَ، وبَحِيرًا، وَهُرَيْرًا. وذَكَرَ مِنْ فصائِلِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ: الْوَقّادَ، وسُمَيْرًا، وَزُفَرَ، وقَيْسًا، وهؤلاءِ بَنُو سَلَمَةَ يُعْرَفُونَ بِأُمِّهِمْ: أمِّ دَهْرٍ .

وَعَدَّ مِنْ فصائِلِ مُعاوِيَةَ بْنِ قُشَيْرٍ: عَبِيدَةَ، وَخُرَيْمَةَ، وَمُرَيْحًا، وسامَةَ، وَحَيْدَةَ، والْحَجّاجَ، وَغَمْرًا. ثُمَّ قالَ: " هؤلاءِ كُلُّهُمْ أهْلُ الرَّيْبِ، وَهُمْ بَنُو مُعاوِيَةَ "، وذكَرَ أنَّ عَبِيدَةَ هذا هُوَ أحَدُ بَني عُطارِدِ بْنِ مُعاوِيَةَ، وَعَدَّ مِنْ شُعَرائِهِم الْمُخْتارَ بْنَ وَهْبٍ الْعَبِيديَّ . وذَكَرَ الْهَجَرِيُّ مِنْ بَنِي عَمْرٍو هؤلاءِ آلَ يَزيدَ، وعدَّ مِنْ بَني مُعاوِيَةَ بَني دَيْسَقٍ. أما فصائِلُ الأَعْوَرِ بْنِ قُشَيْرٍ، فَعَدَّ مِنها: مُشَنَّجًا، وبَيْهَسًا، وعاصِمًا، وحُصَيْنًا .

كَما عَدَّ مِنْ قَبائِلِ سَلَمَةِ الشَّرِّ، وَهُمْ لُبَيْنَى: أوْسًا رَهْطَ الشّاعِرِ مُرَيْزيقِ الْغَواني، ومِنْ شُعَرائِهِم: مُنْقِذَ بْنَ عُكَيْمٍ صاحِبَ عَوْجاءَ، وقَيْسًا، وَحُبَيْبًا. أمّا بَنُو صُهَيْبٍ، وَهُمْ مِنْ أهْلِ الأفْلاجِ، فقدْ ذكَرَ الْهَجَرِيُّ أنَّهُم لَيْسُوا مِنْ قُشَيْرٍ صَلِيبَةً، بَلْ هُمْ مِنْهُمْ بِالْوَلاءِ حَسْبُ [1].

---

(١) أبو زكريّا عليّ بن هارون الْهَجريُّ، التعليقات والنّوادر، تحقيق الشّيخ حَمَد الجاسِر، ص٥٦. وأشِيرُ في هذا الْمُختَصَرِ إلى أنّني أفَدْتُ كثيرًا مِمّا عرضَهُ الشّيخ الجاسِرُ في نسبِ قُشَير ((العرب – مجلّة شَهريّة جامِعَة، (المملكة العربيّة السّعوديّة،رجب ١٣٨٧هـ)، ١ ص ص ١٢٧-١٢٨))

وتَنْبَغي الإشارَةُ في هذا الْمَقامِ إلى أنّ ناشِرَ شِعْرِ الصِّمَّةِ (ديوانِه !) عبد العزيز الفيصَل، قد رَجَع في تَحقيقِ نسَبِ قُشَيْرٍ إلى السُّوَيْدِيِّ، وَهُوَ من النّسّابَةِ الْمُتأخّرين[١]، وقابَلَ بَيْنَ ما ذَكَرَهُ السُّويديُّ وما أوْرَدَهُ أبو الفَرَجِ الأصْفَهانيُّ في أغانيهِ مِنْ نسَبِ القُشَيْرِيّينَ، ورَأى الفيصَلُ أنّ ما أثبَتَهُ السُّوَيْدِيُّ يُخالِفُ ما أثبَتَهُ الأصْفَهانِيُّ [٢]. بَيْدَ أنّ التّدْقيقَ في ما أثْبتَ الرّجُلانِ يَقُولُ خِلافَ ذلكَ، وَهُما لا يَخْرُجانِ ألْبَتّةَ عمّا أثْبَتَهُ كُلٌّ مِنَ الْهَجَريِّ وابْنِ حَزْمٍ في ما تقدّم [٣]، كَما أنّه لا يُخالِفُ الّذي قالَهُ الأصْفَهانيُّ في نَسَبِ قُشَيْرٍ [٤].

ويَبْدو أنّ هِجْرَةَ بَعضِ القَبائِلِ العربيَّةِ من الْجَزيرَةِ، وانتِقالَ أقسامٍ مِنها للإقامَةِ في بِلادِ الْفُتوحِ، قَد أثّرا في حَرَكَةِ التّأليفِ في أنسابِ تلكَ القبائِلِ؛ حيثُ أصْبَحَ من العَسيرِ مُلاحَقَتُها في بِلادٍ شَتّى، وهذا هُو السّبَبُ الرّئيسُ في ضَعْفِ قُدْرَتِنا على سَلْسَلَةِ عشائِرِ قبيلَةِ قُشَيْرٍ إلى يَوْمِنا هذا. وقد وجَدَ الباحِثُ أنّ مصادِرَ الأنسابِ الأُخْرى -غَيْرَ الْهَجَريِّ وابْنِ حَزْمٍ - تَكادُ تعتَمِدُ تَمامًا على أنسابِ ابْنِ الكَلْبِيِّ، ولِهذا السَّبَبِ لا نَجِدُ فيها أيَّةَ تفصيلاتٍ عَنْ نَسَبِ قُشَيْرٍ، ويَكادُ الهَجريُّ وابْنُ حَزْمٍ يَكونانِ أكثَرَ الْمَصادِرِ تفصيلاً في هذه القضيَّة .

---

(١) هُوَ مُحَمَّد أمين السُّوَيدِيّ، وُلِدَ في بَغْدادَ، وتوفّيَ في بُرَيْدَةَ سَنَةَ ١٢٤٦ هـ

(٢) انظُر ديوان الصِّمَّة القُشَيريّ، جَمَعه وحقّقَه عبد العزيز الفيصل (الرِّياض: النّادي الأدبي، ١٩٨١)، ص ص ٩-١٠

(٣) انظر محمّد أمين السّويديّ، سبائك الذّهب في قبائل العرب، ص ٤٥

(٤) انظر ما أثبَتَه الأصْفَهانيّ في نسبِ الصِّمَّةِ، الأغاني، (بَيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ، د.ت)، ٥ ص ٢٩١، وهو لا يَختلِفُ عَمّا ذكره السُّويديُّ إلاّ في إضافَةِ اسْمِ (هِلال) بَعْدَ (عامِر)؛ أي أنّ نسبَهُ جاءَ فيهِ : " ... عامِرِ ابْنِ هِلالِ بْنِ صَعْصَعَةَ "، وهذا مِمّا لا يُشَكّلُ خِلافاً جوْهَريًّا بينَهُما كَما زَعَم الفيصَلُ. وأوَدُّ الإشارَةَ هُنا إلى أنّ الفيْصَلَ في ما يَبدو قَد تحرّجَ مِنْ أخذِ الذي نشَره الشَّيْخُ الجاسِرُ بِتمامِه كَما جاءَ في العَرَب، بِما فيهِ مِن شِعْرٍ مَجموعٍ، فضلاً عَنْ نَسَبِ قُشَيْرٍ، وأرادَ أنْ يُخالِفَ شيئًا مّا عَن الذي فعَله الجاسِرُ حينَ عادَ إلى الْهَجَريّ؛ فَعادَ إلى السُّوَيْدِيِّ في إثباتِ نسَبِ قُشَيْرٍ. ولَنا في قادِمِ الصَّفَحاتِ حديثٌ عَنْ إغارَةِ الفيصَلِ عَلى ما صَنَعه الشّيخُ الجاسِرُ، لا سِيَّما حين نتكلّمُ عَلى شِعْرِ الصِّمَّةِ وَجَمْعِه وتوثيقِه

ولعلَّ إشارَةَ ابْنِ حَزْمٍ إلى بَعْضِ رجالاتِ قُشَيْرٍ في العُصور الْمُختَلِفَةِ، وذِكْرَهُ لِمَنْ سَكَنَ مِنْ فُرعِ القبيلَةِ في بِلادِ الأندَلُس، يُعينانِ عَلى تبيُّنِ مَلامِحِ حِراكِ هذه القبيلَةِ وانتِشارها في الْمَكانِ والزَّمان؛ ذلكَ بأنَّ القبائِلَ العربيَّةَ التي سَكَنت جَزيرَةَ العربِ هاجَرَت أقسامٌ مِنها إلى العِراقِ والشّامِ ومِصْر، واستَقرَّتْ جُموعُ الْمُهاجِرينَ في مَواطِنَ جديدةٍ، وقد هاجَرَ قِسْمٌ مِنْ قُشَيْرٍ إلى الشّامِ والعِراق، ونَجِدُ " طَرَفًا مِنْ أخبارهم في القرْنِ الْهِجْرِيِّ الأوَّلِ في حُروبِ كَلْبٍ وَقَيْسٍ، وفي القرْنِ الهِجْرِيِّ الرّابِعِ، في أخبار حُروبِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانيِّ لأطْرافِ الشّامِ "[١].

ويُضيفُ ياقوت الْحَمَويُّ إلى التَّعريفِ بِمصيرِ قُشَيْرٍ مَعلومَةً طريفَةً، وذلكَ في أثناءِ تَعريفِهِ بِقَلْعَةِ (جَعْبَر)؛ حيثُ يسوقُ خَبَرًا مفادُهُ أنّ أحدَ القُشَيْرِيّينَ واسْمُهُ جَعْبَرُ بْنُ مالِكٍ، وَهُو أعْمَى، اسْتَوْلَى عَلى قَلْعَةِ (دَوْسَر) الواقِعَةِ عَلى الْفُراتِ، ثُمَّ عُرِفَت القَلْعَةُ باسْمِه، وأُطْلِقَ عَلَيْهَا (قَلْعَة جَعْبَر)، وأنَّ السُّلْطانَ جَلالَ الدِّينِ مَلْك شاه بْنَ أرْسَلانَ قَدِ استَوْلَى على القَلْعَةِ في نِهايَةِ القَرْنِ الْهِجْرِيِّ الخامسِ عامَ (٤٩٩هـ)، وَنَفى عَنْها بَني قُشَيْر[٢].

وقد أشارَ الشّيخ حَمَدٌ الْجَاسِرُ إلى أنَّ بقيَّةً من القُشَيْرِيّينَ ظلَّتْ تسكُنُ دِيارَها في الْجَزيرَةِ العربيَّة، وأنّ هؤلاء اختَلَطوا بغَيْرِهم من عَرَبِ الجَزيرَة، وذكَر مِنْ أمثِلَةِ ذلكَ قبيلَةَ (عَبِيدَة) مِنْ أفْخاذِ قُشَيْر؛ الّتي كانَتْ تسكُنُ بِلادَ الرَّيْبِ؛ حيثُ ظلَّ هذا الاسمُ يُطْلَقُ عَلى قسْمٍ كبيرٍ من سُكّانِ الرَّيْبِ - الْمَعروف الآنَ باسْمِ الرَّيْنِ تَحْريفًا - إلاّ أنَّ هذا القِسْمَ "أصْبَحَ مَعْدودًا في قَحْطان؛ ذلكَ أنّ قبيلَةَ قَحْطانَ اكْتَسَحَتْ بِلادَ نَجْدٍ قادِمَةً مِنَ الْيَمَنِ، ومِنْ أطرافِ أَوْدِيَتِه الْجَنوبيَّةِ التي تَفيضُ في نَجْد، وَلِهذا انْضَوى كَثيرٌ مِنَ القبائلِ العدْنانِيَّةِ الضَّعيفَةِ القَليلَةِ العَدَدِ تَحْتَ سَيْطَرَةِ تلكَ القبيلَةِ القَوِيَّة "[٣].

---

(١) انظر العرب، ص ١٢٨

(٢) مُعْجَم البُلْدان، (قَلْعَة جَعْبَر)

(٣) العَرب، ص ١٢٩

ويَبْدو أنَّ بَني كَعْبِ بْنِ رَبيعَةَ بْنِ عامِرٍ قَدْ عانُوا ما عانَتْهُ سائِرُ قبائِلِ العـربِ؛ مِـنْ وَيْلاتِ الْحُروبِ والفِتَنِ الدّاخليَّة جَرّاءَ التّنازُعِ عَلـى بَعْـضِ الْمَواقِـع. وقـد فَتَّـتْ تلـكَ النِّزاعاتُ في عَضُدِ القَبيلَةِ، وقَوَّتِ الخِلافاتِ بيْنَ فُروعِها حتّـى اختَلَطَت تلـكَ الفُـروعُ بِغَيْرِها، وتَمازَجَت أقسامٌ مِنها مَع قبائل أُخْـرى زاحَمَتْـها في بِلادِهـا، وفي آخـرِ الأَمْـرِ طَغَتْ عَلَيْها، وتَمَلَّكَتْ حِماها الْخَصيبَ.

وكانت أعْنَفُ الْمَوْجاتِ التي طَغَتْ عَلى القُشَيْرِيّينَ تِلْكَ الـتي قـذَفَ بِـها جَنُـوبُ جَزيرَةِ العربِ حينَ أخْلَدَ القشَيْرِيّونَ إلى الأرْضِ، ورَكَنُـوا إلى الدَّعَـةِ والتَّحَضُّـرِ لِمـا في أرضِهِم مِنْ خُصوبَةٍ وَماء؛ فضْلاً عَنْ ضَعْفِ القبيلَةِ بسببِ انْتِقالِ قسْمٍ كبـيرٍ مـن عُقَيْـلٍ وَجَعْدَةَ وَقُشَيْرٍ وبَلْعَجْلانِ - أبناءِ عُمومَتِهم - مِـنْ قَبـائِلِ كَعْـبِ بْـنِ رَبيعَـةَ إلَـى خـارجِ جَزيرَةِ العربِ، فَضَعُفَ ما تبقّى مِنْها، وَهانَ أمْرُهُ عَلى قَبائِلَ أُخْرى، فتَحالَفَ مَع قبـائِلَ تَنْتَمي إلَى الْجِذْمِ القَحْطانِيِّ: كَالدَّواسِرِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ القبائِل (١).

وبسببٍ مِنْ هذا، أضْحَى من الْمُتَعَذّرِ الْفَصْلُ بَيْنَ ما تبقّى مِنْ بَني قُشَيْرٍ في جَزيرَةِ العربِ وَغَيْرِهِم، وإنْ كُنّا ما نَزالُ نَجِـدُ بَعْـضَ الأفْخـاذِ مُحْتَفِظَـةً باسْـمِها، ومُقيمَـةً في بِلادِها، وَإنْ عُدَّت في النَّسَبِ مِنْ قَبيلَةِ الدَواسِرِ؛ والدَّواسِرُ هِيَ القبيلَةُ التي تُسَـيْطِرُ الآنَ عَلى القِسْمِ الْجَنوبيِّ مِنْ بِلادِ بَني كَعْبِ بْنِ رَبيعَةَ. أوْ عُدَّ بَعضُها في قبيلَةِ قَحْطانَ؛ الـتي حَلَّتْ مُنْذُ قَرْنَيْنِ وَنصفِ القَرْنِ تقريبًا في غَرْبِ دِيار بَني قُشَيْرٍ (٢).

---

(١) العَرب، ص ١٣٠

(٢) العرب، ص ١٣٤

٢. دِيارُ القُشَيْرِيّينَ

تَوَسَّطَتْ دِيارُ القُشَيْرِيّينَ بِلادَ بَني كَعْبِ بْنِ رَبيعَةَ، وَجاوِرَهُم مِنْ هؤلاءِ أبْناءُ عُمومَتِهِم: بَنُو عُقَيْلٍ وَبَنُو جَعْدَةَ. وامتَدَّتْ دِيارُهُم في جَنوبيِّ بِلادِ بَني كَعْبٍ وَغَربيِّها عَلى ضِفافِ أوْدِيَةٍ غَزيرَةِ الْمِياهِ؛ مِثل: بِيشَةَ، وَرَنْيَةَ، وَعَقيقِ بَني عُقَيْلٍ الذي يُعْرَفُ الآنَ باسْمِ وادِي الدَّواسِر .

وقَدْ خالَطَ القُشَيْرِيُّونَ بَني عُقَيْلٍ في أطْرافِ عَقيقِهِم، كَما خالَطوا الْجَعْدِيِّينَ في الأفْلاجِ. وامْتَدَّتْ دِيارُهم مِنَ الأَفْلاجِ إلى أطْرافِ جَبَلِ العارضِ شَمالاً، ما بَيْنَ الأفْلاجِ ووادِي بِرْك. أمّا مِنْ ناحِيَةِ الغَرْبِ، فقَدْ بلَغَتْ دِيارُهم حُدودَ جبَلِ العارضِ غَرْبيَّ الأوْدِيَةِ الْمُنْحَدِرَةِ من جِبالِ الْعَرْضِ .

وقَد انتشَرَتْ قُشَيْرٌ في وادِي الرَّيْبِ (الرَّيْنِ الآنَ)، وفي السُّهُولِ الواقِعَةِ بَيْنَ العارضِ (طُوَيْقِ الآنَ) والْعَرْضِ (عَرْضِ شِمام)؛ في الْمَرُّوتِ شَمالاً إلى رَمْلَةِ الدَّبِيلِ الْمَعروفَةِ الآنَ باسْمِ (نُفود الدَّحي) جَنُوبًا. وَجاوَرَ القبيلَةَ في الْمَرُّوتِ بَعْضُ بَني تَميم، كَما جاوَرَها في الْجَنُوب الغَربيِّ عَجْلانُ وَعُقَيْلٌ، لا سيَّما في جِبال الْحَصاةِ .

والنّاظِرُ في الرُّبوعِ التي حَلَّتْ فيها قُشَيْرٌ يَجِدُها مَراتِعَ خصيبَةً تشُقُّها أنْهارٌ عِدَّة، ومسايِلُ أوْدِيَة غَزيرة الْمِياه؛ فضلاً عَن المِياه والأفلاجِ والعيونِ التي تنتشِرُ في ربوعِ القشَيريّين، مِمّا جعَلها مَراحًا أتاحَ للقُشيريّينَ أنْ يَقرُّوا، وأطْمَع القبائِلَ الأُخْرى فيها. ولعلَّ أشْهَرَ مِياهِ القُشَيريّينَ : حايِلٌ وَحِلْبانُ وَبِرْكٌ والرَّيْبُ والْفَلْجُ والْغِيْلُ .

أمّا أشْهَرُ مواضِعِهم فَهُو الْمَرُّوتُ، ويروي البَكريُّ أنّ بَني حِمّانَ مِنْ بَني سَعْدٍ مِنْ تَميمٍ كانوا يشاركونَهم فيهِ، وأنَّ الْحُصَيْنَ بْنَ مُشَمَّتٍ الْحِمّانيَّ وفدَ عَلى رسـول اللهِ - صلّى اللهُ عليه وسلّم - في المدينَة فبايَعَه، ودفَع إليه صدَقاتِ مالِه، فأقْطَعَه - عليه السّلام - مِياهًا في الْمَرّوتِ مِنها: أصَيْهِبُ، والماعِزَةُ، وأهْـوَى، والثِّمـادُ، والسَّـدِيرَةُ. وفي ذلـكَ قالَ قَيْسُ بْنُ عاصِمٍ الْحِمّانيُّ [1]:

إنَّ بِلادِيْ لَمْ تَكُنْ أمْلاسا | بِهِنَّ خَطُّ الْقَلَمُ الأنْقاسا

مِنَ النَّبيِّ حِينَ اعْطَى النّاسا | فَلَمْ يَدَعْ لَبْسًا وَلا الْتِباسا

وقد حدَّد الشّيخ الجاسِرُ دِيار قُشَيرٍ بِحَسَبِ التّخطيط الجغرافيّ الحديثِ، فقـالَ[2]: " إنّه يُمكِنُنا القَولُ بأنّ بِلادَها تقَعُ بيْنَ خطّي الطّولِ : ٤٥ و ٤٦,٣٠. وبيْنَ خطّي العرض : ٢١ و ٢٤، ومعلومٌ أنّ هذه المساحةَ من الأرضِ لا تختَصُّ بـهذه القبيلَـةِ، بَـل يُساكِنُها قبائِلُ تَجتَمِعُ مَعها في النَّسَبِ من بَني عامِرِ بْنِ صَعْصَعَة، وقبـائِلُ أخْرى تَحُلُّ مواضِعَ قليلَةً في نَواحِي هذه البِلادِ " .

وقد وصَفَ صاحبُ (بِـلادِ العـرب) دِيـار قُشَيْرٍ قَديـمًا؛ فقـالَ [3]: " ... سُوقُ (الْفَلَجِ) بِبَطْحـاءِ وادٍ يُسَمّى وادِي (أكْمَـة)، واسْـمُ الـوادِي (كِـرْزٌ)، والسّـوق مَدينَـةٌ عَظيمَة، ومنازِلُ بَني قُشَيْرٍ في ناحِيةِ السّوقِ على شاطِئ الوادي: نَخِيلٌ وَدُورٌ وَحِيطـان، ويُسَمّى منزِلُهم (الزَّرْنُوقَ). ولِبَني قشيرٍ أيضًا قريَةٌ على فَرْسَخٍ مـن الزَّرْنـوقِ يُقـالُ لِـها (قَرْن)؛ فيها نَخيلٌ وَدورٌ وَمزارِعُ، وفي ناحِيَة قَرْنٍ (سَـيْحُ إسـحاق) الـذي اقتَتَلَـتْ فيـهِ جَعْدَةُ وقُشَيْر؛ لأنّه كانَ لِقُشَيرٍ؛ لإسْحاقَ بْـنِ فُـلانٍ، فاشْـتَرَتْهُ جَعْـدَةُ، فمَنَعَتْـها قُشَيْر،

---

(١) انظر مُعْجَم ما استَعْجَم (الْمَرّوت)

(٢) العرب، ص ١٣٠

(٣) لُغْدَةُ الأصْفَهانيُّ، بِلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي(الرّياض: دار اليمامة، ١٩٨٠)، ص ٣-٥، ٢٢٣-٢٢٤، ٢٢٥-٢٢٦، ٢٢٧

فوقَعت بينَهم فيهِ حَرْب. وكانت جَعْدَةُ اشترته بثلاثِ مائةِ ألْفِ دِرْهم، وهو نَهْرٌ مَخْرَجُهُ من قَناة، وهو بُطَيْحَةٌ واسِعَةٌ، وعليْهِ من النَّخلِ ما لا يُدْرَى[١] مَبْلَغُه .

(والقاعُ) أيضًا قريَةٌ لِبَني قُشَيْرٍ حِذاءَ قَرْنٍ، (والشَّطْبَتانِ) وادِيانِ فيهما نَخِيلٌ: وهُما لِلْحَريشِ وقُشَيْر ...؛ (وأكَمَةُ) قريَةٌ بِها سُوقٌ ومِنْبَر لِجَعْدَةَ؛ إلاّ قليلاً من أعلاها لِبَني قُشَير، (وكِرْزٌ) ساقِيَتُها، وأكْمَةُ بَيْنَ جبال .

(والْغِيلُ) في أعلاهُ لِبَني قُشَير أموالٌ كَثيرَة، وفي (العارض) ثَنايا مِنْها: ثَنِيَّةُ الْهَدّار، وثَنِيَّةُ أكْمَةَ، وثَنِيَّةُ نَسّاح، وثَنِيَّةُ الأُحَيْسِيِّ، وبهذه الثَّنايا مِياهٌ لِقُشَيْر .

ومِياهُهُم بالدَّبيلِ شِباكٌ كَثيرَة؛ مِنها: الجاذِبَةُ، والْخَضْرَةُ، والصَّحْبِيَّةُ، والصُّبَيغاءُ، والعَشيرَةُ، والرّابِغَةُ، والْجُنادِيّاتُ - أمْواهٌ مُتقارِبَةٌ - والسَّلَمِيَّةُ؛ فهذه مِياهُ الدَّبيلِ، والدَّبيلُ رَمْلَةٌ بِمُقابَلَة العارضِ. ولَهُم بين الدَّبيلِ والعارضِ ماءٌ يُقالُ لَهُ أوّانُ، ولَهُمْ الْمُرَيْرُ والرَّجْلاءُ والشّادِقَةُ، ولَهُم مياهٌ كثيرَةٌ لا تُحْصَى. ولِبَني قُشَير وغَيْرِهم من الْجِبالِ عَمايَتانِ؛ إحداهُما للحَريشِ، والأُخْرى لَهُم ولِنَهْمٍ مِنْ بَني عبد اللهِ بْنِ كَعْبٍ. ويَذْبُلُ لِبَني قُشَيْر، واليَنْكِيرُ لِبَني قُشَير، والرِّيمُ وادٍ لِبَني مُعاوِيَةَ بْنِ قُشَير، وقَسّاس قَريبٌ مِنَ اليَنْكِيرِ، وهو جَبَلٌ طَويلٌ، وجَبَلٌ يُقالُ لهُ بِجاد في ناحِيَةِ الْعَمْقِ لِبَني قُشَير .

وصَعِقٌ ماءٌ لِبَني سَلمةَ بْنِ قُشَير، والْحاجِرُ لَهُم أيضًا. ولِبَني قُشَيرٍ النُّقْرُ - وهي رَمْلَةٌ معتَرِضَةٌ دونَ جُرادٍ، وهي شِبْهُ الْوَهْدَة، يُحيطُ بِها كَثيبٌ، وفيها نَخيلٌ ومياهٌ مِنها: الحاجِرُ وواسِطٌ. وبَيْنَ النُّقْرِ وقَرْقَرَى مَسيرَةُ لَيْلَتَيْنِ، وبين قَرْقَرَى وحَجْرٍ[٢] لَيْلَة.

---

(١) في الأصْلِ (ما لها يدري)، وفيه تحريف وتصحيفٌ ظاهران !

(٢) هُو الواردُ في قَول امرئ القيسِ :

فَلولا الرِّيحُ اسْمِعَ مَنْ بحَجْرٍ ... صَليلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذُّكور

والّذي يَخرُجُ عَلى سِعايَةِ خُلطاءِ كَعْبٍ أوَّلُ ماءٍ يَنْزِلُه بَعْدَ قَرْقَرى الْحاجِرُ وواسِطٌ. وتِلْكَ النُّقَرُ مقتَرِنَةٌ بَعْضُها ببعض .

ولَهم الشَّبيكَةُ من مَعادِنِ الْيَمامَةِ بيْنَ الْحَفِيرَةِ والْعَوسَجَةِ، ولهم ماءةٌ تُسَمّى الأبْتَرَةَ عَذْبَةٌ؛ عليها بَنُو اللُّبَيْنِ، بيْنَها وبين النُّقْرِ ثَلاثُ لَيالٍ. ولَهُم شَعْبَعَب؛ وهي بحايِل ماءةٌ من وراء النُّقْرِ بِيَوم؛ تَهبِطُ من النُّقْرِ حايلاً، وإذا جاوزَ الْحاجُّ حايلاً والمَرّوتَ مُقبِلينَ صاروا في قُرى اليَمامة؛ قال الرّاجزُ :

إذا قطَعْنا حايلاً والْمَرُّوتْ فأبْعَدَ اللهُ السَّوِيقَ الْمَلْتُوتْ [١]

وحايِلٌ بيْنَ رَملَتيْنِ: جُرادٍ والأطْهار " .

هذا ما أورَده لُغْدَةُ الأصْفَهانيُّ في وصْفِ دِيار قُشَير، وهو كَما نَرى وصْفٌ يدُلُّ عَلى خِصْبِ تلك الدِّيار، وكَثْرَةِ ما فيها من مِياه. أمّا الْهَمْدانيُّ في (صِفَةِ جزيرَةِ العربِ)، فقد أفاضَ في وصفِ حُصونِهم وأفلاجِهِم وأودِيَتِهم، ومن ذلكَ قولُه في حصونِهم [٢]: " الفَلْجُ بَلَدٌ أربابُه جَعدَةُ وقُشَير والْحَريشُ بَنُو كَعب، .... وأمّا قُشَير فَهي بالْمَذارِعِ، وبه الْحُصونُ والنَّخلُ والزَّرْعُ، والسَّيْحُ تَحتَ النَّخلِ، والآبارُ أيضًا. فأوّل حصونِ بَني قُشَير بالْمَذارِعِ: حِصْنُ العَقِيدَة من بَني فِراس، وأهْلُه جَفْنَةُ الْفَلْجِ كُرَماءُ وُجوهٌ، وحِصْنُ الفِراسِيِّينَ مِن بَني فِراس، وحِصْنُ بَني نَبيتٍ من بَني قُرَّة بِصَدّاءَ مِن الْمَذارِعِ. وحِصْنُ العادِيَةِ بالصّافيَةِ لِبَني سَوادَةَ من قُشَير، وهُم طَوالِعُ الأحْسابِ. وحِصْنُ آلِ شِبْلٍ بالصّافيَةِ أيضًا لِبَني هُرَيْم، وحِصْنُ بَني النَّجْوى مِنْ بَني هُرَيْم، وحِصْنُ أمِّ الْجَحّافِ بْنِ العَنْبَرِ - هُرَيْمِيٌّ - وحِصْنُ آلِ ضِرارٍ من بَني هُرَيم، وحُصونُ بَني ثَوْرٍ، وحِصْنُ بَني صُهَيْبٍ بِأكَمَةَ، وحصْنُ بَني قُرْطٍ من قُشَير". ثُمَّ ذكَرَ حِصْنَ الأحابِشَةِ منهم، والْهَيْصَمِيَّةَ لِبَني صُهَيْبٍ منهم، وقالَ إنّها مدينَةٌ حصينَةٌ "يركُضُ أرْبَعَةٌ من الْخَيْلِ على جُدُرها" .

(١) السَّوِيق : الدَّقيق، والملتوت: المعجون، وهي كلمة ما تزال دائرة في استِعمالِ العربِ إلى الآنَ في العجين
(٢) صفة جزيرة العرب، ص ١٥٩

وفي أوديتهم قالَ الْهَمْدانيُّ [١]: " الرَّيْبُ وادٍ رُغابٌ ضَخْمٌ فيهِ بُطونٌ مِن قُشَير، مَريحٌ بالْكُدَيْدِ، وهو أسْفَلُ وادِي الرَّيْب، وفي وسَطِه بَنُو حَيْدَة، وفي أعْلاهُ الْعُبَيْداتُ وَطَرَفٌ مِنْ بَنِي قُرَّة، وفي أعْلاهُ وادٍ يُقالُ له عِنان، والعُذَيْبُ نَخْلٌ وقَرْيَةٌ، وبينَةُ وبيْنَ سَوادِ باهِلَةَ ماءٌ يُقالُ له الغابَةُ؛ فيهِ نَخْلٌ " .

وقالَ في صِفَةِ حايِلٍ وبعضِ مياهِهِم[٢]: " وعن يَمينِ سوادِ باهِلَةَ بَطْنُ حايِلٍ، وهو بلَدٌ مثل يَدِ الْمُصافِح يُرَى فيه الرّاكِبُ من مسافَةِ نصْفِ نَهار، في وسَطِ رُمَيْلَةٍ يُقالُ لها رُمَيلَةُ الأطْهار، وفي أعلاهُ سُوقَتانِ[٣]، ويَحُفُّهُ رَملُ جُرادٍ، وحَدُّه بين الْمَرُّوتِ وبينَ جُراد، وهو أسْفَلَ رَمْلِ الشَّعافيقِ، وفيه نَخِيلٌ وَنَخْلَةُ [ماءانِ لِبَني تَميم]، وفيهِ ماء يُقالُ لَهُ السَّحامة، وبطَرَفِه ماءٌ يُقالُ له الْحَفيرَةُ حيثُ انْصَرَمَ جُرادٌ. ثُمَّ تنشَأُ رَمْلَةُ الْحَوامِض؛ تلٌّ مُنْقَطِعُ الرَّمْلِ مِيلاً أو أكْثَر، فَبِرَمْلَةِ الحوامِضِ ماءٌ هُو الحامِضَةُ؛ مِلْحٌ يُسْلِحُ الإبلَ. ثُمّ واسِطٌ، ثُمَّ الحاجِرُ [غير حاجِرِ الْمَحَجَّةِ]، وفيه ماءٌ عَذبٌ، وبهِ الْمِلحُ، ومِلْحُ الْحاجِرِ قَرارَةٌ بَيْنَ أكْثِبَةٍ في وسَطِ القَرارَةِ، والقَرارَةُ سَبِخَةٌ ومِلْحٌ نَحِيتٌ أبْيَضُ وَأحْمَرُ، وفي وسَطِ ذلكَ غَديرٌ طِوالَ قَرارَةِ الْمِلْحِ؛ يَنْسَلُّ مِنه زَبَدٌ أبْيَضُ خَفيفٌ، وهو أعذَبُ الْمِلْحِ، فيُجَفَّفُ فيَصيرُ مِلْحًا، وبيْنَ أطرافِ هذه السَّبِخَةِ وَمَساقِطِ الأكْثِبَةِ نَخْلٌ.

ثُمَّ أسْفَلَ من ذلك في حايِلٍ: سَيْحُ ابْنِ مَرْيَم، وهو سَيْحٌ كانَ غزيرًا ثُمَّ انقَطَعَ بِضَعْفِ أهْلِه. وبَطْنُ مُنِيمٍ وفيهِ مِياهٌ أمْلاحٌ مِنها الْجَدْعاءُ عِنْدَ مُنْجَدَعِ الرَّمْلِ مُقابِلَةً لِقُفِّ الْوَحَى، وفي بَطْنِ مُنِيمٍ مِياهٌ أمْلاحٌ كَثيرَةٌ؛ مِنها: صَوْقَع، والضُّبَيْبُ، وَقُنَيّ، والْهَوَّةُ، وهي مِياهٌ مَأْجٌ لا مِلْحٌ وَلا عَذْبَةٌ، وهي مُقابِلَةٌ لِقُفِّ ماذِق. وقُفُّ ماذِقٍ مُعْتَرِضٌ بيْنَ الثَّنايا؛ ثَنايا الأوْدِيَةِ: حُنَيْظِلَة، وَنَعام، وبِرْك، وبيْنَ بَطْنِ حايِلٍ والعارِضِ؛ وهو قُفَيْفٌ ضَعيفٌ سَهْبُ الأعالي ".

---

(١) نفسه، ص ١٤٨

(٢) نفسه، ص ١٤٨

(٣) في الأصلِ (سوقَتَيْنِ)، ولا تستقيمُ

٣. شُعَراءُ قُشَير

دأبَ بَعضُ عُلَماءِ اللغةِ ورُواةِ الشِّعْرِ، قَدِيمًا، عَلى جَمْعِ أشْعار القبائِل العربيَّة في كُتُبٍ كانَتْ تُسَمّى كُتُبَ القبائلِ أوْ دَواوينَها؛ ومن أمثالِ ذلكَ ما صَنَعه ابْنُ حَبيبٍ. والسُّكَّرِيُّ وغَيْرُهُما، والباحثُ لا يَعثرُ في أسْماءِ تلكَ الكتُبِ والدّواوينِ عَلى ديوانٍ لِقُشَيْر .

وبهذا ظلَّ شِعْرُ قُشَيْرٍ نُثارًا في بطونِ كتبِ الأدبِ والتّاريخِ واللغةِ والمعاجِمِ وغيْرِها، "ولعلَّ أوْفَى مَجموعَةٍ من ذلكَ ما دوَّنَه لَنا عالِمُ الجزيرَةِ في القرنِ الرّابعِ الهِجْرِيِّ؛ أبو عليٍّ هارونُ بْنُ زَكَرِيّا الْهَجَرِيُّ، فقد جَمَع لنا هذا العالِمُ طائفَةً كبيرَةً نَجِدُ جُلَّها في كِتابِهِ (التّعليقاتِ والنَّوادِرِ)، في القطْعَةِ الباقِيَةِ من هذا الكِتابِ"[1]. وقد اعتمَد الهجَريُّ في ما أثبتَهُ من شِعر قُشَيْرٍ عَلى رُواةٍ من القبيلَةِ نفسِها، ومن هؤلاءِ : أبو الْمَيْمونِ القشيريُّ، وزيْدُ بْنُ فائدِ بْنِ غالبِ بْنِ بشيرِ بْنِ عُطَيٍّ مِنْ عَبيدَةِ قُشَيْر .

وقد عَدَّ الْهَجَريُّ من شُعَراء قُشَيرٍ أحَدًا وأربَعينَ شاعِرًا، وأوْرَدَ لَهُم شِعْرًا، وَتَوَزَّعت مصادِرُ أُخرى؛ كالأغاني، وحَماسَتَيْ أبي تَمّامٍ والبُحتُرِيِّ، وَجَمْهَرَةِ النَّسَب

(١) مجلّة العرب، ص ١٣٥. طُبِعَ مرَّتَيْنِ: إحداهُما بتحقيق حَمَد الجاسِر، والأُخْرى بتحقيق حمود عبد الأمير الحمادي

لابْنِ الكلبيِّ، سائِرَ شُعَرائِهم. ثُمّ تيسَّرَ لعبْدِ العزيزِ الفيصَلِ أنْ جَمَعَ شِعْرَ قُشَيْرٍ، فأشارَ إلى سِتَّةٍ وسبْعِينَ شاعرًا وشاعرَةً جَمَع شِعْرَهُم من الْمَصادِرِ الْمُخْتَلِفَةِ[١].

وقَد اشْتُهِرَ عَدَدٌ من شُعَراء قُشَير بأسْماءِ مَنْ أحبُّوا مِنَ النِّساءِ؛ وفيهم: الصِّمَّةُ صاحِبُ رَيّا، والقُشَيريُّ صاحِبُ سُعْدَى، ومَعْروفُ بْنُ قدامَةَ القشيريُّ صاحِبُ مُنَيْعة، ومُنْقِذُ بْنُ عُلَيمٍ صاحِبُ عَوْجاءَ، ومَيْمونُ بْنُ عامِرٍ صاحِبُ خَيْرَةَ، وهؤلاء مِمَّن ذكَر لَهم الْهَجَرِيُّ شعْرًا. ويُمْكِنُ للمطالِعِ في شِعْرِ قُشَير الْمَجْموعِ أنْ يَقِفَ عَلى سِماتٍ عِدَّةٍ طَبَعَتْهُ بطابِعٍ خاصٍّ؛ حَتّى لَكأنَّما جاءَ شِعرُ هذه القبيلَةِ مُتَفرِّدًا عَن أشعار غَيْرِها بما فيهِ من رائِحَةِ الْمَكانِ؛ فَهُمْ يحِنّونَ إلى حِماهُمْ وَدِيارهم، ويتشوَّقُونَ إلَيْها، وهُمْ عُشّاقٌ يُغَنّونَ عِشْقَهُم، ويسْفَحُونَ دُموعَهُم حينَ تَهيجُهُم الذِّكْرى، ويَغزِلُونَ غَزَلاً رقيقًا في الأَعمِّ الأَغْلَبِ .

وإذا كانَ عبدُ العزيز الفيصَل قدْ جَمَع مِن شِعْرِ قُشَيرٍ ألفًا وثَلاثَمائَةِ بيْتٍ من الشِّعْرِ، وهو ما جَمَعَهُ مِن شِعْرِ قُشَيْرٍ، وعدَّ من شُعَرائِهم سِتَّةً وسَبْعِينَ شاعِرًا وشاعِرَةً[٢]؛ فإنَّ الْمَنْطِقَ يَقْضِي بأنَّ لهذه القبيلَةِ منَ الشِّعْرِ ما يَزيدُ عَنْ هذا الْكَمِّ الذي جَمَعه كَثيرًا؛ لأنَّ هذا الْكَمَّ يُعطي كلَّ شاعِرٍ من هؤلاءِ السِّتَّةِ والسَّبْعينَ ما مُعَدَّلُهُ سَبْعَةَ عَشَرَ بيْتًا حَسْبُ ! وإذا كانَ لِيَزيدَ بْنِ الطَّثْرِيَّةِ ما يَزيدُ عَنْ أرْبَعِمائةِ بيْتٍ في ديوانِه

---

(١) ممّا يجْدُرُ ذِكْرُهُ أنّ الشيخ حَمَد الجاسِر كانَ قد جَمَع شِعْرَ يزيد بْنِ الطَّثْرِيَّة في العربِ قَبْلَ شِعْرِ الصِّمَّة القشيريِّ، وقد أشار حينَ جمع شِعْرَ الصِّمةِ إلى أسماءِ شُعراء قشير عند الهجريّ، وفي بعض المصادر الأُخرى: فعدَّ خمسينَ من شُعرائِهم؛ هذا عامَ ١٩٦٧م، ولَمْ يُشِر عبد العزيز الفيصل إلى ذلك. والنّاظر في قولِه : " لَمْ يسبق لأيِّ شخص كان جمعُ هذا الشّعر"، وقولِه: "لَم يُطْبَع من شِعر بَني قُشَير إلاّ شعر يزيد بن الطَّثْريّة وعينيّة الصِّمة بن عبد الله القشيري" يَجِدُ أنّه متَمَحِّلٌ غَيْرُ صادِق؛ فالشّيخ الجاسر كان قد نشر شِعرَ ابْنِ الطَّثريّة في العرب، ثُمَّ نشر شِعر الصِّمَّةِ فيها أيضًا، ونبّه الدّارسينَ على تعليقاتِ الهجريّ وما فيها من أشعار قُشَيْر، وحدّد ما وردَ من شِعر قُشَير في مصادر أُخرى كالأغاني وجمهرة النّسبِ لابن الكلبيِّ وكتب الحماسة، ولهذه الحِكايَةِ تَتِمّةٌ بَعْدُ. (انظر عبد العزيز الفيصل، شُعَراء قُشير، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٨م)، ص٧)

(٢) انظر شُعَراء قُشَير في الجاهليّة والإسلامِ حتّى آخر العصر الأُمويِّ، ٢ ص ٧

الْمَجْموعِ [1]، وَجَمَعْنا للصِّمَّةِ ما يَزيدُ عَنْ ثلاثِمائةِ وثَلاثينَ بيتًا؛ فَلَيْسَ مِنَ الْمَقبولِ أنْ يكونَ لِسائِرِ شُعراء القبيلَةِ حَتّى أواخِرِ عصْرِ بَني أُمَيَّةَ ما يَقْرُبُ مِنْ سِتِّمائةِ بيْـتٍ فقـط. وهذا يُرَجِّحُ أنْ يَكونَ القِسْمُ الأَكْبَرُ من شِعْرِ قُشَيْرٍ قَدْ ضاعَ ولَـمْ يُـدَوَّنْ، كَما حـدَثَ لِشِعْرِ بقيَّةِ القبائلِ العربيَّةِ؛ سِوى شِعْرِ هُذَيْل .

(١) كانَ الشّيخُ حَمَد الجاسِر قد جَمَع شِعْرَ ابنِ الطَّثريّة ونشَره في (مجلّةِ العَرَبِ، الجزء الأوّل، السَّنة الأولى، رجب سنة ١٣٨٦ هجريّة - تشرين أوّل ١٩٦٦م)، ص ص ٨١٦-٨٥٣، ص ص ١٠٤٦-١٠٥٦، ثُمَّ نشَرَهُ ناصِرُ ابْنُ سَعْد الرَّشيد عام ١٩٨٠ دونَ أن يُشيرَ إلى جُهودِ الشّيخِ الجاسِر، مَع أنّ الفارقَ بينَ ما فعلَهُ الرّشيدُ والجاسِرُ لا يَتجاوَزُ عَدَدًا محدودًا من الأبياتِ ! انظر (ناصر بن سعد الرّشيد، شِعر يزيد بن الطَّثريّة - دراسة وجمع وتحقيق، ط١، (الرّياض: دار مكّة للطّباعة والنّشر، ١٩٨٠)، المقدّمة . ومن الجدير بالذّكر أنّ الرّشيدَ قد نسبَ عينيَّةَ الصِّمَّةِ المشهورةَ ليزيد بن الطَّثريَّةِ تَكَثُّرًا من شِعْرِه، وحاوَل كلَّ جهدِه أنْ يُثْبِتَ نسْبَتَها لابنِ الطَّثريَّة، وحالَ دونَ مُرادِه أشياءُ كثيرةٌ؛ لعلَّ أهمَّها أنَّ جُلَّ كتبِ الأدبِ نسبَتْها للصِّمَّةِ (انظر شِعر يزيد بن الطَّثريّة، ص ص ٨٦-٨٩)

٤. الصِّمَّةُ بْنُ عبدِ اللهِ القُشَيْرِيُّ

• اسْمُهُ ونَسَبُه:

هُوَ الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ عامِرِ بْنِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبيعَةَ، وَرَبيعَةُ مِنْ هُوَازِن، ثُمَّ مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ بْنِ مُضَر، هذا ما ذكَره أبو الفَرجِ الأصْفَهانِيُّ عِنْدَ كلامِه على الصِّمَّةِ [1]. أمّا ابْنُ حَزْمٍ فقَدْ جَعَلَ نسَبَه هكذا: الصِّمَّةُ بْنُ عبْدِ اللهِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ عامِرِ بْنِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبيعَةَ بْنِ عامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ [2]، وهو يتَّفِقُ في هذا النَّسَبِ مَع أبي عُبَيْدٍ البَكْرِيِّ [3].

أمّا الآمديُّ في المؤتلفِ والمختلفِ، فقدْ جَعَلَ نسبَهَ هكذا: الصِّمَّةُ بْنُ عبدِ اللهِ بْنِ (طُفَيْل) بْنِ (مُرَّةَ) بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ عامِرِ بْنِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ [4]، وهو يختلِفُ مع ما تقدَّمَ في أمرَيْنِ اثْنَيْن: أوَّلُهما إثباتُهُ (طُفَيْل) بدلاً مِنَ (الطُّفَيْلِ)، والآخَرُ

---

(١) هذا ما أورَدَه أبو الفَرَجِ في نَسَبِهِ . انظر الأغاني، إعداد مكتب تحقيق التّراث، (بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، د.ت)،٦ ص ٢٩١، وتَكادُ الْمَصادِرُ تُجْمِعُ عَلى هذا النَّسَبِ !

(٢) جَمْهَرَة أنساب العرب، ص ص ٢٨٩-٢٩٠

(٣) سِمط اللآلي في شَرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمَنيّ، ط٢، (بيروت: دار الحديث، ١٩٨٤)، ١ ص ص ٤٦١-٤٦٢

(٤) الحسن بْنُ بِشر بْنِ يَحيى الآمديّ، المؤتلف والمختلف، تحقيق عبد السّتّار فرّاج، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٦١)، ص ٢١٤، وانظُر أبا عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، مُعْجم الشّعراء، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، (بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت)، ص ص ١٤٤-١٤٥. وقد أخذ هذا عنهُ يَحيى شامي، انظر موسوعة شُعَراء العرب، (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت)، ١ ص ٣٥٢، وكذلك عبد عون الرّوضان، موسوعة شُعراء صدر الإسلام والعصر الأمويّ، (الرّياض: دار أسامة للنشر والتّوزيع، ٢٠٠٠)، ص ١٦٩

إثباتُهُ (مُرَّة) بَدلاً مِنْ (قُرَّة)، وإذا كانَ أوّلُ الأمْرَيْـنِ مَقْبولاً بِحَذْفِ لامِ التَّعريفِ مِنَ الطُّفَيْلِ؛ فإنَّ آخرَهُما ظاهِرٌ فيهِ أنّه خطَأٌ مِنَ النّاسِخِ أو المُحَقِّقِ، فَهُوَ مِنْ قَبيلِ التَّحريفِ لا غَيْرَ.

ويَجْعَلُ ابْنُ الكَلبِيِّ بدَلَ الطُّفَيْلِ (الْحارثَ)(١). أمّا الهَجَريُّ فقدْ أوْرَدَ نَسَبَهُ مَرَّتَيْنِ؛ جاءَ في أولاهُما أنّه ... ابْنُ طُفَيْلِ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَوْرِ بْنِ سَوادَةَ بْنِ قُرَّةَ بْنِ سَلَمَةِ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرٍ، وفي الأُخْرى طُفَيْلِ بْنِ قُرّةَ بْنِ عبدِ اللهِ بْنِ سَلَمَةَ. وعِنْدَما فَرَّعَ الْهَجَريُّ فصائِلَ بَنِي سَلَمةَ قالَ: هؤلاءِ في عامِرٍ، ثُمَّ مِن عامِرٍ في نُبَيْطٍ، ونُبَيْطُ رَهْطُ الصِّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ. فكأنَّ عامِرًا عند الهجريِّ ليسَ اسْمَ جَدٍّ، إنّما هُوَ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلى مَجموعَةِ عشائِرِ بَني سَلَمَةِ الْخَيْرِ(٢).

وقَدْ وَقَعَ اليَزيدِيُّ - أوْ مَنْ نَقَلَ عَنهُ - في خَطَأ حينَ رَوى بَعْضَ شِعْرِ الصِّمَّةِ بْنِ عبدِ اللهِ؛ فَجَعَلَ اسْمَهُ في الرِّوايَةِ اسْمَ أبيهِ، قالَ(٣): "حدَّثَني عَمِّي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ قالَ: أنشَدَني ابْنُ الْكَسْكَرِيِّ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الصِّمَّةِ القُشَيْرِيِّ، وكانَ وامِقًا لابْنَةِ عَمِّه رَيّا...". ولعلَّ هذا الْخَطَأَ إنّما أُتِيَ بِهِ مَن ارتَكَبَهُ مِنْ جِهَةِ كَثْرَةِ مَنْ سُمِّيَ بالصِّمَّةِ أوّلاً، ثُمَّ من التِباسِ اسْمِ أبِي الصِّمَّةِ عبدِ اللهِ، بعَبْدِ اللهِ بْنِ الصِّمَّةِ الْجُشَمِيِّ أخِي دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ!

أمّا أطْرَفُ خَطَأ في نسَبِ الصِّمَّةِ؛ فالّذي وَقَعَ فيهِ صاحِبُ تزيينِ الأسْواقِ؛ فقد ذكَرَ الأنطاكيُّ في (فَصْلٍ في أخبار الصِّمَّةِ وصاحِبَتِه رَيّا) نسَبَهُ هكذا(٤): "هُوَ أبو

---

(١) نقل هذا عنه صاحِبُ خزانة الأدب، ٣ ص ٦٣

(٢) انظُر تفصيلَ ذلك عند الجاسِرِ في العربِ، ص ص ١٣٨-١٣٩

(٣) أبو عبد الله محمّد بن العبّاس اليزيديّ، الْمَراثي، حقّقه محمد نبيل طريفي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة السّوريّة، ١٩٩١)، ص ص ٣٠٦-٣٠٧، وانظر لليزيديّ، كتاب الأمالي، ط١، (الهند- حيدر آباد الدّكن: مطبعة جمعيّة دائرة المعارف، ١٩٤٨)، ص ص ١٤٨-١٤٩، ونظنُّهما الكتابَ ذاتَه، لكن بِعُنوانَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ!

(٤) داود بن عُمر الأنطاكيّ، تزيين الأسْواق بتفصيلِ أشواق العُشّاق، دراسة وتحقيق وتعليق أيْمَن عبد الجابر البحيري، (القاهرة: دار البيان العربي، د.ت)؛ ١ ص ٢٩٩، وانظر ص ٢٣٠

مالِكِ الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ رُقاشٍ القُشَيْرِيُّ التَّغْلِبِـيُّ، مِـنْ بَنِـي رَبيعَـةَ"، ثُـمَّ قالَ: " كانَ أديبًا شُجاعًا عارفًا بِأيّامِ العربِ ووقائِعِها ومَواضِعِها، وكَثيرًا ما يُسْـنِدُ إلَيْـهِ ابْنُ دُرَيْدٍ والأصْمَعِيُّ. قالَ ابْنُ الفَوّار والْوَزيـرُ (؟): إنَّـهُ أدْرَكَ أوائِـلَ الإسـلامِ ". وهـذا نَسَبٌ لَمْ نَجِدْ لَهُ أصْـلاً، ولَعَـلَّ الأنطـاكِيَّ اخْتَلَـطَ عليـهِ الأَمْـرُ فتَحَـدَّثَ عَـنْ الرُّقاشِـيِّ اللغَوِيِّ الْمَعروفِ؛ فضْلاً عَنْ أنَّ الصِّمَّةَ القُشَيريَّ مِمَّنْ عاشَ فِي عَصْـرِ بَـنِي أُمَيَّـةَ، وهـذا الذي يتحدَّثُ عنه الأنطاكِيُّ قِيـلَ إنَّـه أدرَكَ الإسـلامَ، ولعلَّـهُ إنّمـا يتحـدَّثُ عَـنْ أحَـدِ الصِّمَّتَيْنِ الكَبيرَيْنِ الجاهِلِيَّيْنِ. ودَليلُنـا عَلـى وَهْـمِ الأنطـاكِيِّ قَوْلُـهُ فِي رَيّـا إنَّـها: "بِنْـتُ مَسْعُودِ بْنِ رُقاشٍ أيضًا"، وهي على ذلكَ عَمَّتُهُ !

- **حَياتُهُ وعِشْقُهُ رَيّا:**

لَيْسَ بَيْنَ أيْدينا ما يُمَكِّنُنا من الْحَديـثِ عَـنْ مِيـلادِ الصِّمَّـةِ، فَالْمَصـادِرُ عـادَةً مـا تَكونُ ضَنينَةً بِمثْلِ هذه الأخْبار؛ لأنَّ التَّأريخَ حتّى لِعُظَماءِ القَوْمِ لَـمْ يَكُـنْ سَـهْلاً حَتّـى يُصْبِحَ الواحِدُ مِنهُم ظاهِرَ الشَّأْنِ؛ وَإذْ ذاكَ يتنَبَّهُ له أهْـلُ الأدَبِ ورُواةُ الأخبـار، ولِـهذا قَدْ يُظْفَرُ بتاريخِ وفاةِ الواحِدِ من الشُّعَراءِ المتقدِّمِينَ؛ أمّا تاريخُ مِيلادِه فَأمْرُهُ عَسـيرٌ غايَـةَ العُسْرِ .

وتُشيرُ جلُّ مَصادِرِ ترجَمَتِه إلى أنَّهُ " شاعِرٌ إسلامِيٌّ بَدَوِيٌّ مُقِلٌّ مِن شُعَراءِ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّة، ولِجَدِّه قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ صُحْبَةٌ بـالنَّبِيِّ صلّـى الله عليـهِ وسـلَّم، وهـو أحَـدُ وفـودِ العربِ الوافِدِينَ عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وآلِه "(١).

ولعلَّ الرِّوايَةَ الوَحيدَةَ التِي ظَفِرْنا بِها هِيَ روايَةُ الأنطاكِيِّ فِي تَزيينِ الأسواقِ؛ وهِيَ روايَةٌ ضَعيفَـةٌ لا شَـكَّ فِي كَوْنِـها صِيغَـتْ لِتَكـونَ قِصَّـةً مِـنْ قصَـصِ العُشّـاقِ؛ يَرْويـها

---

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩١، ويبدو أنّ مَنْ تَرْجَموا للصِّمَّةِ اعتَمَدوا على ترجَمة أبي الفرجِ له

القَصّاصونَ على النّاسِ في مَجالِسِهِم. وَنَحْنُ إنّما نَذْكُرُهـا إيناسـاً واسْتِئْناسـاً؛ قـالَ[١]:
"وريّا هيَ بِنْتُ مَسْعُود بْنِ رُقاشٍ أيضًا، كـانَتْ ذاتَ ظَرافَـةٍ وفِراسَـةٍ وَمَعْرِفَـةٍ وَحُسْـنٍ، نشَأَتْ مَعَ الصِّمَّـةِ صَغِـيرَيْنِ، وكانـا يَتَذاكَـرانِ الأَدَبَ وَمُلَـحَ الأشْـعار، فَـأُعْجِبَ بِـها، وتَمَكَّنَتْ مِنهُ، ولَمْ يَكُنْ عِنْدَها مِنهُ مِقْدارَ ما عِنْدَهُ مِنْها، فَلَمّا شَـكا مـا يَجِـدُ مِنـها إلى بَعْضِ أصدِقائِه أرْشَدَهُ إلى تَزَوُّجِها، فَخَطَبَها إلى عَمِّه" .

ولا شَكَّ لَدَيْنا في أنَّ الصِّمَّةَ قَدْ نشَـأَ في قَبيلَـةٍ عُـرِفَ فيـها الشِّـعْرُ بِكَـثْرَةٍ[٢]، وفي دِيارِ عَمَّتْها خَيْراتُ الْماءِ، وجادَتْها السَّماءُ بِخَيْراتٍ عَميمَةٍ كَما تقدَّمَ في وصْـفِ دِيـار قُشَيْر[٣]. ويَبْدو أنّه قالَ الشِّعْرَ يافِعًا، وأنَّهُ أحبَّ ابْنَةَ عَمِّهِ (ريّـا) في سِـنٍّ مُبَكِّـرَةٍ أيضًـا، نسْتَدِلُّ عَلى ذلِكَ مِنْ إجْماعِ الرِّواياتِ التاريخيَّةِ عَلى أنَّهُ تَوَجَّهَ وَحْدَهُ إلى عَمِّـه لِخِطْبَـةِ (ريّا)[٤]، وهذا فيهِ شَيءٌ مِنَ الرُّعُونَةِ مِمّا يدُلُّ عَلى صِغَرِ سِنِّهِ وَقْتَها .

---

(١) تزيين الأسواق، ١ ص ٢٣٠

(٢) تقدَّم أنّ جدَّه قُرَّة بنَ هُبَيْرَة شاعِرٌ، وكانَ أبوهُ شاعِرًا؛ نسَبَ إليهِ الْهَجَرِيُّ شِعْرًا قالَهُ حينَ هـاجَرَ الصِّمَّـةُ إلى الشّام .

(٣) وهم بعض مَنْ ترجَم له من المعاصرينَ؛ فقالوا إنَّهُ سَكَنَ باديةَ العِراقِ، وإنّه هاجَرَ مِنَ العـراقِ إلى الشّـامِ، وهـذا ليسَ صحيحًا؛ فالصِّمَّةُ وُلِدَ في دِيارِ قُشَيرٍ؛ وهذه في نَجْدٍ، بَيْدَ أنَّ هؤلاءِ وهموا لَمّا نقلوا عَنِ الزِّرِكْلي الذي قالَ إنَّهُ سَكَن باديَةَ العراق، فهذا القَولُ جَرى على طريقةِ مؤرِّخي الأدبِ الذين جعلوا كلَّ شُعَراء نَجْدٍ مَعدودينَ في أهلِ العراقِ، وخاصَّةً في عَهْدِ بَني أميَّة؛ لوفـودِ شُـعَراء نَجْـدٍ عَلـى الْمُـدُنِ العِراقيَّـة (العـرب، ص ١٣٩)، انظـر: الأعْلام، ٣ ص ٢٠٩، عزيزة فوال بابتي، مُعجم الشُّعراء المخضرمـين والأمويّـين، (بـيروت: جـروس، ٢٠٠٠)، ص ٢١٦

(٤) انظر في ذلكَ الأغاني، ٦ ص ص ٢٩٥-٢٩٦، سمط اللآلي، ١ ص ص ٤٦١-٤٦٢، عبـد القـادر بـن عُمـر البغدادي، خِزانَة الأدب، تحقيق عبد السّلام هارون، (القاهرة: دار الكـاتب العربي، ١٩٦٨)، ٣ ص ص ٦٢-٦٣، ولا يَخْرُجُ عن هذه الرِّوايات سوى ما رواه اليزيديّ عن ابن الكَـلْـكَريِّ، مِنْ أنَّ أبا الصِّمَّةِ هُوَ الذي خَرَجَ يَخْطِبُها عليهِ، وفي الرِّوايَةِ ما يدلُّ على أنَّ الصِّمَّة كان قد طلبَ (ريّا) مِن عَمِّه أوَّلاً، بدليلِ أنَّ أباهُ ساقَ مَهْرَها مَعه ناقِصًا ناقَةً واحِدَةً، وكان المهرُ مائةَ ناقَةٍ (انظر مراثي اليزيديّ، ص ص ٣٠٦-٣٠٧)

وتختَلِفُ الْمَصادِرُ في (ريّا) هذه؛ فصاحِبُ الأغاني قالَ[1]: "كانَ مِنْ خَبَرِ الصِّمَّةِ أَنَّهُ هَوِيَ امرَأةً من قَوْمِهِ؛ ثُمَّ مِنْ بَناتِ عَمِّهِ دِنْيَةً يُقالُ لَها: العامِرِيَّةُ بِنْتُ غُطَيْفِ بْنِ حَبيبِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فخَطَبَها إِلَى أبيها"، وبالنَّظَرِ في أبناءِ قُرَّةَ عِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ نَجِدُ لَهُ مِنْهُم حَبيبًا والطُّفَيْلَ[2]، وهذا يُقَوّي هذه الرِّوايَةَ، وبِهذا يَكونُ اسْمُها (العامريَّة) و(ريّا) لَقَبًا لَها، أو يَكونُ العَكسُ صَحيحًا؛ أي أنّ اسْمَها (ريّا)، و(العامريَّة) لَقَبٌ لَها عَلى النِّسْبَةِ إلى قَوْمِها بَني عامِرٍ .

لكنَّ الْهَجَريَّ ذكَرَ الصِّمَّةَ بِوَصْفِهِ (صاحِبَ طَيّا)، وحينَ كانَ يُوْرِدُ لَهُ شِعْرًا فيه اسْمُ (ريّا) كانَ يُعَلِّقُ في الحاشِيَةِ (الصَّوابُ طَيّا)، وهذا يَحْمِلُ عَلى اعتِقادِ أنَّ اسْمَ حبيبَتِه الحقيقيَّ إنّما هُوَ طَيّا، وأنَّ ريّا ما هُوَ إلاّ تحريفٌ " دَفَع إليهِ شُهْرَةُ اسْمِ ريّا وغَرابَةُ اسْمِ طَيّا " كَما رَأى الشَّيْخُ حَمد الجاسِر[3]. لكنَّ لَنا في هذا رَأيًا آخرَ، نؤكِّدُ فيهِ أنَّ اسْمَها إنَّما هُوَ (ريّا)، وأنَّ (طَيّا) يَحْتَمِلُ أنْ يَكونَ لقَبًا مِنْ أَلْقابِها، أو تَحريفًا لاسْمِ (ريّا)، ودَليلُنا على ذلك نُوْرِدُه في الكلامِ عَلى دِيوانِ الصِّمَّةِ وشِعْرِه بَعْدَ صَفَحاتٍ يسيرة !

وتَتَّفِقُ مصادِرُ تَرْجَمةِ الصِّمَّةِ عَلى أنَّه أحبَّ (ريّا)، ووجدَ بِها وَجْدًا شَديدًا دَفَعَهُ إلى مُكاشَفَةِ عَمِّهِ بِحُبِّهِ لابْنَتِه، وطَلَبِه الزَّواجَ مِنها دونَ أنْ يَلْجأَ إلى أبيهِ؛ ونَظُنُّ أنَّهُ ما فَعَلَ هذا إلاّ لأحَدِ سَبَبَيْنِ: أوَّلُها أنَّه تَوَقَّعَ من أبيهِ أنْ يَصُدَّهُ ويَرْفُضَ السَّعْيَ لَه لأمْرٍ بيْنَهُ وبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ غُطَيْفِ بْنِ حَبيب، والآخَرُ أنَّهُ كانَ يافِعًا شَديدَ الْوَجْدِ بِها، فوَجَدَ نفسَهُ يتقدَّمُ من عَمِّهِ ويُفاتِحُه في أمْرِها .

---

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩١

(٢) جَمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٠

(٣) العرب، ص ص ١٤٠-١٤١

وتُشيرُ الرِّواياتُ إلى أنَّ والِدَ (ريّا) أجابَ الصِّمَّةَ إلى طَلَبِه[1]، ووافقَ على تَزويجِه مِنْ (ريّا) عَلى مَهْرٍ اختَلَفت الرِّواياتُ فيهِ؛ فَبَعْضُها يَذْكُرُ أنّه طلبَ مَهْرًا قَدْرُهُ مائةُ ناقَةٍ حِسانٍ، وبَعضُها جَعَلَ الْمَهْرَ خَمْسينَ ناقَةً[2]. فَعادَ الصِّمَّةُ إلى أبيهِ طالِبًا منه العَوْنَ في دَفْعِ الْمَهْرِ، وتختلفُ الرِّواياتُ مرَّةً أخْرى هُنا في موقِفِ أبيهِ؛ إذ تُشيرُ بعضُ الرِّواياتِ إلى أنَّ أباهُ أعطاهُ الْمَهْرَ ناقِصًا ناقَةً واحِدَةً؛ أي تِسْعًا وتِسْعينَ ناقَةً أو تسْعًا وأرْبعينَ؛ وحينَ نبَّهَهُ الصِّمَّةُ قائلا: " أكْمِلْها ! فقالَ: هُوَ عَمُّكَ، وَما يُناظِرُك في ناقَةٍ. فَجاءَ إلى عَمِّه بِها، فقالَ: واللهِ لا أقْبَلُها إلاّ كُلَّها. فَلَجَّ عَمُّه ولَجَّ أبوهُ. فقالَ: واللهِ ما رَأيْتُ ألأمَ مِنْكُما، وأنا ألأَمُ مِنكُما إنْ أقَمْتُ مَعَكُما. فرَحَلَ إلى الشّامِ "[3].

وَبَعْضُها يُشيرُ إلى تَمَنُّعِ أبيهِ عليهِ في دَفْعِ الْمَهْرِ إلى عَمِّهِ، فتوجَّه الصِّمَّةُ إلى قَوْمِه فأعطُوهُ. قالَ البَكريُّ [4]: "سألَ أباهُ أنْ يُعينَهُ فأبَى، وسألَ عشيرَتَه فأعْطوهُ، فأتَى عَمَّه بالإبِلِ؛ فقالَ: لا أقْبَلُها إلاّ مِنْ مالِ أبيكَ. وعاوَدَ أباهُ فَمَنَعَهُ، فلَمّا رأى ذلك مِنْهُما قَطَعَ عُقُلَ الإبِلِ وأرْسَلَها، فعادَ كُلُّ بَعيرٍ إلى ألآفِهِ مِنْها، وتَحَمَّلَ الصِّمَّةُ راحِلاً". وهذه الرِّوايَةُ تَحْمِلُ ما يُثيرُ؛ إذ كَيْفَ عرفَ عَمُّهُ أنَّ الإبِلَ ليسَتْ من مالِ أبيهِ إلاّ إذا كانَ أبوهُ قَد وسَمَ إبِلَه بِمِيْسَمِه، لكنّ هذه الرّواية جاءت عند الأصفهاني بطريقةٍ أُخرى تزيلُ الشُّبْهَةَ .

---

(١) ذكرَ الأصفَهانيُّ في بعضِ الرِّواياتِ أنّ عَمَّه " أبى أنْ يزوِّجَهُ إيّاها" (الأغاني، ٦ ص ٢٩١)، وليسَ صحيحًا ما ذكره بَعضُ من تَرجَم له من المعاصرينَ حينَ جعَلوا رَيّا هيَ التي رفضَتْهُ بحُجَّةِ أنّه لَمْ يستَطِعْ أنْ يَمْهَرَها بخَمسينَ بَعيرًا، فالتّأكيدُ أنّ والِدَها هُوَ الذي أجابَ أو رَفضَ واردٌ بكثرَةٍ في الرِّواياتِ، وأنها تألَّمَتْ لَمّا كانَ ذلكَ من أبيها وعَمِّها أبي الصِّمَّةِ. ومن هؤلاءِ الأستاذ عفيف عبد الرّحمن، معجم الشُّعراء من العصر الجاهليّ حتّى نهاية العصر الأمويّ، (عَمّان: دار المناهل،)، ص ١٣١، عزيزة بابتي، معجم الشّعراء المخضرمين والأمويّين، ٢١٦

(٢) يذكر الأصفَهاني في روايَةٍ أُخرى أنّ عمّه وافقه على طلبه، لكنّه "اشتَطَّ عليهِ في الْمَهْرِ" (الأغاني، ٦ ص ٢٩٥)، وكذلك البكريّ في سمط اللآلي، ١ ص ٤٦٢، وابنُ هِشام في شرح الشّواهد في خزانة الأدب، ٨ ص ٦٢، ومِمَّنْ جَعَلَها مائة ناقَةٍ اليزيديّ في مراثيه، ص ٣٠٦، تزيين الأسواق، ص ٢٩١، ومِمَّن جعلها خمسينَ أبو رياش في خزانة الأدب، ٣ ص ٦٢

(٣) خزانة الأدب، ٣ ص ص ٦٢-٦٣

(٤) سمط اللآلي، ١ ص ٤٦٢

قالَ الأصْفَهانيُّ وقد نسبَ الرِّوايَـةَ إلى مُوسَـى بْـنِ عَبْـدِ اللهِ التَّيْمِيِّ (١): "خطَـبَ الصِّمَّةُ القُشَيْرِيُّ بِنْتَ عَمِّه، وكانَ لَها مُحِبًّا، فاشْتَطَّ عليهِ عَمُّهُ في الْمَهْرِ، فسأَلَ أبـاهُ أنْ يُعاونَه، **وكانَ كَثيرَ الْمالِ**، فَلَمْ يُعِنْهُ بشَيْءٍ. فسَأَلَ عشيرَتَهُ فَأعْطوهُ، فأتَى بالإبِلِ عَمَّـه. فقالَ: لا أقْبَلُ هذه في مَهْرِ ابْنَتِي، فاسْأَلْ أباكَ **أنْ يُبْدِلَها لكَ**. فسـأَلَ ذلـكَ أبـاهُ، فـأبى عَلَيْهِ، فلَمّا رأى ذلك من فِعْلِهِما قطَعَ عُقُلَها وَخَلاّها، فعادَ كلُّ بَعيرٍ مِنْـها إلى آلافِـه ". وهذه الرِّوايَةُ تدلُّ عَلى حقيقَةِ ما جَرى؛ إذ يبـدو أنَّ مـالَ أبـي الصِّمَّـةِ عبـدِ اللهِ كـانَ كثيرًا مَعْروفًا مُمَيَّزًا مِنْ مالِ غيْرِه، وأنَّ ما أعطاهُ قومُه من إبِلٍ كانَ مَهْزولاً، فأرادَ عَمُّـهُ منه استِبدالَها من مالِ أبيهِ فأبى.

والغَريبُ في هذه الرِّواياتِ جَميعِها هذا الموقِفُ من أبيـهِ وعَمِّـه، فكِلاهُمـا وقـفَ من الصِّمَّةِ في زواجِهِ موقِفًا يدلُّ على عَلاقَةٍ مُريبَةٍ بينَهُما. وقَد لا يَكـونُ ميْسـورًا تبيُّـنُ طبيعَةِ هذه العلاقةِ الواهِيَةِ؛ غَيْرَ أنَّ إجْماعَ الرِّواياتِ تقريبًـا عَلـى أنَّ الصِّمَّـة هُـو الـذي طلبَ (ريّا) من عَمِّه، وأنَّ أبـاهُ إمّـا لَـمْ يُعِنْـهُ بالْمَـهْرِ، أو أعطـاهُ الْمَـهرَ ناقِصًـا دونَ أنْ يذْهَبَ هُوَ بنفسِهِ لِطَلَبِ (ريّا) لابْنِه الصِّمَّةِ، وإمّا رفضَ أنْ يُعطِيَهُ نُوقًـا بديلَـةً عـن الـتي أعطاهُ إيّاها بَنو عشيرَتِه، وأنَّ أباهُ كانَ كثيرَ الْمالِ؛ يَدُلُّ هذا كلُّـه عَلـى أنّ أبـا الصِّمَّـةِ كانَ رافِضًا زواجَ ابْنِه من (ريّا). كَما أنّ إجْماعَ الرِّواياتِ عَلى تَمَحُّـكِ أبـي (ريّـا) في طلَبِ الْمَهْرِ واشتِطاطِه على الصِّمَّةِ فيهِ، أو طلبِهِ منه أنْ يستَبْدِلَ نُوقًا من إبِلِ أبيــهِ بِـها، أو رَفْضِهِ مَهْرَ (ريّا) ناقِصًا ناقَةً واحِـدَةً، دالٌّ عَلـى تَمَحُّكِـهِ ولَجاجَتِـه، وكأنَّـهُ يشـتَرِطُ عَلى الصِّمَّةِ ما يُعْجِزُهُ .

لعلَّنا نستَنْتِجُ من هذا أنَّ غُطَيْفًا والِدَ رَيّا كانَ فقيرَ الحالِ؛ حاسِدًا لابْـنِ عَمِّـه عبْـدِ اللهِ والِدِ الصِّمَّةِ، وأنَّ عَبْدَ اللهِ كانَ يَحْقِرُ غُطَيْفًا لِفَقْرِه وقِلَّةِ ذاتِ يَدِه . وقَـدْ يَدْفَعُنـا إلى تَرْجيحِ هذه النَّتيجَةِ ما تُشيرُ إليْهِ الرِّواياتُ مِنْ أمْرِ تَزْويجِ رَيّا بِثَرِيٍّ مِـنْ أثْريـاءِ العَـرَبِ؛

(١) الأغاني، ٦ ص ص ٢٩٥-٢٩٦

وَرَجُلٍ مِنْ رجالاتِها الْمَعْدودِينَ حسَبًا. قالَ الأصْفَهانيُّ مُسْنِدًا الرِّوايَةَ إلى ابْـنِ دَأْبٍ[1]:
" ... وَخَطَبَها عامِرُ بْنُ بِشْرِ بْنِ أبي بَراءِ بْنِ مـالِكِ بْـنِ مُلاعِـبِ الأسِـنَّةِ بْـنِ جَعْفَـرِ بْـنِ كِلابٍ، فزَوَّجَهُ إيّاها، وكانَ عامِرٌ قَصيرًا قَبيحًا، فقالَ الصِّمَّةُ بْنُ عبدِ اللهِ في ذلكَ:

فَإنْ تُنْكِحُوها عامِرًا لاطِّلاعِكُمْ   إلَيْهِ يُدَهْدِهْكُمْ بِرِجْلَيْهِ عامِرُ "

ويَذْكُرُ صاحبُ تزيين الأسواقِ في ما رواهُ عن صاحبِ (قوت القُلـوبِ في أخبـار الْمُحِبِّ والْمَحْبوبِ)[2]: " أنَّهُ قَدِمَ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ غاوي بْنَ رشيدِ بْنِ طِلابةَ الْمَذْحِجِـيَّ عَلى مَسْعودٍ، فخَطَبَ مِنه رَيّا، وأمْهَرَها ثلاثمائةِ ناقَةٍ بِرُعاتِها، فزَوَّجَهُ بِها، فَحَمَلَـها إلى مَذْحِج. فبلَغ ذلك الصِّمَّةَ فَلَزِمَ الْوِسادَ، وطالَ أمْرُه " .

والنّاظِرُ في كِلا الرِّوايَتَينِ، باخْتِلافِ الأسْماءِ فيهِما، يَجِدُ أنَّ مَن تـزوَّجَ رَيّـا كـانَ مُوْسِرًا واسِعَ الْحالِ، وأنَّ غُطَيْفًا - أو مَسعُودًا - أباها إنّما كانَ يَنْظُرُ إلى مـا يُمْكِـنُ أنْ يكسبَهُ مِنْ وراءِ زَواجِها، ونَحْنُ نَجِدُ شَيْئًا من شِعْرِ الصِّمَّةِ يؤكِّدُ مثْلَ هذا التَّوجُّهِ[3].

---

(1) نفسه، ٦ ص ٢٩٢، وقد وهم الأستاذ ياسين الأيّوبي حين قالَ في ترجمتِه للصِّمَّةِ بشأنِ ريّا: "رفضَ عمُّهُ تزويجَهُ منها، وزوَّجَها لشاعرٍ مشهورٍ هُوَ مُلاعِبُ الأسِنَّةِ"، وعامِرٌ هذا كَما في روايةِ أبي الفرجِ مِـن أحفادِ مُلاعِـب الأسِـنَّةِ! انظر (ياسين الأيّوبي، مُعجم الشّعراء في لسان العرب، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١)، ص ٢٣٦

(2) تزيين الأسواق، ١ ص ص.٢٣٠-٢٣١

(3) أثبتَ البغداديُّ للصِّمَّةِ أبياتًا داليَّةً قالَ في أحَدِها :

لَحا اللهُ نَجْدًا كَيفَ يَتْرُكُ ذا النَّدَى   بَخيلاً، وَحُرُّ القَوْمِ تَحْسَبُهُ عَبْدًا

وقالَ: "نقل ابنُ المستَوفي عَن ثعلبٍ أنَّ الْمُراد من هذا البيتِ أنَّ عيشَ نَجْدٍ عيشٌ شَديد؛ لا بُدَّ أن يَقومَ بالمالِ فِيهِ وإلاَّ ضاعَ، ونقل عن ابْنِ الأعرابيِّ أيضًا أنّه ذمَّ نَجْدًا لِشِتائِه وقَيْظِه. وهـذا إنَّمـا يَصِحُّ مَـعَ قَطْـعِ النَّظَـرِ عـن سببِ الشِّعْرِ" (خِزانة الأدب، ٨ ص ص ٦٣-٦٤)، وقالَ نقلاً عن ابْنِ هِشامٍ وقد ساقَ قِصَّـةَ الصِّمَّـةِ مختصـرَةً: "وكانَ مِن خبرِه؛ أي الصِّمَّةِ، أنّه خطب ابنة عمِّه، فاشتَطَّ عليهِ عمُّه في المهرِ، وبخل عليه أبوه بالجمالِ، فَزُوِّجَت من غيرِه؛ فغضب من عمِّه وأبيهِ، وخرجَ إلى طبرستان؛ وهي مقرُّ الدَّيْلَم، فأقام بِها مُدَّةَ حياتِه إلى أنْ ماتَ فيها، فلِهذا تارةً ما يَحِنُّ إلى نَجْدٍ، وتارةً يذُمُّه " (خزانة الأدب، ٨ ص ص ٦٢-٦٣)، وقالَ في مَكانٍ آخرَ في التّعليقِ على البيتِ ذاتِه بروايَةِ (كيفَ يترك ذا الغِنَى فقيرًا) بعْدَ أنْ أوْرَدَ تفسيرًا بعيدًا عَن ابْنِ الْهَيْصَـمِ: " ... وكأنَّـهُ لَـمْ يَقِفْ عَلى هذه القصيدَةِ، ولا عَلى شَيءٍ مِنْ خَبَرِها" (نفسه، ٨ ص ٦٤)

هذا ما كانَ مِنْ أمْرِ طَلَبِ الصِّمَّةِ الزَّواجَ من (ريّا)، وتقولُ الرِّواياتُ إنَّ ريَّا حينَ بَلَغَها ما حدَثَ قالَتْ: "تاللهِ ما رَأيْتُ رَجُلاً باعَتْهُ عَشيرَتُهُ بِأبْعِرَة"[١]. لكنّ رُواةِ أخبارِهِ يختلفونَ مرَّةً أخْرى في رَحيلِهِ: هَلْ كانَ مُباشِرًا فَوْرَ فشَلِهِ في الزَّواجِ من ريّا، أمْ أنَّهُ أقامَ مُدَيْدَةً في قَوْمِهِ ثُمَّ ترَحَّلَ ؟

نقَلَتْ بَعْضُ الرِّواياتِ أنَّ الصِّمَّةَ تَحمَّلَ راحِلاً عَنْ دِيارِهِ إلى الشّامِ بَعْدَ الّذي حَدَثَ، وأنَّ (ريّا) قالَتْ قَوْلَتَها تلكَ لَمّا رأتْهُ يتَحَمَّلُ للرَّحيلِ؛ فَما كادَ يَسْمَعُ رَدَّ أبيهِ وعَمِّهِ حتّى "مَضى مِنْ وَجْهِهِ حتّى لَحِقَ بالثَّغْرِ"[٢]. ونقَلَ بُعضُها أنّه "رَحَلَ إلى الشّامِ فَلَقِيَ الْخَليفَةَ، فكلَّمَهُ، فَأُعْجِبَ بِهِ، وفَرَضَ لَهُ، وألْحَقَهُ بالفُرْسانِ"، غَيْرَ أنَّنا لا نَدْري أيَّ خليفةٍ كانَ في دِمَشْقَ[٣]. والظّاهِرُ أنَّ الصِّمَّةَ أقامَ في دِياره زَمَنًا لَمْ تُحَدِّدْهُ المصادِرُ، ذلكَ بأنَّ أهْلَهُ زَوَّجوهُ مِنْ إحْدى فَتَياتِ العشيرَةِ حِينَ تَزَوَّجَتْ ريّا، ورَحَلَ بِها عامِرٌ زَوْجُها إلى دِيار قَوْمِه.

قالَ الأصْفَهانيُّ نَقْلاً عَنْ ابْنِ دَأبٍ[٤]: "فَلَمّا بَنى بِها زَوْجُها وَجَدَ الصِّمَّةُ بِها وَجْدًا شديدًا وحَزِنَ عليْها، فزَوَّجَهُ أهْلُه امرَأةً منهُمْ يُقالُ لَها (جَبْرَةُ) بِنْتُ وَحْشِيِّ بْنِ

---

(١) الأغاني، (بيروت: دار الثّقافة، ١٩٥٦)، ٦ ص ٨

(٢) انظر الأغاني، دار الثقافة، ٦ ص ص ٨، ٩

(٣) انظر خِزانة الأدب، ٣ ص ٦٢ نقلاً عَنْ أبي رياشٍ في شَرْحِهِ الْحَماسَة، وانظر أيضًا جلال الدّين السّيوطيّ، شرح شواهد المغني، ص ٢٢٢. وقد جانبَ عبد العزيز الفيصل الصّوابَ والدِّقَّةَ حِينَ نسبَ هذا القَوْلَ إلى الْمَرزوقيِّ في شَرْحِ الْحَماسَةِ، وأحالَ عليهِ في (٣ ص ١٢١٥)، وليسَ القولُ واردًا فيه، ويبدو أنّه خلَطَ فنقَلَ المعلومةَ من الخِزانَةِ مُشارًا فيها إلى شَرْحِ الْحَماسَةِ، ولَمْ يتنبَّه إلى أنَّ المقصودَ شَرْحُ الْحَماسَةِ لأبي رياشٍ، وهو كتابٌ لَمْ يَصِلْنا، فنَسَبَ الرِّوايَةِ إلى الْمَرزوقيِّ حينَ لَمْ يَجِدْها في شَرْحِهِ لِديوانِ الْحَماسَةِ !! انظر ديوان الصِّمَّة القُشَيريّ، ١٤

(٤) الأغاني، دار إحياء التُّراث، ٦ ص ٢٩٢. ومن الجدير ذِكْرُه أنّ الأصْفَهانيّ انفرَدَ بهذه الرِّواية، لكنَّ ذِكْرَه وحشِيَّ ابْنَ الطُّفَيْلِ دليلٌ عَلى صِدْقِ روايَتِه، فضْلاً عَنْ روايَتِه بيتَ الشِّعْرِ الذي قالَهُ الصِّمَّةُ لِزَوْجَتِه جَبْرَةَ ! ولسنا نَدري إذا كانَ الصِّمَّةُ قَدْ أنْجَبَ من (جَبْرَةَ) أمْ لا؛ لكنَّ قَوْلَهُم إنّه خلّف امرأتَه في قَوْمِه دالٌ عَلى أنّه لَمْ يُنْجِب مِنها

الطُّفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فأقامَ عليْها مُقامًا يسيرًا، ثُمَّ رَحَلَ إلى الشامِ غَضِبًا عَلى قَوْمِه، وخلَّفَ امْرَأَتَهُ فيهم، وقالَ لَها:

كُلِي التَّمْرَ حتَى تَهْرَمَ النَّخْلُ واضْفُري خِطامَكِ، لا تَدْرينَ ما اليَوْمُ مِنْ أمْسِ"

يدُلُّ عَلى هَذا أيضًا ما نقَلَهُ أبو الفرَجِ، قالَ[1]: "أخبَرَني حبيبُ بْنُ نَصْرٍ الْمُهَلَّبِيُّ ... عَنْ بَعضِ بَني عُقَيلٍ، قالَ: مررْتُ بالصِّمَّةِ بْنِ عبد اللهِ القشيريِّ يوما وَهو جالسٌ وَحدَه يَبكي، ويُخاطِبُ نفسَه ويَقولُ: لا واللهِ ما صَدَقَتْكَ في ما قالَتْ! فقلْتُ: مَنْ تَعْنِي وَيْحَكَ؟ أجُنِنْتَ؟ قالَ: أعْنِي التي أقولُ فيها:

أمَا وَجَلالِ اللهِ لَوْ تَذْكُرِينَني كَذِكْرِيكِ، ما كَفْكَفْتِ للعَيْنِ مَدْمَعا

فَقالَتْ : بَلَى واللهِ ذِكْرًا لَوَ انَّهُ يُصَبُّ عَلى صُمِّ الصَّفا لَتَصَدَّعا

أسَلِّي نَفسي عَنْها، وأخبِرُها أنَّها لَوْ ذكَرَتني كَما قالَتْ لَكانَتْ في مِثْلِ حالي". فهذه الرِّوايَةُ دالَّةٌ عَلى أنَّهُ بَقِيَ في دِيار قومِه زَمَنًا، ذلكَ أنَّ بَني عُقَيْلٍ مِنْ بَني كَعْبِ بْنِ رَبيعَةَ، وهُمْ جيرانُ القُشَيرِيّينَ، وما مرَّ بِه هذا العُقَيْلِيُّ إلاّ في دِيار قَوْمِه قَبْلَ رَحيلِه .

وتُتَابِعُ الرِّواياتُ في شأْنِ هِجْرَةِ الصِّمَّةِ أنَّهُ هاجَرَ إلى بِلادِ الشّامِ، فيما يُشيرُ بعضُ شِعْرِه إلى أنَّه سَلَكَ - في طريقِ هِجْرَتِه مِنْ نَجْدٍ إلَى مَكَّةَ أوَّلاً - سَبيلاً، وعَدَّدَ في إحْدى قصائِدِه الأماكِنَ الّتي مَرَّ بِها حتّى بلَغَ البيْتَ الْحَرامَ، ثُمَّ سَلَكَ إحْدَى طَريقَيْنِ: إمّا إلى الشّامِ مُباشَرَةً مُرورًا بَأذْرعات في الأرْدُنِّ، ثُمَّ بُصْرَى الشّامِ حتّى وصَلَ دِمَشْقَ، وإمّا إلَى الشّامِ عَبْرَ الْعِراقِ كَما خَمَّنَ الشَّيْخُ الجاسِرُ[2].

---

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩٥٤-٢٩٥

(٢) العرب، ص ١٤٧، وانظر في رحيله إلى الشّامِ سمط اللآلي، ١ ص ٤٦٢، مراثي السيزيدي، ص ٣٠٧، في حين يذكر الأنطاكيُّ أنّه بعدَما حدّث من أبيه وعمِّهِ "خرجَ عَنْهُما إلى العِراقِ"، ولعلَّ هذا يُرجِّحُ ظنَّ الشَّيْخِ الجاسِرِ من أنَّ الصِّمَّةَ ترحَّلَ إلى الشّامِ عَبْرَ الطّريقِ إلى العِراقِ أوّلاً. (تزيين الأسواق، ١ ص ص ٢٢٩-٢٣١)

وتُجْمِعُ الرِّواياتُ عَلى أنَّ الصِّمَّةَ قَدْ الْتَحَقَ بَجَيْشِ الفُتُـوحِ الْمُتَوَجِّـه إلى الشَّـرْقِ؛ قالَ ابْنُ دَأْبٍ في ما رَواهُ أبو الفَـرَجِ [1]: " أخْـبَرني جَماعَـةٌ مـن بَـني قُشَيْرٍ أنَّ الصِّـمَّـة خرجَ في غَزيٍّ من المسلِمينَ إلى بَلَدِ الدَّيْلَم، فَماتَ بِطَبَرِسْتانَ" .

- **وَفاتُــه:**

ذكَرَ الأصْفَهانِيُّ خَبَرًا يَلُفُّهُ الْغُموضُ حَـوْلَ وَفـاةِ الصِّمَّـةِ القُشَـيريِّ، جـاءَ فيـهِ[2]: "أخبَرَني محمّد بنُ خَلَفٍ عَنْ وَكِيعٍ وَعَمِّه؛ قالا: حدَّثَنا هارونُ بْنُ محمَّدِ بْنِ عبـدِ الملِـكِ الزّيّاتِ؛ قالَ: قالَ عبدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إسماعيلَ الْجَعْفَرِيُّ: حدَّثَنا عبد اللهِ بْنُ إسحاقَ الجَعْفريُّ عن عبد العزيز بْنِ أبي ثابتٍ؛ قـالَ: حدَّثَنِـي رَجُـلٌ مـن أهْـلِ طَبَرِسْـتانَ كَبيرُ السِّنِّ، قالَ: بَيْنا أنا يَومًا أمشي في ضَيْعَةٍ لِي فيها أَلْوانٌ مـن الفاكِهَـة والزَّعفَـران، وغـيرِ ذلكَ من الأشْجار؛ إذ أنا بإنسانٍ في البُسْتانِ مَطروحٍ عليهِ أهْدامٌ خُلْقـانٌ، فدَنَـوْتُ منـهُ فإذا هُوَ يَتحرَّكُ وَلا يتكلَّمُ، فأصْغَيْتُ إلَيْهِ؛ فإذا هُوَ يَقولُ بِصَوْتٍ خَفِيٍّ :

تَـعَزَّ بِصَبْرٍ لا وَجَدِّكَ لا تَـرَى ... بَشامَ الْحِمَى أخرى اللّيالي الْغَوابِرِ

كَـأنَّ فُؤادِيْ مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى ... وَأَهْلَ الْحِمَى، يَهْفُو بِهِ رِيـشُ طائِرِ

قالَ: فَما زالَ يُرَدِّدُ هذَيْنِ البَيْتَيْنِ حتّى فاضَتْ نَفْسُهُ، فسَأَلْتُ عَنهُ، فقِيـلَ لِي: هـذا الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ القُشَيْرِيُّ " .

فيما رَوى صاحبُ تزيين الأسْواقِ خبَرًا فيـهِ أنَّ الصِّـمَّـةَ كـانَ قَـدْ سـألَ في خـالِي الأيّامِ عرّافًا بالعِراقِ عَنْ أمْرِ زَواجِه من رَيّا، فأخبَرَهُ أنّـه لا يـتزَوَّجُ بِـها أبَـدًا، فضَعُـفَ، وطالَ بِهِ ضَعْفُهُ، فَدَعا لَهُ صاحِبُه العِراقِيُّ (العَرّافُ) " بِطَبيبٍ حاذِقٍ، فَلَمّـا تأمَّلَـهُ قـالَ:

---

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩٢، وانظر خزانة الأدب، ٣ ص ٦٣

(٢) الأغاني، ٦ ص ٢٩٣

إنّما يشكو العِشْقَ لا غَيْرَه، وأرى أنْ يلْزَمَ النُّزْهَةَ والْفَرَحَ بِنَحْوِ البَساتِين؛ لِيَتَشاغَلَ عَمّا هُوَ فيهِ؛ فأخْرَجَه صاحِبُه مع بعضِ الْخَدَمِ إلى الثُّغُور. فبَيْنا هُوَ يَوْمًا عَلى شاطِئِ نَهْرٍ، وقد جَدَّ بِه الْكَرْبُ، إذ سَمِعَ امْرَأةً تُنادِي ابْنَتَها: (يا رَيّا)، فسَقَطَ مغشِيًّا عليهِ. فاحْتَمَلُوهُ إلَى بُستانٍ هُناكَ وَأضْجَعُوهُ. فَلَمّا أفاقَ أنْشَدَ:

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لا وَجَدِّكَ لا تَرَى ... سَنامَ الْحِمَى إحْدى اللَّيالي الْغَوابِرِ

كَأنَّ لِسانِيْ مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى ... وَأهْلَ الْحِمَى ، يَهْفُو بِهِ رِيشُ طائِرِ

وَلَمْ يزَلْ يُرَدِّدُها حتّى قَضَى، ولَمّا وصَلَ خبَرُه إلى رَيّا داخَلَها مِنَ الْوَجْدِ ما أمسَكَتْ مَعَهُ عَنِ الطّعامِ والشّرابِ، وجَعَلَتْ تَبْكِي حَتّى مَاتَتْ "[1].

ولَسْنا نُريدُ التّقليلَ مِنْ شأْنِ هاتَيْنِ الرِّوايَتَيْنِ، لكنَّ في كِلَيْهما ما يَطْعَنُ فيهما، ويُقلِّلُ مِنْ صِدْقِيَّتِهِما؛ ففي أولاهُما نَرى الرَّجُلَ الطَّبَرانِيَّ يَعرِفُ العربيَّةَ، ويَحفَظُ شِعْرًا قالَهُ الصِّمَّةُ قَبْلَ زَمَنٍ طَويلٍ، ولَمّا تَكُنْ طَبَرِسْتانُ قَدْ فُتِحَتْ بَعْدُ. وفي الأُخْرى يَبدو نَسيجُ القِصَّةِ الشّعبيَّةِ؛ والظّاهِرُ أنَّ نَسّاجَها قَدْ وجَدَ نَقصًا وثَغَراتٍ زَمنيّة وتاريخيّة في الرّواياتِ المتقدِّمَةِ عن حياةِ الصِّمَّةِ، فَما كانَ منه إلاّ أنْ أتَمَّ هذه الفَجَواتِ الزّمنيَّةَ، ووصولُ الخَبَرِ إلى رَيّا بَعْدَ وفاةِ الصِّمَّةِ (وهو بطبرستانَ)، وانتِحابُها ومَوْتُها حُزْنًا وَكَمَدًا، يُشْعِرانِ بِهذا النَّسيجِ العاطِفِيِّ الشَّديدِ في القِصَّةِ المنسوجَةِ !

وإذا كانَ الزِّرِكْلِيُّ قَدْ حدَّدَ وفاةَ الصِّمَّةِ بنَحْوِ عامِ خَمْسَةٍ وتِسْعِينَ هِجْرِيَّة (٧١٤م)[2]، فإنَّنا نظنُّه مالَ إلى تحديدِه بالنَّظَرِ إلى تاريخِ حُروبِ المسلمينَ مع الدَّيْلَمِ، وفَتْحِ طَبَرِسْتانَ، فقدَّرَ سنةَ وفاتِهِ تقديرًا لا أكْثَرَ. فالمصادِرُ التّاريخيَّةُ لا تذكُرُ شيئًا عَنْ وفاةِ الصِّمَّةِ سِوى ما تقدَّمَ من وفاتِه بطبرستان، ولعلَّنا نُرَجِّحُ ما ذهبَ إليهِ الأستاذ

(١) تزيين الأسواق، ١ ص ص ٢٣٠-٢٣١

(٢) الأعلام، ٣ ص ٢٠٩

عفيف عبد الرّحمن حينَ جعلَ وفاةَ الصِّمَّةِ واقِعَةً ما بيْـنَ ٩٠ - ١٠٠ هِجْرِيَّـة[١]، وهـو يستَنِدُ في ذلكَ إلى أنَّ تـاريخَ حُـروبِ المسلمينَ في بِـلادِ الدَّيْلَـمِ وفَتْـحِ طَبَرِسْتانَ إنّمـا يَشْمَلُ هذه المُدَّةَ من الزَّمَنِ، ويبدو أنّ ترجيحَ الزِرَكليِّ سنةَ ٩٥ إنّما كانَ علـى اختِيـار الوَسَطِ بيْنَهُما .

(١) معجم الشُّعراء، ص ١٢١

٥. هل كان الصِّمَّة أعور؟

لَمْ أجِدْ ذِكْرًا لِعَوَر الصِّمَّةِ في ما كتبَ الجاحِظُ عَنِ ذَوي العاهاتِ مِنَ العَـربِ؛ في كتابِهِ (البُرْصانُ والْعُرْجانُ والعُمْيـانُ والْحُـولانُ)، ولا في مـا كتبَـهُ الصَّفَـدِيُّ في كتابِهِ (الشُّعُور بالْعُور). ولا شكَّ عِنْدَنا في أنَّ الصِّمَّةَ كانَ ذائِعَ الصِّيـتِ في شُـعَراءِ العَـرَبِ؛ وما عَدَمُ ذِكْرِهِ في هـؤلاءِ الذيـنَ ترجَـم لَـهُم الجـاحِظُ، أو تكلَّـمَ عليـهِم الصَّفَـدِيُّ، إلاّ ترْجِيحٌ لِكَوْنِهِ صَحيحَ العَيْنَيْنِ غَيْرَ أعْوَرَ !

غَيْرَ أنَّ شارِحِي قَوْلِهِ في عينِيَّتِهِ :

بَكَتْ عَيْنِيَ الْيُمْنَى، فَلَمّا زَجَرْتُها عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أسْبَلَتا مَعا

أشـاروا إلى أنَّـهُ كـانَ أعْـوَرَ مُصابًـا بِعَيْنِـهِ الْيُسْـرَى. قـالَ الْمَرزوقـيُّ في شَـرْحِ الْحَماسَةِ[1]: "إنَّما قالَ (بَكَتْ عَيْنِـيَ الْيُمْنَـى) لأنَّـه كـانَ أعْـوَرَ مُمَتَّعًـا بِعيْنِـه اليُسْـرَى، والْعَوراءُ لا تَدْمَعُ. فيقـولُ: بَكَـتْ عيـني الصَّحيحَـةُ فاجْتَـهَدْتُ في زَجرِهـا عَـن تعـاطِي الْجَهْلِ بَعْدَ أنْ كُنتُ تَحَلَّمْتُ، وتَرَكْتُ الصِّبـا، فلَمّـا تكلَّفْـتُ ذاكَ لَـها أقْبَلَـتِ الْعَـوراءُ تَدْمَعُ مَعَها وتَبْكِي. ونبَّهَ بِهذا عَلى عِصْيانِ النَّفْسِ والقَلْبِ، وقِلَّةِ ائْتِمارِهِمـا لَـهُ، وأنَّـهُما إذا زُجِرا وَرُدَّا عَنْ مَوارِدِهِما، زادا عَلى الْمُنْكَرِ مِنْهُما" .

والنّاظِرُ في قَوْلِ المرزوقيِّ الْمُشار إليهِ بخطٍّ تحتَهُ، وفي قَـوْلِ الصِّمَّـةِ في البيـتِ الـذي يسبِقُ هذا البَيْتَ :

---

(١) أبو عليّ أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقيّ، شرح ديوان الحماسـة، نشـره أحمـد أمـين وعبـد السـلام هـارون، (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ٣ ص ١٢١٨. ومن الجدير ذِكرُه أنّ البيت يَرِدُ في بعضِ طَبَعاتِ الحَماسَـةِ (بكَتْ عيْنِيَ اليُسْرى) !

وليَستْ عَشيّاتُ الْحِمَى بِرَواجِعٍ عَلَيْكَ ولكِنْ خلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعا

يَعرِفُ أنّ تعليلَ الْمَرزوقيِّ هذا غيرُ صحيحٍ، وأنَّهُ إنّما حاولَ تفسيرَ البيْتِ (بَكَتْ عَيني الْيُمْنَى ...)، فَهُوَ يُقِرُّ بأنَّ العَيْنَ الأُخرى (العَوْراءَ) قَد دَمَعتْ وبَكتْ بَعْدَ نَهْيِهِ الصَّحيحَةَ وزَجْرِها عَنِ البُكاءِ، وكانَ قد قدَّمَ قَبْلُ أنَّ العَوْراءَ لا تَدْمَعُ أصْلاً !

هذا فَضْلاً عَنْ أنَّ رواةَ القصيدَةِ اختَلفوا في روايَةِ هذا البيْتِ؛ فمِنْهُم مَنْ رواهُ بروايَةِ المرزوقيِّ؛ أي عَلى جِهَةِ كَوْنِ عَيْنِه اليُسْرى هيَ العَوْراءَ، ومنهم مَنْ رَواهُ هكذا: (بَكَتْ عَيني اليُسْرَى)، وبِهذه الرِّوايَةِ تَكونُ عينُه اليُمْنَى هِيَ العَوْراءَ !

نقلَ اليَزيديُّ عَنِ ابْنِ الكَسْكَرِيِّ بَعْدَ قَوْلِهِ: (بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسْرَى) قَوْلَهُ[١]: "كانَ أعْوَرَ. قالَ: وَمِثْلُهُ :

بَكَيْتُ بِعَيْنٍ لَمْ تَخُنْهَا ضَمانَةٌ[٢] وَأخْرى بِها رَيْبٌ مِنَ الْحَدَثانِ

عَذَرْتُكِ يا عَيْنِيْ الصَّحيحَةَ بِالْبُكا فَما أنْتِ يا عَوْراءُ والْهَمَلانِ "

وَمِمَّنْ رَوى البيْتَ هذه الرِّوايَةَ النَّمَريُّ في مَعاني أبيات الحماسَةِ. قالَ[٣]: "قَوْلُهُ (بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسْرَى) دُونَ اليُمْنَى يَدُلُّ عَلى أنّه كانَ أعْوَرَ"، ثُمَّ ذكَر البيْتَ الآخرَ[٤]:

---

(١) الْمَراثي، تحقيق نبيل طريفي، ص ص ٣٠٨-٣٠٦

(٢) الضَّمانَةُ : العاهَةُ

(٣) أبو عبد الله الحسين بن عليّ النَّمَريُّ، كِتاب مَعاني أبيات الحماسة، تحقيق عبد الله عبد الرحيم عُسَيلان، (القاهرة: مطبعة المدني،١٩٨٣)، ص ١٦٣. وانظرْ مِثْلَهُ العَوْتبيَّ الصُّحاريَّ، الإبانَة في اللغة العربيّة، تحقيق عبد الكريم خليفة وزملائه، (عُمان: وزارة الثقافة، ١٩٩٩)، ٤ ص ٧٢٧

(٤) من الجدير ذِكرُه أنّ هذه الأبيات للصِّمَّةِ، وقد رجَّحْنا نسبَتَها إليهِ في الشِّعرِ، وقد أُثبِتَ البيتُ في دِيوانِ ابْنِ الدّمينَة، ص ١٧١. ونسَبَهُ عبد العزيز الميمَنيُّ في تعليقاته على سِمْطِ اللآلي (١ ص ٤٦٣) إلى الصِّمَّةِ القُشَيْرِيّ، واستَشْهَدَ به عَلى أنّه كانَ أعْوَرَ، كَما رَجَّحَ الأستاذ راتب النَّفّاخ محقّق ديوان ابْنِ الدُّمَيْنَة هذه النِّسْبَةَ أيضًا !

عَذَرْتُكِ يا عَيْنِيْ الصَّحيحَةَ بِالْبُكا فَما أَوْلَعَ الْعَوْراءَ بِالْهَمَلانِ

وتابَعَ النَّمَرِيُّ شارِحًا[1]: "كَأَنَّهُ بَكَى بالصَّحيحَةِ، ثُمَّ ساعَدَتها السَّقيمَةُ. وبَلَغَ من حُزْنِ مُتَمِّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ عَلى أخيهِ مالِكٍ أنْ بَكاهُ بِعَيْنِه الْعَوْراءِ. وَأَمّا البُكاءُ بِإحْدى العَيْنَيْنِ فَمُمْتَنِعٌ عَلى الإنْسِ، واللهُ أعْلَمُ بِهِمْ وبِغَيرِهم مِنَ الخَلْقِ ... ويَجوزُ أنْ تَكونَ إحْدى عَيْنَيْهِ دَمَعتْ، فسَمّى تلكَ الدَّمْعَةَ - وهي قَطْرَةٌ واحِدَةٌ - بُكاءً، ثُمَّ دَمَعتِ الأُخْرى" .

وللباحِثِ في هذه الأبياتِ رَأْيٌ آخرُ قائِمٌ عَلى التَّفريقِ بيْنَ البُكاءِ في الشِّعْرِ (فَنِّيًّا) والبُكاءِ الْحَقيقيِّ في الواقِعِ. فَبُكاءُ مُتَمِّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ عَلى أخيهِ مالِكٍ بِعَيْنِهِ الْعَوْراءِ إنَّما كانَ في الشِّعْرِ؛ أي بُكاءً فَنِّيًّا لا واقِعِيًّا، وهو البُكاءُ الذي ذَكرهُ مُتَمِّمٌ في شِعْرِه مُبالَغَةً منهُ في وَصْفِ حُزْنِهِ عَلى أخيهِ. والرّاجِحُ عِنْدي أنَّ الصِّمَّةَ لَمْ يُولَدْ أعْوَرَ، ولَمْ يَكُنْ أعْوَرَ حينَ قالَ قصيدَتَه هذه على الأقَلِّ، وقدْ قالَها بَعْدَ رَحيلِهِ عَن دِيار قَوْمِه، وأنَّهُ إنَّما قالَ في بيْتِهِ: (بَكَتْ عَيْنِيَ ...) اليُمْنى أو اليُسْرى؛ مُبالَغَةً منه في وَصْفِ حُزْنِه، وإمْعانًا منه في حِكايَةِ موجِدَتِه التي وجَدَها بِرَيّا بَعْدَ أنْ فارَقَ دِيارَهُ؛ فضلاً عَن أنَّ الرِّواياتِ التي تحدَّثَت عَنْ عَوَره لَمْ تقطَع بِذلكَ .

ولعلَّ في قَوْلِه قَبْلَ هذا البيْتِ :

وَلَمّا رَأَيْتُ النَّيْرَ قَدْ حالَ دُونَه وَجالَتْ بَناتُ الشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا
تَلَفَّتُّ نَحْوَ الْحَيِّ حَتّى وَجَدْتُنِي وَجِعْتُ مِنَ الإصْغاءِ لِيْتًا وَأَخْدَعا
وأَذْكُرُ أَيّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِي عَلى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعا

ما يَدُلُّ عَلى تلكَ الرَّغْبَةِ في الْمُبالَغَةِ؛ ولعلَّ فيهِ أيضًا ما يَدُلُّ عَلى أنَّ العَيْنَ التي بَكَتْ هِيَ تِلْكَ القَريبَةُ في النَّظَرِ من جِهَةِ الحِمَى؛ لأنَّهُ تلفَّتَ، والتَّلفُّتُ لا يَكونُ بالنَّظَرِ

(١) مَعاني أبيات الحماسة، ص ١٦٤

الْمُباشِرِ بِكِلا العَيْنَيْنِ؛ وإنّما باسْتِدارَةِ الْعُنُقِ بالرَّأسِ نَحْوَ الْجِهَةِ الْمَقصودَةِ، والنَّظَرِ بِطَرَفِ العَيْنِ؛ وكأنَّهُ كانَ يَخشَى تلْكَ اللحْظَة في الواقِعِ، فكانَ أنْ تلفَّتَ تلفُّتًا بِطَرَفِ عَيْنِهِ؛ لا ازْوِرارًا أوْ قِلًى؛ بَلْ خَشْيَةً وتَرَفُّقًا بالنَّفْسِ .

ولَمّا أنْ بَكت عينُهُ تلكَ القريبَةُ مِنْ جِهَةِ الحِمَى في التّلفُّتِ، وحاوَلَ أنْ يُذَكِّرَ نفسَهُ بِما حَدَثَ، وأنَّهُ هُوَ الذي اختارَ البُعْدَ والنَّأيَ فكانَ كَما قالَ الْمَجنونُ: (أتَبْكِي عَلى لَيْلَى وَأَنْتَ هَجَرْتَها ؟)، أسْبَلَتْ عَيْناهُ مَعًا في البُكاءِ. والذي يَقرأُ العَيْنِيَّةَ يَجِدُ الصِّمَّةَ يُحاوِلُ التَّجَلُّدَ منذُ بَدْئِها، لا سِيَّما قَوْلُهُ :

وَما حَسَنٌ أنْ تَأتِيَ الأَمْرَ طائِعًا وَتَجْزَعَ أنْ داعِي الصَّبابَةِ أَسْمَعا

وهذا لا يَنْفِي أنْ يَكونَ الصِّمَّةُ قَدْ أصِيبَ في إحْدى عَيْنَيْهِ بَعْدَ ذلكَ في بَعْضِ الْمَعارِكِ أو رحلاتِ الصَّيْدِ، كَما لا يَحُولُ دُونَ الظَّنِّ بِأنَّ مَرَضًا مّا قَدْ ألَمَّ بإحْدى عَيْنَيْهِ؛ فآلَمَتْهُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ فَكانَتْ كالْعَوْراءِ؛ أو وصَفَها هُوَ بالْعَوْراءِ تَجَوُّزًا.

وقَدْ يَكونُ في ذِكْرِ بَعْضِ صُوَرِ البُكاءِ عِنْدَ غَزِلِي البادِيَةِ - مِنْ أمْثالِ الصِّمَّةِ - ما يُعينُ عَلى تبيُّنِ جَوانِبَ أخْرى في هذه القَضيَّةِ. قالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ الأسدِيُّ (١):

وَكُنْتُ أذُودُ الْعَيْنَ أنْ تَرِدَ الْبُكا فَقَدْ وَرَدَتْ ما كُنْتُ عَنْهُ أذودُها

وقالَ أبُو حيَّةَ النُّمَيْرِيُّ (٢):

نَظَرْتُ كَأنِّيْ مِنْ وَرَاءِ زُجاجَةٍ إلَى الدَّار مِنْ فَرْطِ الصَّبابَةِ أنْظُرُ
فَعَيْنايَ طَوْرًا تَغْرَقانِ مِنَ البُكَا فَأعْشَى ، وَطَورًا تَحْسِرانِ فَأُبْصِرُ

---

(١) حماسة أبي تمام، ص ٢٦٦

(٢) نفسه، ص ٢٦٩

وقالَ عَمْرُو بْنُ ضُبَيْعَةَ الرَّقاشِيُّ (١):

تَضِيقُ جُفونُ العَيْنِ عَنْ عَبَراتِها | فَتَسْفَحُها بَعْدَ التَّجَلُّدِ والصَّبْرِ
وَغُصَّةِ صَدْرٍ أظْهَرَتْها فَرَفَّهَتْ | حَزازَةَ حَرٍّ في الْجَوانِحِ والصَّدْرِ

وقالَ جَميلُ بُثَيْنَةَ (٢):

وَمِمّا شَجاني أنَّها يَوْمَ أعْرَضَتْ | تَوَلَّتْ وَماءُ الْعَيْنِ في الْجَفْنِ حائِرُ
فَلَمّا أعَادَتْ مِنْ بَعيدٍ بِنَظْرَةٍ | إلَيَّ الْتِفاتًا أسْلَمَتْهُ الْمَحاجِرُ

(١) نفسه، ص ٢٧٧

(٢) نفسه، ص ٢٣٤

٦. ديوانُ الصِّمَّةِ القُشَيْرِيّ

ذكَرَ ابْنُ النَّديمِ أنَّ أبا سَعيدٍ السُّكَّرِيَّ قَدْ عَمِلَ شِعْرَ الصِّمَّةِ القُشَيْرِيِّ، كَما عَمِلَ لَهُ دِيوانًا الْمُفَضَّلُ بْنُ سَلَمَةَ الضَّبِّيُّ[1]. وقالَ في فصلٍ (أسْماء العشّاق الذين عشقوا في الجاهليّة والإسلامِ، وأُلِّفَ في أخبارهم كُتُبٌ)[2]: "هؤلاء الذين نذكرهم أُلِّفَ في أخبارهم جماعَةٌ مثل عيسى بْنِ دَأْبٍ، والشَّرْقِيِّ بْنِ القَطامِيِّ، وهِشامِ الكلْبِيِّ، والْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ، وغيرهم"، ثُمَّ ذكَرَ في كُتُبِ هؤلاء العُشّاقِ "كِتابَ الصِّمَّةِ بْنِ عبدِ اللهِ ورَيّا".

ويُمْكِنُ لَنا أنْ نستَنْتِجَ أنَّ الذي أُلِّفَ هذا الكِتابَ المذكورَ؛ (كِتابَ الصِّمَّةِ بْنِ عبدِ اللهِ ورَيّا)، هُوَ عِيسى بْنُ دَأْبٍ؛ ذلكَ بأنَّ مُجْمَلَ الرِّواياتِ التي يسوقُها أبو الفَرَجِ في أغانيهِ عَنْ أخبار الصِّمَّةِ إنّما يَرويها عَنِ ابْنِ دَأْبٍ هذا .

ويبدو أنَّ غيرَ هؤلاءِ قَدْ صَنَع دِيوانًا للصِّمَّةِ أيضًا؛ فَمِمّا يذكُرُه ياقوت في ترجَمَةِ محمَّدِ بْنِ حَبيبٍ، وهو على ما وصفَهُ الْمَرزُبانِيُّ "مِنْ عُلماءِ بغدادَ باللغَةِ والشِّعْرِ والأخبار والأنسابِ الثِّقاتِ"، قَوْلُهُ[3]: "وَمِنْ صُنْعِهِ في أشْعار العَربِ: كِتابُ دِيوانِ

---

(١) محمد بن أبي يعقوب الْمَعروفُ بالوَرّاقِ، الفِهْرِسْت، دراسة بيوجرافيّة ببليوجرافيّة ببليومتريّة، وتحقيق ونشر شَعبان خليفة ووليد محمد العوزة، (القاهرة: العربي للنّشر، ١٩٩١)، ١ ص ٢٩٣

(٢) الفهرست، تحقيق رضا تجدُّد، (طهران: ١٩٧١)، ص ٣٦٥

(٣) ياقوت الحمويّ الرّوميّ، مُعْجَم الأدباء (المسمّى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق الأستاذ إحسان عبّاس، (بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ١٩٩٣)، ٦ ص ٢٤٨٣

زُفَرَ بْنِ الحارث، كِتابُ شِعر الشّمّاخِ، كِتابُ شِعر الأُقَيْشِرِ، كِتابُ شِعرِ الصِّمَّةِ، كِتابُ شِعْرِ لَبِيد" .

وما ظَهَر لَنا حتّى الآن أنّ هذه الكُتُبَ والدّواوينَ التي ضَمَّتْ شِعْرَ الصِّمَّةِ وأخْبارَهُ لَمْ تَصِلْ إلَيْنا، وأنّها ضاعَت في ما ضاعَ من مصادر التّراث الأدبيِّ العربيِّ. غيرَ أنَّ كُتُبَ الأدَبِ والتّراجِمِ والْمُختاراتِ قَدْ حَفِظَتْ لَنا شَيئًا مِنْ شِعْرِ الصِّمَّةِ .

وقَدْ سَبَقَ للشَّيْخِ العَلاّمةِ حَمَد الجاسِر أنْ حاوَلَ جَمْعَ شِعْرِ الصِّمَّةِ القُشَيْرِيِّ، وعَمِلَ عَلى نَشْرِ ما تَمَكَّن من جَمْعِهِ في مَجلَّةِ العربِ التي كانَ يُصْدِرُها، فجَمَعَ مِن شِعرِه مائتينِ وواحِدًا وأربَعينَ بَيتًا اعتَمَدَ في أكْثَرِها عَلى روايةِ الْهَجَرِيِّ في (التّعليقاتِ والنّوادِرِ) الذي حَقَّقَهُ بَعْدُ. كَما درسَ الشَّيخُ الجاسِرُ طرفًا من أخبار قبيلَةِ قُشَير، وبيئَتَها وموطِنَها، وشيئًا من أخبار الصِّمَّةِ، في البحثِ الموسومِ (الصِّمّة القشيريّ الشّاعر: طَرَفٌ من أخبار قبيلَتِه وشِعْرِه)[1]. وهو بَحثٌ جَليلٌ بذَلَ فيهِ الشّيخُ الجاسِرُ جُهْدًا عَظيمًا، لا سيَّما في توثيقِ المواضِعِ التي ورَدَت في شِعْرِ الصِّمَّةِ، وفي كَوْنِ مُحاوَلَتِه هِيَ الأولى لِجَمْعِ شِعْرِ هذا الشّاعرِ ونَشْرِه عَلَى المَلأِ .

والْمُلاحَظَةُ الْمُهِمَّةُ عَلى ما فَعَلهُ الشّيخُ هِيَ أَنَّهُ اعتَمَدَ كَثيرًا عَلى أسماءِ المواضِعِ الواردَةِ في شِعْرِ الصِّمَّةِ الذي جَمَعَهُ لِيُثْبِتَ نِسبَتَهُ للصِّمَّةِ، أو لِيَنْفِيَ تلكَ النِّسْبَةَ من أصْلِها؛ وهذا الصَّنيعُ مِنْهُ يَجْعَلُنا نظنُّ أنّه قَضى عَلى الشّاعرِ بِأنْ لا يتَرَحَّلَ عنْ دِيارِهِ بيْنَ الحِينِ والآخَرِ طَلَبًا للصَّيْدِ أو للنُّجْعَةِ، كَما أثْبَتْنا غَيْرَ مَرَّةٍ أنَّ الشَّيْخَ الجاسِرَ قَدْ جانَبَ الصَّوابَ في بَعْضِ أسْماء المواضِعِ حينَ نفَى نسْبَةَ الشّعرِ الذي وردَتْ فيهِ للصِّمَّة. وكلُّ هذا مُثْبَتٌ في مَكانِهِ من صَنيعِنا هذا .

---

(١) انظر العرب، تشرين الأوّل، ١٩٦٧، ١ ص ص ١٢٧-١٧٥

ثُمَّ وَقَفْتُ عَلى ما صَنَعه عبدُ العَزيزِ الفيصَل في كتابِهِ (ديوان الصِّمَّـة بن عبـد الله القُشَيريّ)[1]، فوَجَدْتُهُ لَمْ يَزِدْ عَلى ما صَنَعه الشَّيْخُ الجاسِرُ إلاّ تِسْعَةً وعِشْـرينَ بَيْتًـا مِـنَ الشِّعْرِ، وقَدْ جاءَ صَنيعُهُ عَلى وَجْهٍ غَيْرِ سائغٍ؛ فَهُوَ لَمْ يَزِدْ عَلى تَخْريجاتِ الشَّيْخِ الجاسِرِ إلاّ في مَواقِعَ مَعْدودَةٍ؛ مِثْلِ تَخريجاتِه لِعَينيَّةِ الصِّمَّـةِ، وتائيَّتِـه، لكنَّـهُ بالْمُقـابلِ اهْتَـدَمَ مـا كانَ صنَعه الْجاسِرُ في أسْماء المواضِـعِ الـواردَةِ في شِـعر الصِّمَّـةِ، وحَـذَفَ مـا أوْرَدَهُ في الحديثِ عن قبيلَةِ الشّاعِرِ، ولَمْ يُدَقِّق في أخبار الصِّمَّةِ وريّا، فَرَوى بعضَ الرِّواياتِ عَلى ما فيها من تضارُبٍ وتناقُضٍ أحيانًا، ثُمَّ مَلأَ الدِّيوانَ (؟) باختِلافِ الرِّواياتِ .

وإذا كانَ مِنْ فَضْلٍ للفَيْصَـلِ في مـا صَنَـعَ؛ فـإنَّ فَضْلَـهُ لا يَتَجـاوَزُ إخْراجَـهُ شِـعْرَ الصِّمَّةِ في (دِيوانٍ)، ولسْتُ أجِدُ مَنْدوحَةً عَنْ ترديدِ مـا قالَـهُ الشَّـيْخُ الْجاسِـرُ – رَحِمَـهُ اللهُ– في تعليقِهِ عَلى ما صَنَع الفَيصَلُ؛ إذ قـالَ بَعـدَ تعريفِـه بالصِّمَّـةِ[2]: "**وقـدْ حـاولتُ جَمْعَ شِعرِهِ في (العَرَبِ) في سَنَتِها الأولى، فأغارَ علـى مـا جَمَعْـتُ أحَدُهُـم فادَّعـاهُ، ونَشَرَهُ**" .

وقَد يَجدُرُ بِنا في هـذا الْمَقـامِ أنْ نذْكُـرَ بَعْـضَ مَـنْ رَوى شِـعْرَ الصِّمَّـةِ القُشَـيريِّ سِوى مَنْ صَنَعَ له دِيوانًا مِنَ القُدَماء، وفي هؤلاءِ :

- أبو عليٍّ الْهَجَرِيُّ من أهلِ القرْنَيْنِ الثالث والرّابع، وقد روى للصِّمَّةِ خَمسَـةً وثلاثينَ بيتًا عَنْ بَعْضِ القُشَيريّينَ مثلِ مَضاء بْنِ مضرَحِيِّ بْنِ الثُّوَيْبِ، والعَـدّاء

---

(١) صدَرَ هذا الكتابُ عامَ ١٩٨١ عن النّادي الأدبـي بالرِّيـاض في المملكـة العربيـة السّعوديّة؛ رقـم (٣٢) ضِمـن سلسلة كتاب الشّهر

(٢) أبو عليّ هارونُ بنُ زكريّا الْهَجَرِيّ، التّعليقات والنّوادر – دراسة ومختارات، تحقيـق حَمَـد الجاسِر، (الرِّياض: المؤلّف، ١٩٩٢)، ق٢ ص ٦٧٩، هامش رقم (٣)، وقد مرَّ بنا قَبْلُ أنّ ناصر بْنَ سَعْد الرّشيد قد فَعل مِثل هـذا بصنيعِ الشّيخِ الجاسِرِ حينَ جَمَعَ شِعر يزيد بْن الطَّثْرِيَّة، ثُمَّ نشره في ديوان أيضًا !

ابْنِ مَضـاء، كما رَوى بعضَهُ عن أبي نافذ مُشَيَّعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ الْمِقدامِ الْخَفاجِيِّ .

- ابْنُ الْكَسْكَرِيِّ على ما زواهُ اليزيديُّ في مراثيه وأماليهِ، والـيزيديُّ من أهلِ القرنَيْنِ الثالث والرّابعِ أيضًا .
- ابْنُ الأعرابيِّ عَلى ما ذكَر أبو الفرجِ الأصْفَهانيُّ؛ كانَ يستَحسِنُ له أبياتًا من عينيَّتِه، وكذلكَ في روايَةِ أبي زيدٍ عَنِ ابْنِ الأعرابيِّ في ما رواهُ صاحِبُ خِزانَةِ الأدَب .
- أبو حاتِمٍ السّجِسْتانِيُّ الذي كانَ يستَجيدُ بَعضَ شِعْرِه عَلى ما رَوى أبو الفرجِ في أغانيه، وقد رَوى عَنْ أبي حاتِمٍ كلٌّ من ابْـنِ دُرَيْـدٍ، والْحَسَنِ بْنِ عليٍّ عَنِ ابْنِ مِهْرَوَيْهِ .
- الأصْمَعيُّ، وهذا ما أوْرَده أبو علـيّ القـالي في أماليـهِ؛ إذ قالَ إنَّ ابْنَ دُرَيـد أنشدَهُ عن أبي حاتِمٍ عَنِ الأصْمَعيِّ أبياتًا مِنَ العينيَّةِ .
- وفي أمالي القالي أسنَدَ ابْنُ دريدٍ روايَةَ بَعضِ شِعر الصِّمَّةِ إلَى الرِّياشِيِّ، وإلَـى نِفْطَوَيْهِ، وإلَى أبي الْعَبّاسِ أحْمَدَ بْنِ يَحيى ثَعْلَب النَّحويّ .
- أبو عليٍّ القالي في أماليهِ، والبكـريُّ في السِّمْطِ تعليقًـا على رواياتِ القـالي وشَرْحًا لَها .
- أبو عبد اللهِ الْمُفَجَّعُ في كِتابِه (التَّرْجُمان) عَلى مـا ذكـر المرزوقـيُّ في شرحِ الحماسة .
- أبو زيدٍ الأنصاريُّ فِي ما رَواهُ صاحِبُ الخِزانَةِ في ثَنايا كلامِـه عَلـى الصِّمَّـةِ، وابْنُ هِشامٍ الأنصاريّ في الخِزانَةِ أيضًا .

ويُمكِنُ أنْ نَعُـدَّ سِوى هـؤلاءِ القَوْمِ كَثـيرينَ غَـيْرَهُم، وفي مـا ذكَرْنـاهُ منـهم كِفايَـةٌ للدَّلالَةِ عَلى أنَّ شِعْرَ الصِّمَّةِ قَد لَقِيَ مِنْ عنايَةِ الْمُتَقَدِّمينَ قِسْطًا وافِـرًا. لكـنَّ لَنا مـا يصْرِفُنـا عَنِ الإفاضَةِ في تعدادِ رُواةِ شِعْرِه؛ وهذا الصّارِفُ تَحْديدًا هُوَ نِسْـبَةُ العَيْنِيَّـةِ للصِّـمَّـةِ؛ حيثُ تنازَعَها ديوانُ يزيدَ بْنِ الطَّثْرِيَّةِ، وقد أُثْبِتَ فيهِ كثيرٌ مِنْها، ودِيوانُ الصِّمَّةِ.

أمّا نسبَتُها ليزيدَ بْنِ الطَّثْرِيَّةِ فخَلْـطٌ لا شـكَّ فيـهِ؛ فقـد ذكَـرَ ابْـنُ خَلِّكـان أنَّ أبـا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عبدِ اللهِ الطُّوْسِيَّ اعْتَنى بِشِعْرِ ابْنِ الطَّثْرِيَّـة وجَمَـع لـه ديـوانَ شِـعْرٍ[1]، وقالَ أيضًا[2]: "وكانَ أبو الفرج الأصبَهانيُّ صـاحب كتـاب الأغـاني قـد جَمع شِعرَ يزيدَ بْنِ الطَّثْرِيَّةِ أيضًا في ديوان، وأوْرَدَ له قَوْلَه ...".

لكنَّ أبا الفرَجِ لا يذكُرُ شيئًا عن نسبَةِ العينيَّةِ إلى ابْنِ الطَّثرِيَّـةِ هـذا، بَـلْ يذكُـرُ في مَنْ شُكَّ في نسبَتِها إليْهِ مـن الشُّـعَراءِ: قَيْـسَ بْـنَ ذَريـحٍ، والْمَجْنـونَ، والصِّمَّـة[3]، ثُـمَّ يُرجِّحُ نسْبَةَ أغْلَبِها إلى الصِّمَّةِ، سِوى بيتَيْنِ نسبَهُما إلى ابْنِ ذَريـحٍ، ولـو كـانَ شَـكٌّ في نسبَتِها إلى ابْنِ الطَّثْرِيَّةِ لكانَ أوْرَدَ خَبرًا عَنْ ذلكَ، وهو مَنْ صَنَع له دِيوانًا .

وإذا تابَعْنا مَع ابْنِ خلِّكان فقد نَصِلُ إلى نتيجَةٍ تقطَعُ الشَّكَّ، وترجِّحُ نسبَةَ العينيَّـةِ لأحَدِ هؤلاءِ. قالَ الشَّمْسُ: "وَأوْرَدَ له[4] المرزُبانيُّ في (الْمُعْجَمِ) أيضًـا (حَنَنْـتَ إلى رَيّـا ...) في ثَمانيَةِ أبياتٍ"، وتابَعَ [5]: "قُلْتُ: وهي أبياتٌ في غايَـةِ الرِّقَّـةِ واللطافَـةِ، وذكَرهـا

(١) شمس الدين أحمد بن محمّد بن خلّكان، وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزّمـان، تحقيـق الأسـتاذ إحسـان عبّاس، (بيروت: دار الثقافة، د.ت)، ٦ ص ٣٦٨

(٢) نفسه، ٦ ص ٣٦٩

(٣) انظر الأغاني، ٦ ص ٢٩٤

(٤) أي لابْنِ الطَّثْرِيَّةِ

(٥) وفيات الأعيان، ٦ ص ٣٧٠. وقالَ الشّمسُ أيضًا: "قُلتُ: فقد وقعَ الاختِلافُ في أنّ هذه الأبياتِ العينيّـة هـل هي: ليزيد بنْ الطَّثْرِيَّةِ، أمْ للصِّمَّةِ بْنِ عبد اللهِ القشيريِّ، أمْ لقيس بْنِ ذريح، أمْ للمَجنونِ، واللهُ أعلَمُ" (نفسه، ٦ ص ٣٧٢)

أبو تَمّام في كِتابِ (الْحَماسَة) في أوَّلِ بابِ النَّسيبِ، وقالَ: إنَّها للصِّمَّةِ بْنِ عبدِ اللهِ القُشَيريِّ. واللهُ أعلَمُ بالصَّوابِ في ذلكَ" .

ثُمَّ قالَ ابنُ خلِّكان(١): "وقالَ أبو عُمَر يُوسُفُ بْنُ عبدِ الْبرِّ ... في كِتابِ (بَهْجَةِ الْمَجالِسِ) ما مِثالُهُ :

للصِّمَّةِ بْنِ عبدِ اللهِ القُشَيريِّ :

أما وَجلالِ اللهِ لَو تَذكُرينَني ...

فقالَتْ بَلَى واللهِ ذِكْرًا لَوَ انَّهُ ...

ثُمَّ قالَ بَعْدَ ذلكَ: **وأكْثَرُهُم يَنْسُبُونَ إليهِ في هذا الشِّعْرِ :**

حَنَنْتَ إلَى رَيّا ونَفْسُكَ باعَدَتْ ...

وذَكَر الأبياتَ بِكَمالِها كَما ذكَرَها في الْحَماسَةِ، وبعدَ الفراغِ مِنها قالَ: ومِنهُم مَنْ يَنسُبُها إلى قيس بْنِ ذَريح، وإلَى الْمَجنونِ أيضًا [لا ذِكْرَ لِيَزيدَ بْنِ الطَّثْرِيَّةِ !]، **والأكْثَرُ أنَّها للصِّمَّةِ**، واللهُ أعْلَمُ " .

ولا بُدَّ هُنا مِنَ القولِ إنَّ القُدَماءَ تذوَّقوا عُذوبَةَ شِعْرِ الصِّمَّةِ، حتّى قالَ فيهِ إبراهِيمُ ابنُ مُحمَّدِ بْنِ سُلَيْمانَ الأزْدِيُّ (٢): "لَوْ حَلَفَ حالِفٌ أنَّ أحسَنَ أبياتٍ قِيلَتْ في الجاهليَّةِ والإسلامِ قَوْلُ الصِّمَّةِ القُشَيريِّ : (حَنَنْتَ إلى رَيّا ...) ما حَنَثَ " .

---

(١) نفسهُ، ٦ ص ص ٣٧٠-٣٧١

(٢) الأغاني، ٦ ص ٢٩٤

القِسمُ الثّاني

شِعرُ الصِّمَّةِ بنِ عبدِ اللهِ القُشَيْرِيّ

قافيةُ الهمزة

(١)

{ الطّويل }

١ لَعَمْرُكَ ما رَيّا بِذاتِ أمانةٍ ... ولا عِنْدَ رَيّا لِلْمُحِبِّ جَزاءُ [1]

٢ ولا حَبْلُ طَيّا يَوْمَ قاطَعْتُ أُسْرَتي ... بِباقٍ، ولا طَيّا بِذاتِ وَفاءِ [2]

٣ خَليلَيَّ، لا أزْدادُ إلاّ مَوَدّةً ... لِطَيّا، وإنْ عَدَتْنِيَ الْعُدَواءُ [3]

---

(١) أشارَ الشّيخ الجاسِر إلى أنّ في هامشِ هذه الصَّفحةِ من تعليقاتِ الهجَريِّ إشارةً مَضْمونُها: (يُرْوى: طَيّا، وهو الصّوابُ)، ولعلّه ليسَ من كلامِ الهجَريِّ؛ الذي يستَشْهِدُ الجاسِرُ بكوْنِه روى شِعرَ الصِّمَّةِ عنْ بعضِ القُشَيريّينَ عَلى صَوابِ طَيّا بدلَ رَيّا، فقد يكونُ من كَلامِ النّاسخِ .

(٢) البيتُ فيه إقواء، وهو الإتيانُ بالرَّويِّ مَكْسورًا وأصْلُهُ الضَّمُّ. ويَدُلُّ البيْتُ على مِقدار حَسْرَةِ الصِّمّة إذْ زُوِّجَتْ رَيّا من غيرِه، مِمّا يُرجِّحُ أنّه قالَ هذا الشّعرَ بعْدَ رَحيلِه عن دِيارِ قوْمِه، ويُطَمْئِنُ إلى ذلكَ أنّه قالَ: (قاطَعْتُ أسْرَتي) .

(٣) عَلى عادَةِ الشُّعَراء في نِداءِ صَحْبِهم، سواءٌ أكانوا جَماعةً (وُقوفًا بِها صَحْبي)، أمْ اثْنَيْنِ كَما هُنا، أم فَرْدًا واحِدًا (تَبصَّرْ خَليلي هَلْ تَرى من ظَعائِنِ). وقوْلُهُ: (عَدَتْنِيَ العُدَواءُ) قالَ في اللسانِ: (والعَداءُ والعُدَواءُ والعادِيَةُ، كُلُّه: الشُّغْلُ يَعْدُوكَ عَن الشّيْءِ. قالَ مُحاربٌ: العُدَواءُ عادَةُ الشُّغْل، وعُدَواءُ الشُّغْلِ مَوانِعُه. ويُقالُ: جِئْتَني وأنا في عُدَواءَ عنكَ؛ أي في شُغْل ... والعُدَواءُ عَلى وَزْنِ الغُلَواء: المكانُ الذي لا يَطْمَئِنُّ مَنْ قعدَ عليهِ) (اللسان: عَدا). فيكونُ مَعنى قولِه هذا إنّ الشّواغِلَ لا تَشْغَلُه عن حُبِّها، إنّما يزدادُ لها حُبًّا عَلى مرِّ الزّمانِ فلا تُؤثِّرُ فيهِ الصّوارِفُ والأشْغالُ .

٤ وَمِنْ قَوْلِها: إنَّ القُوى قَدْ تَجَذَّمَتْ   وَما لِلْقُوى، إلاَّ تُجَدَّ، بَقاءُ ؟ (١)

تَخريجُ الأبياتِ :

تعليقات الهجَريّ - الجاسر (مقطوعة ١٤٥)، وانظر ق٢/٦٨٠، العرب/ ١٥٢، ديوانه/٢٤-٢٥. ومن الواضِح أنّ الشّاعرَ قالَ هذه الأبياتَ بعدَ أنْ زُوِّجَتْ ريّا من رَجُلٍ غيرِه، وقد تقدَّم الحديثُ عن ذلكَ في أخبار الصِّمَّةِ، فلْيُنْظَرْ !

(١) في ديوانه (ألاّ تَجُدَّ)، وفي العَرَبِ (الاَّ تُجَدَّ)، وضبْطُها بالضَّمِّ غيْرُ واردٍ بالاعتِبارَيْنِ: باعتِبار كَوْنِ (ألاّ) مركّبَةً من (أنْ) النّاصبةِ و (لا) النّافية، فيكونُ الفِعْلُ منصوبًا، واعتِبار (إلاّ) مركَّبةً من (إنْ) الجازمَةِ الشّرطيَّة و (لا) النّافيةِ، فيكونُ الفِعْلُ مجزومًا، وكونُه مضَعَّفًا يقتَضي ظُهورَ الفتْحَةِ على آخرِه بدلاً من السّكون. ولعلّي أميلُ إلى ما أثبَتُّ، كما أرجِّحُ أنْ يكونَ كلامُها انتَهى بنِهاية الشّطرِ الأوّل، وأنَّ عَجُز البيتِ إنّما هُوَ من كَلامِه ردًّا على قوْلِها، فكأنّه يقولُ: ليسَ للقُوى بَقاءٌ وإنْ لَمْ تُجَذَّ .

وأمّا تجذّمَتْ وتُجَذّ، فالجَذْمُ والجَذُّ بمعنًى، وهُما ينصَرفانِ إلى القَطْعِ والانْقِطاعِ .

قافيةُ الباء

(٢)

{ الطويل }

١ أَلا يا جُرادَ الغَوْرِ، هَلْ أَنتَ مُـبْلِغٌ سَلامًا، ولا تَبْخَلْ، غِمارَ شَعَبْعَبا ؟[١]

(١) في التعليقات (يا جَوادَ)، (لاتُنحل) وكذلكَ في ديوانه، وهُما تصحيف وتحريفٌ ظاهران، وفي العربِ (جَرادَ) (لا تبْخَل). والغَوْر: ما انْخَفضَ من الأرضِ عَمّا يُجاورُهُ، وثَمَّةَ أمكِنَةٌ كثيرةٌ تُعرَفُ بهذا الاسمِ، والمَقصودُ منها الأرضُ المنخفِضَةُ المُمتَدَّةُ على ساحِلِ البَحْرِ، وذلكَ يَشْمَلُ تِهامَةَ أيضًا (العرب/١٤٨).
وقد انْصَرَفَ الجاسِرُ والفَيصَل إلى أنّ الشّاعرَ يطلُبُ من سِرْبِ جَرادٍ في الغَوْر أنْ يُبلِّغَ دِيارَ محبوبَتِه السّلامَ. وخَفِيَ عليْهما أنّ في هذا دُعاءً عليْها من حيثُ دَعا عَلى دِيارِها بالهَلاكِ، فالجَرادُ لا يُبقي على أخضرَ ولا يابسٍ في الدّيار الّتي يَغزوها. وأَميلُ إلى أنّ الأصلَ هُوَ ما أثبتُّه مِن أنّ المقصودَ هُوَ (جُرادَ الغَوْر) لا (جَرادَ الغَوْر)، ويُرجِّحُ ذلك أنَّ (جُرادًا) كَما ذكر ياقوت هُوَ: (ماءٌ في ديار بني تَميم عِنْدَ المَرّوت) (البلدان: جُراد)، والمَرّوتُ في طَرَفِ دِيار قُشَيْر من الشّمال على ما ذكر الجاسِرُ، قالَ: (وتنتشِرُ هذه القبيلَةُ في وادي الرِّيْن (الرِّيْب قديمًا)، وفي السَّهل الواقع بين العارضِ والعَرَض؛ بيْنَ المَرّوتِ من النّاحية الشّماليَّةِ إلى رِمالِ الدَّبيل المعروفِ الآنَ باسْمِ (نُفود الدّحي) من النّاحية الجنوبيّة، ويُجاوِرُ القبيلَةَ في المَرّوتِ بَنو حِمّانَ من تَميم) (العرب/١٢٩).
ويُرجِّحُ ذلك ما ذكره ياقوت عَن نَصْرٍ قال: "جُراد رَملَةٌ عريضَةٌ بين البصرةِ واليَمامَة، بيْنَ حائلٍ والمَرّوتِ في دِيار بَني تَميم، وقيل في ديار بني عامر، وقيلَ أرضٌ بيْنَ عُلْيا تَميم وأسْفَلِ قَيْس". وجاءَ بشِعْرٍ يذكُرُ المكانَ وفيه قَرَنَ الشّاعرُ بينَ جُرادٍ ووادي جُفافٍ، وهو وادٍ يرِدُ ذِكرُه في شِعر الصِّمَةِ بَعْدُ، قالَ فيه:

مِنْها بِنَعْفِ جُرادٍ والقَبائِضِ مِنْ وادي جُفافٍ مَرًا دُلْيا وَمُسْتَمَعُ

أمّا غِمارُ شَعَبْعَب، فالغِمارُ لُغَةً المَاءُ الكَثيرُ، ولكِنَّ الظّاهرَ أنّ الصِّمَّةَ قصدَ مَكانًا بعيْنِه قريبًا من شَعَبْعَب التي هيَ قريَتُه على ما ذكرَ الهمذانيّ في صِفة جزيرةِ العرب؛ حيثُ قالَ: "البَيْضَةُ قُفٌّ أبيَضُ فيهِ مِياه ونَخل ومَزارِع، مِنْ مِياهِهِ عُشَيْرَةُ والكُفافَةُ والغاضِرِيَّةُ والخَلائِقُ، وعَنْ يَسارِها شَعَبْعَب، وهي قريَةٌ كانت لِبَني طُفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ، حَيِّ وَحاجِرُ المِلْحِ". (صفة الجزيرة: ١٤٨)
وأمّا شَعَبْعَب، فقد قالَ فيهِ ياقوتُ إنّهُ ماءٌ للصِّمَّةِ بن عبدِ اللهِ بِحائلٍ من وَراءِ النُّقْرِ بِيَوْم؛ تَهبِطُ من النُّقْر حائِلاً (البلدان: شَعَب). وقدْ تقدَّمَ أنّ الهمذانيّ رأى أنّ شَعَبْعَبا قَرْيَةٌ، وهذا لا يُنافي ما قالَه ياقوتُ، فالمَاءُ قَدْ يُطلَقُ على القريَةِ لِما يدُلُّ على استقرار النّاس حولَه.
وقد ذكر الشّيخ الجاسِرُ أنّ شَعَبْعَبًا " هذه قد دَرَستْ الآنَ وَجُهِلَتْ، وهي في حايل، وحايلُ هذه سبَقَ تحديدُ الهمذانيّ لَها، تقعُ بينَ المَرّوتِ من النّاحيةِ الشّماليّة، وسُفوحِ جِبالِ العَرَضِ من أسفَلِه، بحيثُ تفيضُ أوديَتُه مُشَرِّقَةً. ومن النّاحيةِ الشّرقيَّةِ نُفودُ نِبْراك الذي يُعرفُ قديمًا بِجَبَلِ نِبْراك – كَما ورَد في شِعْر الصِّمَّة. ونِبْراكُ مَنْهَلٌ لا يَزالُ مَعروفًا. أمّا من ناحيةِ الجنوبِ فيَحدُّها رَمْلُ الدَّبيلِ المَعروفِ الآنَ باسْمِ نُفود الدّحي؛ الذي من مناهِلِه المَعروفَةِ الآنَ قُنَيٌّ والهُوَةُ، وكانا مَعروفَيْنِ منذُ القِدَم، وورَدَ الأوّلُ في شِعْرِ الصِّمَّة". (العرب /١٩٦٧، ج١: ١٤٢)

٢ دَفِيءَ الْمَحانِي بِالشِّتاءِ، وَإِنْ تَصِفْ ... تَرَهْ فِيهِ رَوْضًا مُسْتَكِفًّا قَدَ اعْشَبا [(١)]

تَخريجُ البَيْتَيْنِ :

تعليقات الهجَريّ-الحمادي (مقطوعة ٤٤٨)، العرب/ ١٥٢، ديوانه/٢٧

(١) في التّعليقاتِ (دِفْءَ المَحاني)، (قد أعشَبَا) وكذلك في ديوانه، ولا يستَقيمُ بِهما وَزنٌ، والغريبُ أنّ المحقّقَ يُشيرُ إلى أنّ إحدى مَخطوطَتي التعليقاتِ تُوردُ (دَفِيءَ) فيعلّقُ: وهوَ تَحريفٌ! والتَّحريفُ ما اقتَرَفَه. وفي بَدءِ الْعَجُزِ أثْبَتَ (تَرى)، والواجبُ فيها أنْ تَكُونَ (تَرَ) لأنّها مُضارعٌ جَوابُ شَرْطٍ جازمٍ، ويبدو أنّ النّاسِخينَ؛ أو الْمُحقّقَيْنِ، تنبَّهوا إلى خَلَلِ الوَزْنِ الحادِثِ عَنْ حذْفِ العِلَةِ للجَزْمِ، عَلى أنّني أظنُّ الأرْجَحَ فيها أنْ تَكونَ بإضافَةِ هاءِ السَّكْتِ؛ هكذا (تَرَهْ)، وبِها يستَقيمُ الوَزْنُ والنَّظْمُ.

وَقَوْلُهُ : (تَصِفْ) تَحتَمِلُ أنْ تَكونَ مُضارعَ (صافَ) مَجزومًا، وهُوَ الأَوْلى لِمُناسَبَةِ ذِكْرِهِ الشّتاءَ والدِّفْءَ في الْمَحاني شِتاءً، وذِكْرِهِ إعْشابَ الرَّوْضِ واخْضِرارَهُ صَيْفًا. وتَحتَمِلُ أنْ تَكونَ مُضارعَ (وَصَفَ) مَجزومًا؛ وهذه – وإنْ كانت مُحتَمَلَةً – غَيْرُ ملائِمَةٍ للبَيْتِ !

والْمَحاني: جَمعُ مَحْنِيَةٍ، وَمَحْنِيَةُ الْوادي: مُنْعَرَجُهُ حَيْثُ يَنْعَطِفُ، وهيَ الْمَحْنُوَةُ والْمَحْناةُ. وهيَ أيضًا: مُنْحَنى الْوادي حيثُ يَنْعَرِجُ مُنْخَفِضًا عَنِ السَّنَدِ. أمّا مَحْنِيَةُ الرَّمْلِ، فَهِيَ ما انْحَنَى عَلَيْهِ الْحِقْفُ. (اللسان : حَنا).

(٣)

{ الطّويل }

١ فَواحَسْرَتي ، لَمْ أَقْضِ مِنْكِ لُبانَةً   وَلَمْ أَتَمَتَّعْ بِالْجِوارِ وَبِالْقُرْبِ[١]

٢ يَقولونَ : هذا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْكُمُ   فَقُلْتُ : وَهذا آخِرُ العَهْدِ مِنْ قَلْبي[٢]

٣ أَلا يا حَمامَ الشِّعْبِ؛ شِعْبِ مُراهِقٍ   سُقِيْتَ الغَوادي مِنْ حَمامٍ وَمِنْ شِعْبِ[٣]

تَخريجُ الأبياتِ :

الأغاني ٧/٢٩٤، ٢٩٥، البديع في نقد الشعر/١٣٧، الوَحْشِيّات/١٨٧، العرب/ ١٥٣، ديوانه/ ٢٨، ولعلَّ هذه الأبياتَ مِمّا قالَهُ الصِّمَّةُ قبْلَ رَحيلِه عَن دِيار قوْمِه إلى الشّامِ، ويُرجِّحُ ذلكَ قولُه في البيتِ الثّاني: (هذا آخرُ العَهْدِ منكُمُ)

(١) اللُبانَةُ: الحاجَةُ والوَطَرُ في النّفسِ، ويفسِّرُها التَّمتُّعُ بالقُرْبِ في عَجُزِ البيْتِ .

(٢) إسنادُ فِعلِ القولِ هُنا إلى واو جَمْعِ الغائِبينَ قَدْ يُشيرُ إلى تَقوُّلِ بعضِ أهْلِ قبيلَتِه، لكنَّهُ ليسَ دالاًّ قَطْعًا على مِثلِ ذلكَ؛ فالشّاعرُ هُوَ الذي اعتَزَم الرّحيلَ بنفسِه !

(٣) في ديوانه (سقَتْكَ الغَوادي). وقالَ الشّيخُ الجاسِرُ إنَّ شِعْبَ مُراهِقٍ مِنَ الأماكنِ التي لَمْ يَهتَدِ إلى مَعرِفَتِها (العرب/ ١٤٦). قُلْتُ: لعلَّ الكَلِمَةَ مُحَرَّفَةٌ عَنْ (مَرَاغَة)، فالذي يذكُرُه ياقوت عن ابنِ الكلْبيِّ في شَأْنِ (مَراغَةِ هَجَر) يُرَجِّحُ ذلكَ. يقولُ: "قالَ ابنُ الكَلْبِيّ: في مَراغَةِ هَجَر سُوقٌ لأهْلِ نَجْدٍ مَعْروف"، وقالَ في موضِعٍ آخرَ قَرَنَ فيهِ مَراغَةَ هذه بـِ (الْمَرْدَمَة): "قالَ الأصْمَعيُّ وذَكَرَ مِياهًا، ثُمَّ قالَ: وَمِنْ هذه الأمْواهِ مِنْ صلْبِ الْعَلَمِ، وهيَ الْمَرْدَمَةُ، رداهٌ مِنها الْمَراغَةُ" (البلدان: مَرَاغة). والْمَرْدَمَةُ على ما يذكُرُ الشّيخُ الجاسِرُ جِبالٌ تقَعُ على طريقِ المتَّجِهِ إلى مكَّةَ من وسطِ بِلادِ بَني قُشَيْر، وقريبٌ مِنها ماءُ (مَطْلوب) الذي وردَ في شعرِ الصِّمَّةِ الذي يصِفُ فيهِ رحْلَتَهُ عَنْ دِيار قَوْمِه إلى مَكَّة، والمقصودُ بِهِ ماءٌ مِنْ مِياهِ (نَمَلَى) !

(٤)

ولهُ وهو بالشّام : { الطّويل }

١ أَلا أَيُّها الْبَيْتانِ بِالأَجْرَعِ الّذي ... بِأَسْفَلِ مُفْضاهُ غَضًا وَكَثِيبُ (١)

٢ هَجَرْتُكُما هَجْرَ الْبَغِيضِ وَفِيكُما ... مِنَ النّاسِ إِنْسانٌ إِلَيَّ حَبِيبُ (٢)

٣ عَلِقْتُ بِدارِ الصَّيْدِ، ما كَفَّةُ الغَضا ... وَلا دابِقٌ مِنْ واسِطٍ بِقَرِيبِ (٣)

---

(١) الأَجْرَع: الْمَكانُ الواسِعُ الذي فيهِ حُزونَةٌ وَخُشونَة. وهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْجَرَعَةِ أو الْجَرْعَةِ، وقيلَ هِيَ الرَّمْلَةُ الْمُسْتَوِيَة، وقيلَ: هِيَ الدَّعْصُ لا تُنْبِتُ شيئًا. والجَرْعَةُ عِنْدَهُم هِيَ: الرَّمْلَةُ الطَّيِّبَةُ الْمَنْبِتِ التي لا وُعُوثَةَ فيها. وقيلَ الأَجْرَعُ: كَثيبٌ جانِبٌ منه رَمْلٌ، وَجانِبٌ حِجارَة (اللسان: جرع ٨/٤٦)، ولعلَّ ما وردَ في هذا البيتِ يدُلُّ عَلى حُزونَةِ الأَجْرَعِ وانْعِدامِ النَّباتِ فيهِ، ويَنْفي أَنْ يَكونَ كَثيبًا، فَهُوَ يقولُ إِنَّ بأَسْفَلِ ما يُفضي إليهِ نَباتَ غَضًا وكَثيبَ رَمْلٍ. ولأَنَّ الأَجْرَعَ عَلى هذه الصِّفَةِ فقد كَثُرَتِ الأَجارِعُ، ولِهذا فَهُوَ لا يُذْكَرُ في الشِّعْرِ إلا موصوفًا، وفي الأَغْلَبِ الأَعَمِّ يُوصَفُ بالْمَوصولِ وراءَهُ حيثُ تُحدِّدُهُ جُمْلَةُ الصِّلَة؛ ومِثالُهُ ما جاءَ هُنا، وما جاءَ في قَوْلِ ابْنِ الدُّمَيْنَة:

سَلِي الْبانَةَ الْغَيْناءَ بِالأَجْرَعِ الّذي ... بِهِ الْبانُ، هَلْ حَيَّتْ أَطْلالَ دارِكِ

(٢) يقصِدُ هَجْرَهُ دِيارَ قَوْمِه بعْدَ ما حصَلَ لهُ فيها، والبَغيضُ هنا تَحْتَمِلُ أَنْ تَكونَ فَعيلاً بِمعْنى فاعِلٍ، أيْ مُبْغِض، وفَعيلاً بمعنى مَفْعول؛ أيْ مُبْغَض، ولعلَّ الأَرْجَحَ أَنْ تَكونَ الأُولَى؛ أي بمعنى مُبْغِض؛ فَمِنْ عادَةِ الشُّعراءِ أَنْ يذكُروا أَنَّ هَجْرَهم لَمْ يَكُنْ عَنْ قِلًى منهم للدِّيار، وتُقابِلُها حَبيبٌ بِمَعنى مَحبوبٍ في عَجُزِ البَيْتِ، والحبيبُ هُنا ريّا. ولعلَّ البَيْتَيْنِ اللذيْنِ خَصَّهُما الشّاعِرُ هُنا هُما بيتُ أبيهِ عبدِ اللهِ، وبيْتُ عَمِّه أبي ريّا !

(٣) في التعليقاتِ (حَلَفْتُ)، (كَفَّةَ)، (دابَقٌ)، وفي ديوانه (بِقَريبِ)، وفي البيتِ سِنادٌ.

وقد ظَنَّ عبد العزيز الفيصل أنّ الْمَقصودَ بواسِط هُنا قَريةٌ بِحَلَب في الشّامِ قُرْبَ بُزاعَة، وأحالَ عَلى (مراصد الأطلاع ٣/١٤٢٠). في حين حقّق الجاسِرُ أنّ الْمَقصودَ مَوْضِعٌ "في بِلادِ بَني قُشَيْرٍ لا يَزال معروفًا، فيهِ قريَةٌ صغيرَةٌ، ويُزْرع وقتَ الشِّتاء، يقعُ في الجَنوبِ الشّرقِيِّ من بَلْدَةِ الدَّوادْمِي، وهو معدودٌ من تَوابِعِها". (العرب: ١٥٠)

وقد ذَكَرَ ياقوت هذا الموضِعَ بقَوْلِه: " قَرْيَةٌ متوسِّطَةٌ بينَ بَطْنِ مَرّ ووادي نَخْلَةَ ذاتُ نَخيل. قالَ لي صَديقُنا الحافِظُ أبو عبد الله محمّد بن محمود النّجّار: كنتُ ببطْنِ مَرّ فرأيْتُ نَخْلاً عَنْ بُعْد، فسأَلْتُ عَنْه، فقيلَ لي: هذه قريَةٌ يُقالُ لَها واسِط". ثُمَّ قالَ ياقوت: "وقالَ بعضُ شُعَراءِ الأَعْرابِ يذْكُرُ واسِطًا في بِلادِهم"، وذَكَرَ أربَعَةَ أبياتٍ من داليَّةِ الصِّمَّةِ التي ذكَرَ فيها (طَمْياءَ) من دونِ أَنْ ينسُبَ الأبياتَ! (البلدان: واسط)

أمّا دارُ الصَّيْد: فَلَمْ أَقِفْ في ما بحثتُ فيه من مصادر البلدان ما يدلُّ عليها، ويذكُر ياقوت دِيارًا كثيرةً، ودارات كذلك، ليسَ مِنْها دارُ الصَّيْدِ هذه. عَلى أَنَّ تعريفَها بإضافتِها إلى الصَّيْدِ دَالٌّ على أَنّها إحْدى الأماكِنِ التي كانوا يصطادونَ فيها.

وأمّا كَفّةُ الغَضا، فلَمْ يذكُرها الجاسِرُ فيما ذَكَرَ من مواطِنِ قُشَيْرٍ في شِعر الصِّمَّة، وقد وَجَدْتُ في مُعجَمِ ياقوت ما نَصُّهُ: " الْكِفافُ: كَأَنَّهُ جَمْعُ كِفَّةٍ أوْ كُفَّة. قالَ اللغويّون: كُلُّ مستَديرٍ نَحْوَ الْمِيزانِ وحِبالَةِ الصّائِدِ فهو كِفّة، وكلُّ مستَطيلٍ كالثَّوْبِ والقَميصِ فَحَرْفُهُ كُفّة، وَهو: اسمُ مَوْضِعٍ قُرْبَ وادي الْقُرى" (البلدان: الكِفاف). ووادي القُرى هذا وادٍ مَعروفٌ بيْنَ الشّامِ والْمَدينةِ، وهو بيْنَ تَيْماءَ وخَيْبَر، فيهِ قُرًى كثيرة (البلدان: قرى). ولعلَّ الشّاعِرَ إنّما أرادَ الْمَعنى اللغَوِيَّ للكُفّةِ مُضافَةً إلى الغَضا لتحديدِه، وإذا كانَ قالَ هذه القصيدَةَ بالشّام؛ بدَليلِ ذِكْرِه (دابِق)، فلَرُبَّما قصَدَ كُفّةَ غَضًا هُناكَ !

وأمّا دابِقٌ (ويُرْوى دابَق)، فقَرْيَةٌ قُرْبَ حلَب من أعْمالِ عَزاز، بيْنَها وبيْنَ حلبٍ أربَعَةُ فَراسِخ، عِنْدَها مَرْجٌ مُعْشِبٌ نَزِهٌ (البلدان: دابق)، وهذا الْمَرْجُ هو الذي وقَعَتْ فيهِ مَعرَكة مَرْجِ دابِق.

٤ فَما طابَتِ الرِّيحُ الْجَنوبُ بِدابِقٍ ... وَلٰكِنَّها بِالْعُنْعُنَيْنِ تَطيبُ [١]

٥ جَنوبٌ يُداوي هَيْجُها بارِحَ الْهَوى ... لَها بَعْدَ نَوْمِ السّامِرِينَ دَبيبُ [٢]

٦ يَقولونَ لِيْ : دارُ الأَحِبَّةِ قَدْ دَنَتْ ... وَأَنْتَ كَئيبٌ، إِنَّ ذا لَعَجيبُ!

٧ فَقُلْتُ : وَما تُغْني دِيارٌ تَقارَبَتْ ... إِذا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الدِّيارِ حَبيبُ ؟ [٣]

تَخريجُ الأبياتِ :

تعليقات الهجَريّ-الحمادي (مقطوعة ١٧٥)، البيتان ١-٢ أمالي القالي ١٩٤/١، وقد أخلَّ بهما شِعره وديوانه المطبوع، سمط اللآلي ٤٦٣/١، العرب/ ١٥٣، ديوانه/٢٩

---

(١) الْعُنْعُنان: ظَنَّ عبد العزيز الفيصل أنّ المقصودَ جَبَلٌ بالمدينة يُقالُ لهُ سُلَيْع، عَلَيْهِ بُيوتُ أَسْلَمَ بْنِ أفْصى، يُنْسَبُ إِلَيْهِ ثَنِيَّةُ عَنْعَث (البلدان: عنعث)، وبينَ هذا ومَوْطِنِ الشّاعرِ مسافةٌ كبيرَة، ولعلَّ الصّوابَ ما ذكَرَه الجاسِرُ من أنَّ الشّاعرَ قصدَ "موضِعًا بعَيْنِه، وقد يقصدُ كَثيبَيْنِ من أكْثِبَةِ بِلادِ قُشَيْر التي تُحيطُ بِها الْكُثْبانُ من حَوانِيها الثّلاثة"؛ حيثُ إنّه قالَ القِطعَةَ وهوَ في دابِق، وهيَ بِلادٌ جَبليّة! (العرب: ١٤٧)

(٢) في التّعليقات (رَبيبُ) وهُوَ تَحريف، وجاءَ الصَّدرُ في ديوانِه هكذا (جَنُوبٌ يُداوي هَيْجُها بارِحَ الْهَوى الْهَوَى)! ولعلَّ جَعْلَ الرِّيحِ تَحْمِلُ السّلامَ إلى الأحِبَّةِ، ولعلَّ جَعْلَ هُبوبِها يَشْفي فؤادَ من برَّحَه الهَوى إذا هبَّت من ديار الأحِبّةِ أوْ مرَّت بِها، من خَصائصِ شَعْرِ غَزَلِي الباديَةِ، وهذا من المعاني التي ما تَزالُ دائرةً في أدبِنا الشّعبيّ.

وفي البيتِ صُورةٌ بلاغيَّةٌ رائقة، وذلك حينَ جعَلَ الرِّيحَ الجنوبَ تَدُبُّ بعدَ نومِ السّامرينَ. وكانَ من عادَة الشُّعَراء أنْ يُلاقوا محبوباتِهم (في الشِّعْرِ) بعدَ نومِ السّامرينَ. ومن ذلك قول ابن أبي ربيعة:

وغابَ قُمَيْرٌ كُنتُ أرْجو غُيوبَه ... ورَوَّحَ رُعْيانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ

فكأنّه جعلَ الريحَ تَحمِلُ ريّا حبيبَتِه إليهِ، فدبَّتْ إليه دبيبًا بعْدَ نومِ السّامرينَ خُفْيَةً .

(٣) في السّمط (بيْنَ الدِّيار قَريبُ)، ولعلَّ الشّاعِرَ قالَ هذه الأبياتَ – لا كَما ذكَر الجاسِرُ- وهو في الشّام، بلْ قالَها وهُوَ عائِدٌ إلى مَوْطِنِه فيما أرى في مرَّةٍ مّا، يدلُّ على ذلكَ هذا البيتُ والّذي تقدَّمه.

(٥)

{ الطّويل }

١ سَــــــقى اللهُ أيامًا لنا ولَيالِيا　　　لَهُنَّ بأكْنافِ الشَّـبابِ مَلاعِبُ (١)

٢ إذِ العَيْشُ غَضٌّ والزَّمانُ بِغِبْطَةٍ　　　وَشاهِدُ آفاتِ المُحِبّينَ غائِبُ (٢)

تَخريجُ البيْتَيْنِ :

الحماسة البصرية ١٣٧/٢، العرب/ ١٥٣، ديوانه/ ٢٦

---

(١) الدُّعاءُ بالسُّقْيا مَعروفٌ عند العرَبِ للمَكانِ الذي يُحبّونَه، والشّاعرُ هُنا دَعا بالسُّقْيا للزّمانِ، عَلى أنّ ذلكَ ليسَ بعيدًا من السُّقيا للمكانِ، ذلكَ بأنّ تلك الأيّامَ والليالي إنّما قُضِيَتْ في مَكانٍ هُوَ الذي يدعو الشّاعرُ له بالسُّقْيا، ولعلّ في هذا البيتِ وَجْهًا بلاغيًا لَمْ يَذْكُره البلاغيّونَ، وهو ضَربٌ من ضُـروبِ المجـازِ المرْسَـلِ؛ إذ ذَكـر الزّمـانَ وأرادَ المَكانَ الذي قضاهُ فيهِ .

أمّا أكنافُ الشّباب، فقد قالَ ياقوت: " لَمّا ظهَرَ طُلَيْحَةُ المتنبّي ونزلَ بِسَميراءَ أرْسلَ إليهِ مُهَلْهِلُ بـنُ زيـدِ الخيْـل الطّائيّ: إنّ مَعي حَدًّا لِغَوْثٍ، فإنْ دَهِمَهُم أمْرٌ فَنَحْنُ بالأكْنافِ بِجبالِ فَيْد، وهيَ أكنافُ سَلْمَى. قالَ أبو عبْدَة: الأكْنافُ جَبَلا طَيِّئ: سَلْمَى وأجَأٌ والفَرادِخ" (البلدان: الأكناف). وقـالَ في اللسـانِ: "الكَنَـفُ والكَنَفَـةُ: ناحيـةُ الشّيء، وناحِيَتا كلِّ شيء كَنَفاهُ، والجَمعُ أكْناف ... وأكنافُ الجبَلِ والوادي: نَواحيهِ حيثُ تَنْضَمُّ إليهِ"، ومنها أكنافُ بِيشَةَ (اللسان: كنفَ). وقالَ في فَيْد: " وقالَ الحازِميُّ: فَيْدٌ، بالياءِ، أكْرَمُ نَجْدٍ، قريبٌ من أجَـأ وسَـلْمى جَبَلَيْ طَيِّئ"، وقالَ: "وبينَ فَيْدٍ ووادي القُرى سِتُّ لَيالٍ" (اللسان: فيد). وأميلُ إلى تَرْجيحِ أنْ يكونَ هـذا اسْـمًا لِموضِعٍ من المواضِعِ في دِيارِ قُشَيْر، وهي واسِعَةٌ تَتّصِلُ بِدِيارِ طَيِّئ؛ والإضـافَةُ هُنا تَكونُ عَلى الحقيقَةِ، يُطَمئِنُ إليْها قَوْلُه: (مَلاعِب)، وتَحتَمِلُ أنْ تَكونَ إضافةُ الأكنافِ إلى الشّبابِ الزّمَنيِّ، بِمعنى أيّام الشّباب .

(٢) أرى أنّ كلمةَ (آفات) إنّما هيَ تَحريفٌ لِشبيهَتِها (آهات)؛ لأنّ آفاتِ المحِبّينَ لا تتجاوَزُ فِراقَهُم وما يُصيبُهم من جرّائِه، والشّاعرُ هُنا يتحدّثُ عن الغِبْطَةِ والعَيْشِ الغَضّ، وهذا لا يَتوافَقُ مـع الآفـاتِ. ويـدلُّ علـى ذلـكَ غِيـابُ الوشاةِ والرُّقَباءِ الذينَ يَشْهَدونَ لِقاءَ الأحِبَّةِ خُفْيَةً فَلا يقضي العاشِقُ منهم لُبانَتَه من إلْفِهِ حَذَرَ العُيونِ .

(٦)

{ الطّويل }

١ إِلى اللهِ أشكو نِيَّةً يومَ قَرْقَرى مُفَرِّقَةَ الأهْواءِ شَتّى شُعوبُها (١)

٢ وَيَوْمًا بِحِصْنِ الباهِلِيِّ ظَلِلْتُهُ أُكَفْكِفُ عَبْراتٍ تَفيضُ غُروبُها (٢)

٣ وَيَوْمًا عَلى تِبْراكَ أَيقَنْتُ بِالّذي تُحاذِرُهُ نَفْسٌ فَشُبَّ شُبوبُها (٣)

٤ وَيَوْمًا بِقاعِ الأَخْرَبَيْنِ جَرى لَنا بِنَحْسٍ ظِباءُ الأَخْرَبَيْنِ وَذيبُها (٤)

---

(١) في التعليقات وديوانه (أشكونيّه)، (مُفَرَّقَةَ). وقَرْقَرى: مَجموعَةٌ من القُرى تقَعُ في السَّهلِ الممتَدِّ من سَفْحِ جبلِ طُوَيْقٍ إلى عارِضِ اليَمامَة من الغَرب. وفيها قُرى كثيرَةٌ أشهَرُها ضَرَما، وهذه القريَةُ ليسَتْ مَعروفَةً الآنَ. وتتصِلُ قَرْقَرى بِبلادِ قُشَيْرٍ من النّاحيةِ الشّماليّة الشّرقيّةِ، وهيَ أخفَضُ مِنْها، وتُعْرَفُ الآنَ باسْمِ الْحَمّادة (العرب/١٤٥، ١٤٨). وقد ذكرَها الشّاعرُ في هذه القصيدَةِ التي يُعَدِّدُ فيها أسْماءَ المواضِعِ التي مرَّ بِها في رِحْلَتِه عن دِيارِ قوْمِه متَّجِهًا إلى الشّامِ، لكنَّ هذه المواطِنَ تقعُ على طريقِ الصّادر عَن دِيارِ قُشَيْرٍ باتّجاهِ مَكَّة أوّلاً . وقالَ ياقوت: "أرضٌ باليَمامَةِ إذا خرجَ الخارجُ من وَشْمِ اليمامَةِ يُريدُ مَهَبَّ الجَنوبِ، وجعَل العارضَ شِمالاً، فإنّه يَعلو أرضًا تُسَمّى قَرْقَرى فيها قُرًى وزُروعٌ ونَخيلٌ كَثيرَة" (البلدان: قرقرى)

(٢) في التعليقاتِ (ويوْمٍ)، والنّاظر في الأبياتِ بعدَهُ يراها منصوبَةً على العطفِ، فهوَ يَشكو نِيَّةً، وَيوْماً ...، وفي ديوانِه (ظَلَلْتُهُ). وحِصْنُ الباهِلِيِّ: عُرِفَ قديمًا بِحِصْنِ ابنِ عِصام الباهليِّ حاجِبِ النُّعمانِ بْنِ المنذِر، وهو في بِلادِ باهِلَةَ المجاوِرَةِ لِبلادِ قُشَيرٍ من النّاحيةِ الغربيَّة. ويَقَعُ هذا بقُرْبِ بَلْدَةِ الْقُوَيْعِية (العرب/١٤٤) .

(٣) في التعليقات (تِبْراكِ)، (تُحاذِرُه) وهو تصحيفٌ سَيّئ، وفي ديوانه (فشَبَّ). وتِبْراك، قالَ ياقوت: "مَوضِعٌ بِحِذاءِ تِعْشار، وقيلَ: ماءٌ لِبَني الْعَنْبر، وفي كِتاب الخالِع: تِبراك من بِلادِ عَمرو بْنِ كِلاب فيهِ روضَةٌ ذُكِرَتْ مَع الرِّياض، وحَكى أبو عبيْدَة عَنْ عُمارَةَ أنَّ تِبراكَ مِن بِلادِ بَني عُمَيْر، قالَ: وهي مَسَبَّةٌ لا يَكادُ أحدٌ منهم يَذْكُرُها لِمُطْلَقِ قَوْلِ جَريرٍ:

إذا جَلَسَتْ نِساءُ بَني عُمَيْرٍ عَلى تِبْراكَ أخْبَثْنَ الرِّمالا

... وقالَ نَصْرٌ: تِبْراكُ ماءٌ لِبَني نُمَيْرٍ في أدْنى الْمَرُّوتِ لاصِقٌ بالْوَرْكَة" (البلدان: تبراك)، ولعلّه المقصودُ .

(٤) وفيها (بقاعِ الآخرْ بينِ)، (نبَحْس). وقاعُ الأخرَبَيْنِ: القاعُ هُوَ المنْخَفَضُ من الأرضِ، وأمّا الأخرَبانِ، فَجَمْعُ أخرَبَ، وهيَ قُرونٌ حُمْرٌ بَيْنَ سَجا والثُّعَلِ، وهُما مَنْهَلانِ في عالِيَةِ نَجْدٍ ما يَزالانِ مَعروفَيْنِ إلى الآن، ولكنَّهُما بَعيدانِ عن بِلادِ قُشَيْر. والشّاعِرُ ذكَرَهُما وهو في طريقِ رِحلَتِه إلى مَكَّةِ راحِلاً عن دِياره كَما تقدَّم، وَمَنْهَلا سَجا والثُّعَلِ يَقعانِ على طريقِ الصّادر عن دِيار قُشَيْرٍ إلى مَكَّةَ أيضًا (العرب/١٤٣)

٥ وَيَوْمًــا عَلى ماءِ الْهُدَيَّةِ قالَ لِي صِحابِي: طِبْ نَفْسًا، وكَيْفَ أُطيبُها[١]

٦ وَيَوْمًـا بِمَطْلوبٍ وَجَدْتُ حَـرارَةً طَويلًا بِأَلْـــــواذِ الْفُؤادِ نُشُــــوبُها[٢]

٧ وَيَوْمًا عَلى ماءِ الْمُحَلِّقِ طَــيْرُهُ أَحَدَّتْ نَفْسًـا صَبَّةً : ما يُكِيبُها ؟[٣]

٨ وَيَوْمًا بِقَرْنٍ؛ قَرْنِ نَخْلَةَ، راجَعَتْ بِنَفْسِـــكَ زَفَراتٍ ، بِنَجْدٍ طَبِيبُها[٤]

٩ وَيَوْمًا لَدى الْبَيْتِ الْحَرامِ تَجَلَّدَتْ لَكَ النَّفْسُ إِكْــراهًا عَلى ما يُرِيبُها[٥]

١٠ فَيا أَهْلَ نَجْدٍ، لا شَــقِيتُمْ وَلُقِّيتُ رِكابُكُمُ رُشْــدًا ، وَحُلَّتْ ذُنُوبُها[٦]

---

(١) هذا البيتُ من التعليقاتِ، ولَمْ تُوردهُ المصادرُ الأُخرى، وهو في ديوانه. وماءُ الْهُدَيَّةِ كما قالَ ياقوت: "موضِعٌ حَوالَيِ اليَمامة، وقال أبو زياد الكلابيُّ: من مياهِ أبي بَكر بْنِ كِلابِ الذَّنَبَة، وهي في رمْلٍ، وحِذاءها ماءةٌ يُقالُ لها الْهُدَيَّة، ويُنْسَبُ ذلك الرَّملُ إليها فيُقالُ: رَمْلُ الهُدَيَّةِ" (البلدان: الهُدَيَّة)، ولَمْ يَصِفْهُ الجاسِرُ، أو يَذكُرْه .

(٢) فيها (وجَدْتُ حَزارَةً)، (باعواذِ الفواد)، والتَّصحيفُ فيهما ظاهرٌ بَيِّن، وفي ديوانه (بِالْعِواذِ) وبهِ لا يستقيمُ الوَزن ولا المعنى. أمّا مَطْلوبٌ فَهُو كما قالَ ياقوت: "اسمُ بِئرٍ بين المدينة والشّام بعيدَةِ القَعْرِ يُسْتَقى مِنها بِدِلاء"، وقيلَ: "جبَلٌ. وقال أبو زياد الكِلابيّ: من مِياهِ بَني أبي بَكر بْنِ كَلابٍ مَطْلوبٌ"، وقالَ الأَصْمَعِيُّ: "وَمِنْ مِياهِ نَخلَى مَطْلوبٌ" (البلدان: مطلوب)، وهذا الأخيرُ هُو الذي عَناهُ الجاسِرُ بقولِه: "المقصودُ به ماءٌ من مِياهِ نَمَلَى بِقُرْبِ جِبالِ الْمَرْدَمة، وتقَعُ على طريقِ الْمُتَّجِهِ إلى مَكَّةَ من وسطِ بِلادِ بَني قُشَير" (العرب/٩٤١)

(٣) لَمْ أجِدْ لِماءٍ كَهذا ذِكرًا في مصادر البلدان، كَما أنَّ في نَظْمِ البيتِ شيئًا من الْخَلَل بهذه الرِّواية، فَلَوْ كانَ طَيرُهُ فاعِلاً لاسمِ الفاعِلِ (الْمُحَلِّقِ) لَكانَ يَنْبَغي أنْ يَكونَ الْمُحَلِّق صِفَةً لِمَحْذوفٍ مُضافٍ إليهِ؛ أي (ماءِ المكانِ أو الرَّجُلِ الْمُحلِّقِ طَيْرُهُ)، وإلاّ فإنَّ (طَيْرُهُ) تَظَلُّ مبتَدأً يقتَضي خَبَرًا عَنْهُ، وليسَ في البيتِ ما يَقومُ مَقامَ الخَبَرِ عَنه. ولعلَّ الرِّوايةَ أصلاً هيَ (عَلى الْماءِ الْمُحلِّقِ طَيْرُهُ)، أو (عَلى ماءٍ يُحلِّقُ طَيْرُهُ) .

(٤) وفيها (بِقُرْنٍ قَرْن)، (زَفْراتُ) ويَجبُ تَنوينُها لاستقامةِ الوزنِ والنَّظْمِ نَحوًا. وفي شعراء قُشَير (بقرْنِ قُرونِ نَخْلَةَ)، ولا يستَقيمُ بها وَزن ولا نَظم. وقَرْنُ نَخْلَةَ: يَقصدُ وادي قَرْن، وهو قَرْنُ المنازِلِ المعروفَةِ الآنَ باسْمِ السَّيْل، ومنهُ يُحْرِمُ حُجّاجُ عاليةِ نَجْد، بلْ أكثَرُ أهْلِ نَجْد. وأضافَهُ إلى نَخْلَةَ؛ إذ هُوَ أعْلى وادي نَخْلَة، وهُما نَخْلَتانِ: الشّامِيَّةُ واليَمانِيَّةُ، ويلتَقِيانِ فيُكَوِّنانِ وادِيًا عَظيمًا يُدْعى مَرَّ الظَّهْران قَديمًا، ووادي فاطِمَةَ حَديثًا، ثُمَّ يَنْحَدِر إلى البَحرِ فَيصُبُّ فيهِ إلى الجنوبِ من مدينةِ جُدَّة (العرب/١٤٨) .

(٥) وفيها (تَجَدَّدتْ)، ومِثلُها في ديوانه. وقولُه البيت الحرام يدلُّ على مُروره بِمَكّةَ، وأنَّ كلَّ المواضِعِ التي تقدَّم ذِكرُها في القصيدَةِ إنَّما كانت على طريقِه بينَ دِيار قُشَيْرٍ حَتّى وصولِه مَكَّة .

(٦) ذكَرَتْها المصادرُ هكذا (ذُنُوبُها)، وبها لا يستَقيمُ المعنى، والمقصودُ ذَنُوبُها، وهي دَعْوَةٌ لَها بِأنْ تَقَرَّ .

١١ إذا ما أَتَتْنا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ أرْضِكُمْ ... أَتَتْنا بِرَيّاكُمْ فَطـــــابَ هُبوبُها (١)

١٢ أَتَتْنا بِطِيبِ المِسْكِ خالَطَ عَنْبَرًا ... وَرِيحِ الخُـــزامى باكَرَتْها جَنُوبُها

١٣ إذا ما لَقِـيْتُمْ أَهْلَ نَجْدٍ وَعُرِّيَتْ ... قَلائِـــصُ أَدْأَبْتُمْ وقَدْ طالَ دُوبُها (٢)

١٤ فَمِنّي عَلَيْهِمْ فاقْـــرَؤُنَّ تَحِيَّةً ... يُخَصُّ بِها شُـــبّانُ قَوْمي وَشِيبُها (٣)

١٥ تَحِيَّةَ مُشْـــتاقٍ إلى أَنْ يَراهُمُ ... وَرَجْـــعَ أَماثِيلٍ يُرَجّى عَرِيبُها (٤)

تَخريجُ الأبياتِ :

قالَ الهجَرِيُّ: أنشدَني الْعَدّاءُ بْنُ مضاء، مِن ولَدِ الثُّوَيْبِ بْنِ الصِّمَّةِ بن عبد اللهِ بْنِ طُفَيْلِ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَوْر ...، ويَنْتَهي بِه إلى بَني قُشَيْر. تعليقات الهجَريّ-الحمادي (مقطوعة ٥٠٤)، الأغاني ٢٩٢/٥، تجريد الأغاني ق١ج٧١٥/٢، وروى ابن عبد البرّ البيتين ١٠-١١ في بَهجة المجالس ق١ م٨٢٢/١، الوافي بالوَفَيات ١٩٣/١٦، معاهد التّنصيص ٢٥٦/٣، العرب/١٥٤-١٥٥، شعراء قُشَير ٦٧/٢-٦٨، ديوانه/٣٥-٣٦

---

(١) هذا البيت والذي يليهِ ذُكِرا في المصادر بوصفِهما نُتفَةً مستقلَّةً، وقد رأيْتُهُما ملائِمَيْنِ تَمامًا للمكانِ الذي أُحِلاّ فيهِ من القصيدة .

(٢)هذا البيت انفردَت به تعليقات الهجريّ، وهوَ في ديوانِه (ما أتيْتُمْ)، والقَلائصُ جَمْعُ قَلُوص، وهي النّاقةُ الفَتِيَّةُ الشّديدَة. أمّا الدُّوبُ فَهُوَ الدُّؤوبُ مُسَهَّلَ الْهَمْزَةِ، وهو الْمُواظبَةُ والْمُبالَغَةُ في الْعَمَلِ، وهـا هُنا بِمعنى المواظبةُ على الْمسيرِ (اللسان: دأبَ) .

(٣) في التعليقات (يَخُصّ بِها شُبّانٌ) ولا يستَقيمُ بها الوزنُ ولا النَّظمُ، فَشُبّانُ مُضافةٌ يُسْقَطُ تَنوينُها، ويَخُصُّ للمعلومِ لا المجهولِ يناؤه .

(٤) في التعليقات وديوانِه (يُفَدّى عَرِيبُها). والأماثيلُ جَمْعُ الأَمْثَلِ، وأماثِلُ النّاسِ وأماثِيلُهم: خِيارُهم وأشرافُهم. العَرِيبُ: حَيٌّ من اليَمَنِ، والرَّجُلُ الفصيحُ الْمُعرِبُ، وتقولُ: ما بالدّار من عَرِيبٍ؛ أي ما بها أحَدٌ، والذَّكَرُ والأُنثى فيهِ سَواء (اللسان: عرب). ولعلَّ الرّاجحَ هُنا هُوَ المعنى الثّاني؛ لأنَّ الرَّجْعَ هُنا إنّما هُوَ رَجْعُ الْحَديثِ .

قافيةُ التّاء

(٧)

{ الطّويل }

١ أَلا مَنْ لِعَيْنٍ لا تَرى قُلَلَ الْحِمَى وَلا جَبَلَ الأَوْشالِ إِلاّ اسْتَهَلَّتِ [١]

---

[١] في الحمدونيّة (ما ترى)، (وَلا أَبْرَقَ الظَّمْآنِ). قُلَل الْحِمَى: القُلَّةُ من كلِّ شيءٍ رَأْسُهُ وأعلاهُ، وأعلى الجَبَل، وخصَّ بعضُهم به أَعْلى السَّنامِ والرَّأسِ والجَبَل، وقِلالَةُ الجَبَل كَقُلَّتِه؛ وهيَ كالقِمَّةِ، إلاّ أنَّ القُلَّةَ تَجْمَعُ الشَّكْلَ الذي تَكونُ القِمَّةُ أعلاهُ، وهي تُشْبِهُ قُلَّةَ الماءِ والحالَةُ هذه، وهذه كانت معروفةً بهذه التسميةِ عندَهم، واشتُهِرَت منها قِلالُ اليَمَنِ والأحساء. أمّا القِنانُ (جمعُ قُنَّة) فَهي النُّتوءاتُ البارزَةُ المرتفعةُ في الجَبَلِ، وتَكونُ أَدْوَنَ من القِمَّةِ أو القُلَّة.

وأمّا الحِمَى، فالذي يقصده الشّاعرُ هُنا هُوَ حِمَى النِّيرِ، وهو حِمَى كُلَيْب وائل في القَديم، ويقَعُ في الجنوب الغربيِّ من دِيار قُشَيْر (العرب/١٤٤)، قالَ ياقوت: "النِّيرُ جَبلٌ بأعْلى نَجْدٍ شَرقِيُّهُ لِغَنِيِّ ابنِ أعْصُرَ وغربيُّه لِغاضِرَة بْنِ صَعْصَعَة بْنِ مُعاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بنِ هُوازن، وجِذاءهُ بالأحساءُ بِوادٍ يُقالُ لـه ذو بِحار، وهذا الوادي يَنعضُ من أقاصي النِّيرِ ... وبالنّيرِ قَبْرُ كُلَيْبِ بْنِ وائل – على ما خبَّرَنا بعضُ طَيِّئٍ – عَلى الْجَبَلَيْنِ، قالَ: وهو قُرْبَ ضَرِيَّة" (البلدان: النِّير)، ويردُ في البيتِ التّالي

أمّا جَبَلُ الأَوْشالِ، فَلَم أَقِفْ لَه على تعريفٍ في مصادر البلدان، ووجدْتُ الجاسِرَ قالَ: "قد يَكونُ هذا الاسمُ ليسَ عَلَمًا، وإنّما هو جبَلٌ تكثُرُ فيهِ أَوْشالُ الماء؛ هذا إذا لَمْ يَكن الاسمُ مُحَرَّفًا" (العرب/١٤٤)، وتابَعه الفيصَل (شعراء قشير ٧٤/٢، ديوانه/٣٧). والْوَشَلُ: الْمَاءُ القَليلُ يَتَحَلَّبُ؛ وذلكَ إذا تَكَوَّنَ سَفْحُ الجَبَلِ من التُّرابِ والصُّخور غَيْرِ المُتَّصِلَةِ بَعْضِها ببعْضٍ، فعِنْدَما ينْزِلُ المطَرُ يَختزِنُ التُّرابُ شيئًا منهُ، ويتغلغَلُ الماءُ في التّرابِ حتّى يَصِلَ حَدَّ الصَّخر الصَّلبِ، فيَنْزَلِقَ عنه إلى أسْفَلَ مُنْحَدِرًا حتّى يَجِدَ مَخرَجَه أَسْفَلَ السَّفْحِ عِنْدَ أُصول الجَبَلِ مِمّا يُحاذي الوادي. وقد رَوى ياقوت عن أبي منصور قالَ: "رأَيْتُ في الباديَةِ جَبَلاً يَقْطُرُ منه في لِحْفٍ من سَقْفِه ماءٌ فيَجْتَمع في أسفَلِه، يُقالُ لَهُ الْوَشَلُ. وقالَ الجوهريُّ: وشَلٌ اسمُ جَبَلٍ عظيمٍ بناحيَةِ تِهامَةَ، وفيهِ مياهُ عذْبَة ... وقالَ أبو عُبيدِ اللهِ السَّكونيُّ: الوشَلُ ماءٌ قريبٌ من غَضْوَر ورَمّان شَرْقِيُّ سَميراءَ"؛ ولِحْفُ الجَبَلِ أَصْلُه (البلدان: الوشَل)، ولعلَّ هذا الجبلَ هُوَ المقصودُ بعَيْنِه، فَسَميراءُ هذه تقدَّمَ ذِكْرُها في حديثِ طُلَيْحَةَ الأسدِيِّ المتنبّي (انظر الهامشَ الأوّل في المقطوعة البائيّة الرّابعة – أكناف الشّباب) .

واسْتَهلَّتِ العَيْنُ: دَمَعَتْ، ومِثْلُها انْهَلَّتْ عَيْنُه وتَنَهَّلَتْ، وتكونُ بمعنى سالَت بالدّمعِ إنْ أَغْزَرَتْ، انظر (اللسان: هلل) .

٢ وَلا النِّيرَ إلاّ أسْبَلَتْ وَكَأَنَّها عَلَى رَمَدٍ باتَتْ عَلَيْهِ وَظَلَّتِ [١]

٣ لَجُوجٍ إذا لَجَّتْ، بَكِيٍّ إذا بَكَتْ بَكَتْ فَأَدَقَّتْ في الْبُكا وَأَجَلَّتِ [٢]

٤ كَما هَتَنَتْ طَرْفاءُ ناشَتْ غُصونَها جَنوبٌ وقَدْ كانَتْ مِنَ اللَّيْلِ طَلَّتِ [٣]

---

(١) في العرب وديوانه وشعراء قُشَير (رَبْدِ)، والصّوابُ ما أثبَتْناهُ. وقدْ تقدَّمَ ذِكْرُ النِّيرِ في الهامش المتقدِّمِ (الحِمى)، أمّا الرَّمَدُ فهُوَ أَلَمٌ يُصيبُ العَيْنَ بانْتِفاخٍ واحْمِرار، ونعرفُ له اليوْمَ أنواعًا منها الرَّمَدُ الرَّبيعيُّ. وأسْبَلَتِ العَيْنُ سالَ دَمْعُها، ومن المعروفِ أنَّ الأرْمَدَ والرَّمْداءَ يُثيرُ الدّمعَ في عُيونِهما أقلُّ أثَرٍ من ريحٍ أو غُبارٍ أو ضوءٍ زائدٍ وهّاج

(٢) العيْنُ اللجوجُ: التي دَمْعُها لَجوجٌ؛ تلكَ التي تتمادى في البُكاءِ وتأبى أنْ تنصَرِفَ عنهُ، قالَ أبو ذؤيب الهذليُّ: (اللسان: لجج)

فإنّي صَبَرْتُ النَّفسَ بَعْدَ ابْنِ عَنْبَسٍ فَقَدْ لَجَّ من ماءِ الشُّؤونِ لَجوجُ

أمّا بَكِيٌّ؛ فهيَ بمعنى بَكّاءة، وأدَقَّتْ وأجلَّتْ أي أقلَّتْ وزادتْ، فهي إذَنْ لا تنْقَطِعُ عن البُكاءِ، إنّما يَخِفُّ دَمْعُها قليلاً ثُمَّ يَزدادُ شيئًا فشيئًا

(٣) في ديوانه (حَنوبُ)، هَتَنَت السّماءُ: صبَّتْ ماءها وأغْزَرت مَطرها؛ وإذا كَثُرَ دَمعُ العينِ شُبِّهَ عندَهم بانْسِكابِ القَطْرِ، وانْدِلاقِ الماءِ من مُزادَةٍ لَمْ يُحْكَمْ خَرْزُها، أمّا الطَّرْفاءُ، فَجَماعَةُ الطَّرَفَةِ، نوعٌ مِنَ الشَّجَرِ؛ قالَ في اللسانِ: "الطَّرْفاءُ من العِضاه، وهُدْبُهُ مثلُ هُدْبِ الأثْلِ، وليسَ له خشبٌ، وإنّما يُخرِجُ عِصِيًّا سَمْحَةً في السَّماءِ، وقد تتحمَّضُ بهِ الإبلُ إذا لَمْ تَجِدْ حَمْضًا غَيْرَه" (طرف)، فيكونُ تشبيهُهُ لانهمالِ الدّمعِ من العَيْنِ هُنا بانْهِمارِ قطراتِ الطَّلِّ عن أغصانِ الطَّرْفاءِ حينَ تُحرِّكُ أغصانَها الرّيحُ الجَنوبُ، ولو لَمْ تَكُن أغصانُ الطَّرَفَةِ مستَدِقَّةً سَمْحَةً صاعِدَةً في السَّماءِ لَما كانَ تشبيهُهُ دَقيقًا، لأنَّ كونَها كذلكَ يَجْعَلُ حَرَكَةَ أعْلى القَطَراتِ مَكانًا إلى أسْفَلَ تُحرِّكُ القطَراتِ دُونَها، وهكذا تتسايَلُ القطَراتُ من أعلى إلى أسْفَلَ متحدِّرَةً مُتلاحِقَةً في انْسِيابٍ وتتابُع.
أمّا قَوْلُهُ (ناشَتْ غُصونَها)، فعَلى تشبيهِ ما تفعَلُه الرّيحُ الجنوبُ بهذه الأغصانِ من تحريكِها بما تفعَلُه الأنْعامُ والظِّباءُ من نَوْشِ الأغْصانِ؛ فكِلاهُما يُسبِّبُ حركَةً خفيفَةً لا عُنْفَ فيها ولا صَخَبَ؛ فكأنَّهُ جعلَ للرّيحِ ما للظِّباءِ وغيْرِها .
ونَقولُ : "طَلَّتِ" أي أصابَها الطَّلُّ، أو نَدِيَتْ، أمّا "طُلَّ"، فهوَ من مَطْلولِ الدَّمِ، ولا تَقومُ هذه مَكانَ تلْكَ، والضَّمُّ فيها لِمَعْنى (نَدِيَتْ) لَحْنٌ (هكذا وردَ في هامشِ تعليقاتِ الهجري) .

٥ أَلا قاتَلَ اللهُ الحِمى مِنْ مَحَـــلَّةٍ   وَقاتَلَ دُنْيانا بِها كَيْفَ وَلَّـــتِ (١)

٦ غَنِيْنا زَمانًا بِالحِمى ثُمَّ أَصْبَحَتْ   عِراصُ الحِمَى مِنْ أَهْلِها قَدْ تَخَلَّتِ (٢)

٧ وَنادى المُنادي بِالفِراقِ فَقَوَّضُــوا   بُيوتًا تُرى أَطْنابُها حَيْثُ شُــدَّتِ (٣)

٨ شَدَدْتُ بِثَوْبي حَشْوَةً ضَبَثَتْ بِها   يَدُ الشَّوْقِ يَوْمَ البَيْنِ حِينَ احْزَأَلَّـتِ (٤)

٩ وَقُلْتُ لأَصْحابي غَداةَ فِـراقِها :   وَدِدْتُ البُحورَ العامَ بالنّاسِ طَمَّتِ (٥)

١٠ فَتَنْقَطِعَ الدُّنْيا الَّتي أَصْبَحَتْ بِهِمْ   كَمِثْلِ مُصاباتٍ عَلى النّاسِ عَمَّـتِ (٦)

١١ وَلَكِنَّما الدُّنْيا كَفَيْءِ غَمــــامَةٍ   أَظَلَّتْ بِغَيْمٍ ســاعَةً وَاضْمَحَلَّتِ (٧)

---

(١) في ديوانه (وِلّتَ)، المَحَلَّةُ والمَحَلُّ كالمَنْزِلِ والمَنْزِلَةِ، ويكونُ المَحَلُّ والمَحَلَّةُ المَوْضِعَ الذي يُحَـــلُّ فيـهِ، ويكونُ المَحَلُّ مَصْدَرًا، وكِلاهُما بفَتْحِ الحاءِ لأنَّهما من حَلَّ يَحُلُّ، أمّا مَحِلٌ فَهُوَ من حلَّ يَحِلُّ أي وجبَ.

(٢) في الحمدونيّة والعرب (كَيْفَ أَصْبَحَتْ)، وفيهما وفي شعراء قشير وديوانه (عِراضُ اللِوَى)، وَهُــوَ تَصحيــفٌ ظاهِرٌ. والعِراصُ والعَرَصاتُ جَمْعُ عَرْصَةٍ، وهيَ السّاحةُ والفِناءُ. ويُقالُ : "خَلَّى الأَمْرَ وتَخَلّى مِنْهُ وَعَنْهُ وَخالاهُ: تَرَكَهُ" (اللسان: خلا) .

(٣) في العرب وشُعراء قُشير وديوانه (تَرى أَطْنابَها) ولا وَجْهَ لِلْخِطاب هُنا، ويُقوّي ما أَثْبَتْناهُ قَوْلُه (شُدَّتْ) بالبنــاءِ للمجهولِ. والبيتُ وما يليهِ من أبياتٍ تُظْهِرُ أنَّ القصيدَةَ قِيلَتْ في ارْتِحالِ بَني عَمِّهِ عن الدِّيارِ التي كانَ يُقيمُ فيها إلى مَرابِعَ أُخرى في دِيارِ قُشَيْر. وتقويضُ البُيوتِ طَيُّها بعْدَ فَكِّ أطْنابها إيذانًا بالرَّحيلِ.

(٤) شَدَّ ثِيابَهُ عَلى خَصْرِهِ لِيُقِلَّ من إيلامِ كَبِدِه، والحَشْوَةُ هُنا الحَشا أو الأَحْشاء. أمّا (ضَبَثَــتْ) فــهي بمَعــنى أمسَكَتْ بها تَمامًا، وجَعَلَتْها في قَبْضَتِها في شِدَّةٍ (اللسان: ضبث)، والبَيْنُ الفِراقُ. أمّا الاحْزِئلالُ؛ فهو الارتفاعُ في السَّيْرِ والأرضِ، واحزَأَلَّتِ الإبلُ إذا اجتمَعتْ ثُمَّ ارتَفَعتْ عَنْ مَتْنٍ من الأرضِ في ذَهابها (اللسان: حــزَل). وهذا يسبِقُ غِيابَها عَنِ النَّظَرِ؛ لأنَّها عَمّا قليلٍ يُخفيها مُنْخَفَضٌ من الأرضِ بعدَ ارتِفاعِها، وهذه عادَةُ ما تَكـونُ لَحظَةَ النَّظرَةِ الأخيرَةِ التي يُلقيها العاشِقُ .

(٥) يَتَمنّى لَو حَلَّ طوفانٌ بالنّاسِ جَميعًا .

(٦) فِراقُها كأنَّه نهايةُ الدّنيا عِنْدَه، لكنّه يتمنّى لو كان ذلك على الحقيقةِ .

(٧) مقصودُه إلى أنَّ السّعادَةَ قصيرَةُ العُمرِ؛ في حين يُسيطِرُ الحزْنُ في الأعَمِّ الأغْلَبِ، وواقِعُ الأمْرِ أنَّ هذا كان نَهْجًا معروفًا عند شُعراء العرب، ولهذا تجِدُ شاعِرَهُم يقولُ:

يَطولُ اليَوْمُ لا أَلْقاكَ فيهِ   وَحَوْلٌ نَلْتَقي فيهِ قَصيرُ

وتَرى هذا المعنى عندَ شُعراء عَصرنا هذا، فتَجد محمود درويش يقولُ في رثاء راشد حسين إنَّه كــانَ (طويــلاً كَنَشيدٍ ساحِليٍّ وَحَزين)، والجامِعُ بينَ هذه الأقوالِ في مُجْمَلِها هي أنَّ الزَّمنَ الموضوعيَّ قدْ يَختَلِفُ إحســاسُ النّاسِ به، فتختَلِفُ قيمَته الفيزيائيّة مِنْ ثَمَّةَ، فهذا يَرى الليلَ طويلاً بسببِ حُزْنِه وأرَقِه، ويَراهُ الآخَرُ قصيرًا لِفَرَحِهِ وحَلاوَةِ ما يذوقُه فيه .

١٢ أَلا قاتَلَ اللهُ الحَمامَةَ غُـــدْوَةً   عَلَى الفَرْعِ ماذا هَيَّجَتْ حينَ غَنَّتِ
١٣ تَغَنَّتْ غِناءً أَعْجَـميّاً فَهَيَّجَتْ   جَوايَ الذي كانَتْ ضُلوعِيْ أَجَنَّتِ
١٤ نَظَرْتُ بِصَـحْراءِ البُرَيْقَيْنِ نَظْرَةً   حِجـازِيَّةً لَوْ جُنَّ طَرْفٌ لَجُنَّتِ[١]
١٥ أَقولُ لِعُثْمانَ بْنِ وَهْبٍ وَقَدْ رَأَى   سُحُوقِيْ جَرَتْ فِيها دُموعِيْ فَبَلَّتِ[٢]
١٦ أَلِكْنِيْ إِلى طَيّا، أَلِكْـنِيْ لِحاجَةٍ   مِنَ الحاجِ قَدْ هَمَّتْ بِنَفْسِيْ وَهَمَّتِ[٣]
١٧ بِآيَةِ ما سـارَتْ، فَلَمّا تَمَكَّنَتْ   حَبائِلُها مِنْ شُـعْبَةِ القَلْبِ حَلَّتِ[٤]
١٨ وَقالَـتْ: حَلَلْنا وادِيًا ذا طُرَيْفَةٍ   وَكانَتْ مَطايانا مِنَ السَّـيْرِ كَلَّتِ[٥]
١٩ فَحَلَّتْ مَحَلاًّ لَمْ يَكُنْ حُلَّ قَـبْلَها   وَهانَتْ مَـراقِيهِ لِطَيّـا وَذَلَّتِ[٦]

---

(١) صحراءُ البُرَيْقَيْنِ: رَمْلَةٌ في بلاد قشير، مُثَنّى البُرَيْق (ياقوت: البريقان)

(٢) في ديوانِهِ (عُثْمانَ بنِ وَهْبٍ)، ولا يستَقيمُ. وعُثْمانُ بْنُ وَهْبٍ أَحَدُ أصحابِ الشّاعر، لكنّني لَمْ أَقِفْ لَهُ على ذِكْرٍ في المصادِر. أمّا (السُّحوقُ)، فـهيَ مَجاري الدَّمْعِ مِمّا يُجاوِرُ العَيْنَ، وسَحَقَت العَيْنُ الدَّمعَ: حَدَّرَتْهُ (اللسان: سَحَق).

(٣) أَلِكْني إليْها؛ أي أَرْسِلْني إِلَيْها، أَلْحِقْني بها، أَبْلِغْها بِأَمْري (اللسان: ألك). أمّا الحَاجُ فَجَمْعُ حاجَةٍ. وأمّا قولُه (هَمَّتِ) الأُولى، فهيَ من مَعنى همَّتْ بِهِ، أي أرادَتْهُ، وَهَمَّتْ بِنَفْسي أي هَمَّتْ بإتْلافِها، أمّا الأُخْرى فَهِيَ مِنْ مَعْنى الهَمِّ، أي أسكَنَتْها الهَمَّ والكَمَد (اللسان: هَمَم).

(٤) الشُّعْبَة: ما شُعِبَ من الجِلْدِ لِيَكونَ حَقيبَةً أو مُزادَةً؛ والشَّعْبُ هُنا بِمعنى خَرْزِ الجِلْدِ بالمِشْعَبِ لِيُخاطَ (اللسان: شعَب)؛ فكأنّه أرادَ أنّها لَمّا استَحْكَمتْ علائِقُ هَواها من قَلْبِه، وأوْثَقَتْهُ بِحِبالِ الوَصْلِ والعِشْقِ حَتّى تَمَكَّنَتْ من فُؤادِهِ، رَحَلتْ فَحَلَّتْ ما كانتْ أَوْثَقَتْ عُراهُ.

(٥) الطُّرَيْفَةُ ضَرْبٌ من الكَلأ، وهي من النّباتِ أوّلُه الذي تستَطرِفُه الأنعامُ فتَرْعاهُ، وقيلَ سُمِّيَت بذلك لِطَرافَتِها وكَرَمِها، وأَطْرَفَتِ الأرْضُ: كَثُرَت طَريفَتُها، وأرضٌ مَطروفَةٌ: كَثيرَةُ الطَّريفَة (اللسان: طرفَ)، والقصدُ هُنا إلى الوادي المُعشِبِ الخَصيبِ؛ أمّا الكَلالُ فالتَّعَبُ.

(٦) المَراقي: جَمعُ (مَرْقى)؛ ما يُرْتَقى من الأرضِ، وهي مرتَفَعاتُها. وقولُه (هانَتْ ... وذَلَّتْ) يُشيرُ بهِ إلى أنَّ الصِّعابَ ذُلِّلَتْ لِحَبيبَتِه في رِحْلَتِها، وإلى أنّ المُقامَ طابَ لَها في مُرْتَحَلِها عندَ ذلكَ الوادي. وثَمّةَ ما يُمكِنُ لَحظُهُ هُنا في قَوْلِه (طَيّا) بدلَ (ريّا)، وهو أنّ القصائدَ التي غلبَ على إحساسِ الشّاعرِ فيها هَجْرُ طَيّا، أو التّألُّمُ لِفِراقِها وفِراقِ دِيارِه بعدَ أنْ تزوَّجَتْ، قدْ غلبَ عليْها هذا الاسمُ (طَيّا)، في حينِ غلبَ (ريّا) على قصائدِ حنينِه إليْها، وتشوُّقِهِ إلى نَجْدٍ لِيَراها، ولعلّ الاسمَ (طَيّا) يَحْمِلُ في ثَناياهُ شَيئًا من الطَّيِّ الذي يدلُّ على النِّهاياتِ دائمًا، وطَيِّ المَفاوزِ والرَّحيلِ والفِراقِ!

٢٠ خَلِيلَيَّ ، فِي طَيَّا أَقِلّا مَـــــلامَتِي فَقَدْ بَخِلَتْ طَيّا عَلَيْنا ، وَضَنَّــتِ[١]

٢١ لَعَمْري، لَئِنْ أَحْبَبْتُ طَيّا ، وَآثَــرَتْ عَلَيَّ الْعِدا، ما سُنَّةَ الْعَدْلِ سَنَّــتِ

٢٢ أَظَلُّ أُمَنّيها الْفُؤادَ سَــــــفاهَــةً إِذا ما انْطَوَتْ نَفْسِيْ عَلى الْيَأْسِ مَلَّتِ[٢]

٢٣ فَوَجْدِيْ بِطَيّا وَجْدُ أَشْمَطَ راعَــهُ بِواحِـــــدِهِ داعي الْمَنايا أَلَمَّــتِ[٣]

٢٤ وَوَجْدِيْ بِطَيّا وَجْدُ بِكْرٍ غَــرِيرَةٍ عَلَى والِـــدَيْها فارَقاها فَجُنَّــتِ[٤]

٢٥ وَوَجْدِيْ بِطَيّا وَجْدُ هَيْماءَ حُلِّـتْ عَنِ الْماءِ كانَتْ مُنْذُ خِمْسَيْنِ ضَلَّتِ[٥]

---

(١) جَرى في البيتِ على عادَةِ الشُّعراء في نِداءِ الصّاحِبَيْن، وقد تقدَّم الحديثُ عن ذلكَ. وأضيفُ هُنا أنَّ من عاداتِ الرّاحلينَ أنْ يكونوا جَمْعًا زُرافاتٍ لا وحْدانًا، ويبدو أنّ أدْنى عَدَدٍ للسَّفْرِ عندَ العربِ في الأحوالِ العادِيَّةِ كانَ ثلاثَةً؛ نَلْمَحُ مِثْلَ هذا في قوْلِه عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ: (إذا كُنْتُمْ ثلاثةً فأمِّروا واحِدًا منكُم)، ولهذا جرَتِ العادَةُ بِمُناداة الاثنَيْنِ أكثرَ من نِداءِ الواحِدِ والجَماعَةِ عند الشُّعراء !

(٢) هاءُ المفعول في (أمَنّيها) تَحتَمِلُ العَوْدَ إلى (طَيّا) في البيتِ المتقدِّم؛ فيَكونُ المعنى على هذا أنّه أقامَ دَهْرًا يُمنّيها مِلْكَ فُؤادِه، وأنّه يُقِرُّ بِكوْنِه سَفيهًا لِما فَعَل، كَما تحتَمِلُ العَوْدَ إلى (نَفْسي) الْمُتَأخِّرَةِ في عَجُزِ البيْتِ؛ فيكون المعنى على هذا الوجهِ أنّه ظَلَّ يُمَنّي نَفْسَهُ بما في فؤادِهِ من حُب، وبأنَّهُ قَدْ قَرُبَ وِصالُهُ؛ لكنَّهُ كانَ سَفيهًا إذْ آمَنَ بذلكَ، ولَمْ يأمَنْ غَوائلَ الدّهر وصُروفَه، حتّى تَمَلَّكَ نفسَهُ اليأسُ فَمَلَّت أمانيَّهُ المعسولةَ الخادِعَة، ويُقوّي هذا الوجْهَ أنّهم سَلَكوا في شِعرِهم مِثلَ هذا؛ فيقولُ شاعِرُهم (أعَلِّلُ النَّفْسَ بالآمال). لكنَّ الأوَّلَ أقْوى وأقْرَبُ؛ من حيثُ يدلُّ على مِقدار خُضوعِهِ لِحَبيبتِه، وما كانَ يبذُلُ لَها من أمانيَّ؛ لكنَّه لَمْ يَقْوَ على مِلْكِ ما يُحقّقُ بِهِ وُعودَه !

(٣) الأشْمَطُ من الرِّجال: الذي وَخَطَ الشَّيْبُ في شَعْرِه، وهوَ الذي بلغَ من الْعُمْرِ مَبْلَغًا يَحتاجُ فيهِ إلى أنْ يستَظْهِرَ بِغَيْرِه عَلى مَتاعبِ الدُّنيا، ويطمَئِنَّ إلى أنَّ لَهُ مُعينًا عَلى صُروفِها، وقارَب على سِنٍّ لا يُنْجِبُ فيها، وهذا المعنى الذي قصدَ إليْهِ الشّاعرُ حينَ قالَ: (بِواحِدِهِ)؛ أي بابْنِه الوَحيدِ. ومؤنَّثُهُ الشَّمْطاءُ (اللسان: شمط)، وهو في البَيْتِ يُصَوِّرُ مَدى حُزْنِه وفَجيعَتِه بِفراق ريّا .

(٤) البِكْرُ من النِّساءِ: الَّتي لَمْ تتزَوَّجْ بَعْدُ، وحَديثَةُ السِّنِّ بِمَعنى الْمَعْنى؛ والغَريرَةُ من النِّساءِ تُقابِلُ الْغِرَّ مِنَ الرِّجالِ؛ أي لَمْ تَخْبَرِ الدُّنْيا بَعْدُ؛ فَهِيَ في حاجَةٍ إلى غَيْرِها؛ ولا سِيَّما أبَوَيْها (اللسان: غرر) .

(٥) الْهَيْماءُ: النّاقَةُ الّتي أصابَها الْهُيامُ؛ وهو شِدَّةُ العَطَش، وحُلِّئَتْ: صُدَّتْ وَأُبْعِدَت، والْخِمْسَان مُثَنّى الْخِمْسِ؛ وهوَ وُرودُ الْماءِ بَعْدَ خَمْسةِ أيّام، والعَرَبُ تقولُ: ثِلْثٌ وَرِبْعٌ ... إلى تِسْعٍ، ولا تَقولُ: عِشْرٌ، ولذلكَ ثَنّى الشّاعرُ الْخِمْسَ لِيَدُلَّ على انقِطاعِ النّاقةِ عن وُرودِ الماءِ بَعْدَ عَشَرَةِ أيّام، (اللسان: هيم، حلا، خمس). والبيْتُ يُذكِّرُ بقوْلِ ابْنِ الطَّثْرِيَّةِ :

فَما وَجْدُ مِلْواحٍ مِنَ الْهِيمِ حُلِّئَتْ عَنِ الْماءِ حَتّى جَوْفُها يتصَلْصَلُ
تَحومُ وَتَلْحاها الْعِصِيُّ وَحَوْلَها أَقاطِيعُ أنعامٍ تَعُلُّ وتَنْهَـــلُ
بِأَكْثَرَ مِنّي غُلَّـــةً وَتَشَهِّيًا إِلَى الْوِرْدِ إلاّ أنّني أتَجَمَّـــلُ

٢٦ إذا سافَتِ الأَعْطانَ، أوْ شَمَّتِ الثّرى ... رَماها وَلِيُّ الماءِ عَنْهُ ، فَوَلَّتِ[١]

٢٧ وَإنْ أشْرَفَتْ مِنْ أكْمِ الْماءِ مَيْفَعًا ... لَوَتْ رِجْلَها الْيُسْرى بِالأُخْرى فَحَنَّتِ[٢]

٢٨ فَحَنَّتْ حَنينًا يُطْرِبُ الصَّبَّ ذا الْهَوى ... وَقَدْ نَهِلَتْ مِنْهُ بِيَأْسٍ وَعَلَّتِ[٣]

٢٩ وَلا وَجْدُ بِكْرٍ حُرَّةٍ أَرْحَبِيَّةٍ ... تَرودُ حَوالَيْ طِفْلِها قَدْ أَتَمَّتِ[٤]

٣٠ أُتيحَ لَها فيما تَروحُ وَتَغْتَدي ... خُشارِمُ مِنْهُ رُعْبُها فاشْمَعَلَّتِ[٥]

٣١ وَجاءَتْ مُفَجّاةً تَرى فَرْثَ طِفْلِها ... بِسِرْحانِهِ أَظْفارُها قَدْ تَدَمَّتِ[٦]

---

(١) سافَتِ الأَعْطانَ: تَنَشَّقَتْ رائِحَةَ مَبارِكِ الإبِلِ حَوْلَ الْماء (اللسان: سوف، عطن)، ووَلِيُّ الْماءِ: الذي يَتَوَلّى أمْرَ سَقْيِ الإبِلِ، أيْ حلأَها عن الماءِ فانْتَهَرَها أوْ رَماها بِحَجَرٍ فوَلَّت .

(٢) أشْرَفَتْ: نَظَرَتْهُ من مُكانٍ مُشْرِفٍ علَيْهِ، وهُوَ الْمَيْفَعُ (اللسان: يفع)، والآكُمُ جَمْعُ أكَمَة، وهيَ أشْرافٌ في الأرْضِ كالرَّوابي (اللسان: أكَم)، وأمّا لَيُّها رجْلَها اليُسْرى بالْيُمْنى فَكِنايَةٌ عَنْ تَحَسُّرِها عَلى صَدِّها عَن الماءِ مَعَ شِدَّةِ عطَشِها، وهي تَرى غَيْرَها يَرِدُهُ فَلا يُصَدُّ مِثْلَها، أمّا حَنينُها؛ فَصَوْتٌ حَزينٌ تُطْلِقُهُ النّاقَةُ حِينَ تُرْحَلُ تارِكَةً فَصيلَها وراءها، أو تَمُرُّ بِديارٍ كانَتْ فيها قَبْلُ. والجديرُ بالذّكرِ هُنا أنَّ غَزِلي البادِيَةِ أكثَروا في شِعرِهم من تَصويرِ حَنينِ الإبِلِ؛ كَما فَعلوا بِهديلِ الحَمامِ، ووظَفوهُ في تصويرِ لواعِجِهم وزفَراتِهم الحرّى حينَ يفارقونَ ديارَهم ومحبوباتِهم .

(٣) الصَّبُّ: العاشِقُ (اللسان: صبَب)، والنَّهْلَةُ: الشَّرْبَةُ الأُولى، تَليها الْعَلَّةُ (اللسان: نهل، علل) .

(٤) بدأ الشّاعرُ في هذا البيتِ مع ما يليهِ (٢٦-٣١)باستِخْدامِ التّصويرِ باللوْحَةِ، فَهُوَ يَرْسُمُ لِوَجْدِهِ صورَةً مُقابِلَةً باستِخْدامِ أسلوبِ التَّدْويرِ؛ حيثُ يؤدّي كلُّ بيتٍ جُزئيَّةً من جُزئيّاتِ اللوْحَةِ التي يرسُمُها، وهو بذلكَ يُحاولُ أنْ يستَقْصِيَ التفصيلاتِ التي يَراها مؤدِّيَةً للحالةِ التي يريدُ تصويرَها. أرْحَبُ: قبيلَةٌ من هَمْذانَ تُنْسَبُ إلَيها النَّجائبُ الأرْحَبِيَّةُ (اللسان: رحب)، تَرودُ: تروحُ وتغتَدي غَيْرَ آمِنَةٍ؛ فهيَ تظلُّ تبحَثُ عَنه (اللسان: راذَ)، أتَمَّت النّاقةُ، وهيَ مُتِمٌّ: دَنا نَتاجُها (اللسان: تَمَم) .

(٥) الْخُشارِمُ: الأصْواتُ، وخَشْرَمتِ الضَّبُعُ: صوَّتَتْ في أكْلِها (اللسان: خشرَم)، اشْمَعَلَّت: ارْتاعَتْ فَأجْفَلَتْ مُسرِعَةً (اللسان: شَمْعَل)، وفي هذه الأبيات صورَةٌ لِناقَةٍ أتَمَّتْ حَمْلَها ودَنا نَتاجُها، تَرعى وطِفْلَها فَراعَها صَوتُ ضَبُعٍ أجْفَلَتْ منهُ، ثُمَّ عادَتْ تَبحَثُ عَنْ طِفْلِها فَوَجَدتْ أشْلاءه متناثِرَةً .

(٦) مُفَجّاةٌ: عَظيمَةَ البَطْنِ بسببِ تَمامِ حَمْلِها؛ أي ثقيلةَ الحركةِ (اللسان: فجأ)، والفَرْثُ: حَشْوُ الْمَعِدَةِ (اللسان: فرث)، والسِّرْحانَةُ: أنثى السِّرحانِ؛ الذِّئبَةُ (اللسان: سرح) .

٣٢ تَهُزُّ مِنَ الْوَجْدِ الْخَصِيلَ ، وراعَها صُوَيْتٌ خَفِيٌّ خَلْفَها فَاقْشَعَرَّتِ[١]

٣٣ فما وَجَدَتْ مِنْ طِفْلِها غَيْرَ شِلْوِهِ شَماطِيطَ لَمْ تَقْنَعْ بِها حَيْثُ شَمَّتِ[٢]

٣٤ فَظَلَّتْ تُراعي شِلْوَها مُسْتَجِنَّةً إذا سَلَيْتْ رَجْعَ الْحَنينِ اسْتَهَلَّتِ[٣]

٣٥ وَلا أُمُّ أَحْوى شادِنٍ عَطَفَتْ لَهُ قُبَيْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ، أَوْ حِينَ ذَرَّتِ[٤]

٣٦ فَلَمّا سَقَتْهُ الدَّرَّ أَحْجَمَ قائِمًا إِلَيْها قَليلاً ، ثُمَّ وَلَّى وَوَلَّتِ[٥]

٣٧ إلى مَرْتَعٍ قَدْ عَوَّدَتْهُ وَمَهْمَلٍ سَليلٍ ، فَظَلَّتْ يَوْمَها حِينَ ظَلَّتِ[٦]

٣٨ فَلَمّا دَنا الإِظْلامُ أَدْرَكَ سَمْعُها صُوَيْتًا خَفِيًّا راعَها فَاحْزَأَلَّتِ[٧]

---

(١) الْخَصيلُ: الذَّنبُ غَزيرُ الشَّعر (اللسان: خصَل) .

(٢) الشِّلْوُ: كلُّ مسلوخةٍ أُكِلَ مِنها شيءٌ فبقيَّتُها شِلْوٌ (اللسان: شَلا)، والشَّماطيطُ: القِطَعُ الْمُتنايِرة، واحِدُها شِمْطِيطٌ وشُمْطوطٌ وشِمْطاط (اللسان: شَمَط) .

(٣) ظلَّتْ تُراعي شِلْوَها: أي ظلَّتْ قائِمَةً عليهِ تشمُّهُ وتُلاحِظُه بينَ حَنينٍ وبُكاء .

(٤) الْحُوَّةُ: السَّوادُ في الشَّفَتَيْنِ، والأحْوى ومؤنّثه حَوّاءُ (اللسانُ: حَوا)، وهذه الصِّفَةُ إنّما جاءت من سُمْرَةِ الطّينِ الذي خُلِقَ منه البشَرُ، وهِيَ الْحُوَّةُ التي مِنها حَوّاءُ، والأُدْمَةُ التي مِنها آدَمُ (ع). أمّا الشّادِنُ فَوَلَدُ الظَّبْيَةِ (اللسان: شدن)، وأمّا ذَرَّتِ الشَّمْسُ فَطَلَعتْ (اللسان: ذرر) .

(٥) الدَّرُّ: الْحَليبُ، وأحْجَمَتِ الْمَرأةُ الْمَولودَ: أرضَعَتهُ أوَّلَ إرْضاعَةٍ، وَحَجَمَها هُوَ وأحْجَمَها: مَصَّ ثَدْيَيها (اللسان: حجم) .

(٦) الْمَرْتَع: الْمَكانُ الْمُخصِبُ الذي تَرْتَعُ في الأنعامُ (اللسان: رتع)، والْمَهْمَل: الذي ترتادُه الْهَوامِلُ من الإبل؛ وهي التي لَيسَ لَها راعٍ يَرعاها، فهِيَ ضَوالُّ لا رعاةَ لَها، ولا مَنْ يُصْلِحُها ويَعتَني بِها، وفي الْمَثَل: "اختَلَطَ الْمَرْعِيُّ بالْهَمَل" (اللسان: هَمل)، والسَّليلُ: الوادي الواسِعُ (اللسان: سلل) .

(٧) احزَألَّت: انضَمَّ بَعضُها إلى بَعضٍ من الْخَوفِ (اللسان: حزل)، ونحنُ نَرى مِثل هذا في الْحَيَواناتِ والبشرِ جَميعًا؛ وتعليلُه أنَّ الْخَوفَ يسبِّبُ صَدْمَةً عصبيَّةً تَتقلَّصُ عَضَلاتُ الْجِسْمِ بسببِها؛ ويَنْجُم عن هذا التَقلُّصِ اجْتِماعُ الأطْرافِ إلى الجِسْمِ، فضلاً عن انقِباضِ الأحشاءِ والمِعِدَةِ وتقوُّسِ الظَّهْرِ، فكأنَّ الْمُحزَئِلَّ يَتَكَوَّرُ كالكُرَةِ في اجتِماعِ جسَدِهِ .

٣٩ تَمارَتْ عَلى جَرْسٍ، فَنَصَّتْ بِجِيدِها وَكانَتْ عَلى طُولِ الْحَلاءِ أَدَلَّتِ[١]

٤٠ وَدارَتْ بِأَدْنى عَهْدِهِ، ثُمَّ راجَعَتْ أَماقِيَّ ثَكْلى، مَا تَجِدُ ما أَضَلَّتِ[٢]

٤١ وَلا وَجْدُ أَعْرابِيَّةٍ قَذَفَتْ بِها صُرُوفُ النَّوى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ[٣]

٤٢ يَشُدُّ عَلَيْها الْبابَ أَحْمَرُ لازِمٌ عَلَيْها زُقاقِيْ قَرْيَةٍ قَدْ أَبَنَّتِ[٤]

٤٣ تَمَنَّتْ أَحالِيبَ اللِقاحِ وَضَيْعَةً بِنَجْدٍ، فَلَمْ يُقْدَرْ لَها ما تَمَنَّتِ[٥]

---

(١) تَمارَتْ: شَكَّتْ وتوجَّسَتْ خِيفَةً، وهو من الْمِرْيَةِ (اللسان: مَرا)، الْجَرسُ: الصَّوتُ الْخَفِيُّ (اللسان: جرس)، نصَّتْ بِجيدِها (أو جِيدَها): رَفَعتْ عُنُقَها في استِقامَةٍ (اللسان: نصص)، وهذا فِعلٌ أَلِفْنا رؤيَةَ الحيواناتِ البريَّةِ تفعَلُه حينَ تُؤنِسُ ما يُرعِبُها صوتًا أو حَرَكَةً؛ وذلكَ أدْعى لَها لِكَي تَرى ما حَوْلَها، وتَسْمَعَ ما يصدُرُ من أصواتٍ بعيدًا عن الأرضِ التي قد تنقُلُ أصواتَ أقدامِ الحيواناتِ البعيدةِ المتراكضةِ. الْحَلاءُ والْحَلاءةُ: الأرضُ التي تَقشَّرَ سَطْحُها، على التَّشبيهِ بالْحَلأ والْحَلى مَقصورًا ومهموزًا، وهو القشرَةُ على جِلْدِ الكُوعيْنِ أو الرُّكْبَتَيْنِ (اللسان: حلأ)، وأدلَّت: عَهِدَت ذلكَ الْمَكانَ فأصبَحت لا تَخافُ الرَّعيَ فيهِ، وهو من الإدْلالِ (اللسان: دلل).

(٢) الأماقيُّ: جَمْعٌ لإحْدى الألفاظِ الدَّالَّةِ على مؤخَّرِ العيْنِ أو مُقَدَّمِها، وهي: "مُؤْقٌ ومَأْقٌ ومُوقٌ"، وَجَمْعُ "الْمُؤْقي وَالْمَأْقي" مَآقٍ علي القِياسِ، وبعضُهُم يترُكُ هَمْزَها، ويجْمَعُها عَلى أَمْواقٍ إلاّ في لغةِ من قلَبَ فقال: آماق (اللسان: مأق)، ويدلُّ في البيتِ عَلى أنَّها ضلَّتْ عنْ شادِنِها بسببِ الصّوتِ الذي راعَها، ثمَّ أخذتْ تدورُ في الْمَرْعى فلَم تجِدْهُ، فعاوَدَها البُكاءُ.

(٣) لعلَّ في هذا البيتِ وما يليهِ (٤١-٤٤) ما يذكِّرُ بأبْياتِ مَيْسونَ بنتِ بَحْدَل حينَ قالَتْ:

لَبَيْتٌ تَخْفِقُ الأَرْواحُ فيهِ أحبُّ إليَّ مِنْ قَصْرٍ مُنيفِ
وَلُبسُ عَباءةٍ وتَقَرَّ عَيْني أَحَبُّ إليَّ مِنْ لبسِ الشُّفوفِ

(٤) الأَحْمَرُ من الرِّجالِ: البَخيلُ الذي لا يُعطِي إلاّ بعدَ إلْحاحٍ، وهو غَيْرُ ذِي السِّلاحِ (اللسان: حمر)، والزُّقاقُ: الطَّريقُ الضَّيِّقُ النَّافِذُ وغيرُ النَّافذِ، وهو دونَ السِّكَّةِ – يُذكَّرُ ويؤنَّث (اللسان: زقق)، وأبَنَّ فُلانٌ بالْمَكانِ إذا لَزِمَهُ وأقامَ فيهِ (اللسان: بنن)، وفي هذا البيتِ يصِفُ حالَ الأعْرابيَّةِ التي كانت تملِكُ حرّيَّتَها في الانطِلاق بِلا قُيودٍ؛ ثُمَّ أصْبَحتْ رهينَةَ جُدرانِ بيتٍ يشدُّ بابَهُ عليها بَخيلٌ مَقيتٌ مُلازمٌ للبابِ لا يُفارقُه؛ ويسدُّ عليها أزِقَّةَ القريَةِ التي بها تُقيمُ فلا يأذَنُ لَها بالْخُروجِ.

(٥) أحاليب اللِقاحِ: ما تَدِرُّه النَّاقةُ التي تُنتَجُ في أوّلِ الرَّبيعِ، فَلا تَزالُ لِقاحًا حتَّى يُدبِرَ الصَّيفُ عَنها، واللَّقْحَةُ: النَّاقَةُ من حينِ يسْمَنُ سَنامُ ولَدِها، لا يزالُ ذلك اسْمَهاحتّى يمضيَ لها سبعَةُ أشْهُرٍ ويُفْصَلَ ولَدُها، وذلك عند طُلوعِ سُهيلٍ، وهي في هذه المدَّةِ أغزَرُ وأطْيَبُ ما تَكونُ لَبَنًا (اللسان: لقح)، ولهذا شبَّهوا الْحَديثَ الْحَسَنَ بهِ إذْ يُشابُ بماءٍ باردٍ من شُقوقِ الصَّخْرِ وَعَسَلٍ، قال شاعرهُم:

وإنَّ حَديثًا منكِ لَو تبْذُلينَهُ جَنَى النَّحْلِ في ألبانِ عُوذٍ مَطافِلِ
مَطافيلَ أبْكارٍ حَديثٍ نَتاجُها يُشابُ بماءٍ مِثْلِ ماءِ الْمَفاصِلِ

أمّا الضَّيْعَةُ، فَكُلُّ أرضٍ مُخصِبَةٍ لَها مَنْ يَقومُ عليها فيعزِقُها ويَزرَعُها (اللسان: ضيع).

٤٤ إذا ذَكَرَتْ ماءَ الْعَظاةِ وَطِيْبَهُ ... وَبَرْدَ الحَصا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ أَرَنَّتِ [١]

٤٥ بِأَكْبَرَ مِنْ وَجْدٍ بِطَيّا وَجِدتُهُ ... غَداةَ ارْتَحَلْنا غُدْوَةً واطْمَأَنَّتِ [٢]

٤٦ لَها فَخِذا بُخْتِيَّةٍ بَخْتَرِيَّةٍ ... وسَاقٌ إذا قامَتْ عَلَيْها اتْمَهَلَّتِ [٣]

٤٧ وَخَصْرانِ دَقّا في اعْتِدالٍ، وَمَتْنَةٌ ... كَمَتْنَةِ مَصْقُولٍ مِنَ الْهِنْدِ سُلَّتِ [٤]

٤٨ وَعَيْنا أَحَمِّ الْمِدْرَيَيْنِ وَمَضْحَكٌ ... إذا ما جَرَتْ فيهِ الْمَساوِيكُ زَلَّتِ [٥]

---

(١) ماء الْعَظاة: ماءٌ لِبَني كَعبِ بْنِ أبي بَكر، وهو في الأصلِ (الْعَظاءة) (البلدان: العظاءة) لَم يذكُرهُ الجاسِر، قُلْتُ: لعلّها مُحرَّفَةٌ عن (العِضاد)، والْمَأثورُ أنّهم كانوا يقلبونَ الضّاد ظاءً أحيانًا، والعكسُ ثابتٌ عنهم، ولعلّ هذه أوفَقُ للمعنى؛ حيثُ يريدُ أنْ يُصوِّرَ شَوقَ الأعْرابيَّةِ إلى دِيارِها بكلِّ ما فيها، وتَمَنّيها ذلكَ كلّه على شِدَّةِ ما فيهِ وقسْوَتِه؛ لأنّه يظلُّ أطيبَ عندَها من حَياةِ الْمَدَنيَّةِ بما فيها من ألوانِ العيشِ الرّغيدِ، والعِضادُ كلُّ شَجَرٍ ذي شَوكٍ (اللسان: عضه)، وأرنَّت: أعْوَلَتْ في بُكائِها وصوَّتَتْ (اللسان: رنن) .

(٢) اطْمَأنَّت: استَوطَنَت وأقامَت في المكانِ الذي ارتَحَلتْ إليْهِ، أو رحَلَ هُوَ عَنِ الدّيار وظلّت هي في دِيارِها مقيمَةً (اللسان: طَمن) .

(٣) الْبُخْتِيَّةُ من الإبلِ: تلكَ التي أصلُها من خُراسان، والإبلُ الخراسِيَّةُ تُنتَجُ من بَيْنِ عَرَبيَّةٍ وفالِجٍ، وهي معروفَةٌ بِطولِ أعناقِها، وضَخامَةِ خَلْقِها، وامْتِلاءِ أفْخاذِها (اللسان: بخت)، والبَخْتَرِيَّةُ مِنها: ما كانَ يَمشي الْبَخْتَرِيَّةَ، (اللسان: بَختَرَ)، وهذا أدْعى لامتِلاءِ نَحْضِها والتِفافِ فَخِذَيْها. أمّا قولُه: (اتْمَهلّت)، فَهُوَ مِنَ الاعتِدالِ في القامَةِ (اللسان: مهل) .

(٤) الْخَصْرانِ: مُثَنّى الْخَصْرِ، وهو الخاصِرَةُ أيضًا، ما بيْنَ الْحَرقَفَةِ والْقُصَيْرى (اللسان: خصر)، والْمَتْنَتان: لَحْمَتان مَعصوبَتانِ بَيْنَهُما صُلْبُ الظَّهْرِ (اللسان: متن)، وهُما نسيجانِ عضليّانِ طويلانِ يَمتدّانِ على جانِبَي العَمودِ الفقريِّ من أسْفَلِ الظَّهرِ حتّى الرّقَبَة، والشّاعر يقصد هُنا اعتِدالِ القوامِ؛ فهاتانِ العضلَتان تَكونانِ سَبَبًا في بَقاءِ الظَّهرِ مُعتَدِلاً، وقد يصيبُهما شَدٌّ أو ارتِخاءٌ فيسبّبانِ فيهِ التّقوُّسَ والانحِناء، وهذا ما نُلاحِظُه أحيانًا عِندَ بعضِ الْمُسنّينَ؛ والمَتنَةُ المعتدلةُ تدلُّ على الشّبابِ .

(٥) أحَمُّ الْمِدْرَيَيْنِ: أسْوَدُ القَرْنَيْنِ من الغِزلانِ والظّباءِ، والْمِدرى: القَرْنُ يَدَّري بِهِ الظّبيُ أو الغَزالُ ضَرباتِ غَيرِه من الحَيواناتِ من مثلِه، أوِ الْمُفتَرِسَة (اللسان: حمم، درى)، والْمَضْحَكُ: يقصد به هُنا إلى وصْفِ أسنانِها بآيَةٍ ذِكرِه الْمَساويكَ بَعْدَه، وإذا زلّت المساويكُ عنِ الأسْنانِ كانَ ذلكَ دليلاً على نَظافَتِها ونَصاعَتِها ومَلاستِها وصِغَرِها واستِوائِها، والمساويكُ جَمْعُ مِسواكٍ، هو عُودٌ يؤخَذُ من شَجَرِ الأراكِ، ثُمَّ تُلْحَى قشرَةُ مُقَدَّمِه فيُصبِحُ كالفُرشاةِ، تُنظَّفُ به الأسنانُ .

٤٩ وَداجٍ عَلى اللّبَاتِ وَحْـفٌ كأَنَّهُ ... عَناقِيدُ جُـونٌ مِنْ كُرُومٍ تَدلَّتِ (١)
٥٠ فإنْ يَكُ هذا عَهْدَ طَـيّا وَأَهْلِها ... فَهذا الّذي كُنّا ظَنَنّا وَظَـنَّتِ (٢)
٥١ وَكانَتْ رِياحٌ تُحْـيرُ الحَاجَ بَيْنَنا ... فَقَدْ عَمِيَتْ أَرْواحُ طَيّا وَصَمَّتِ (٣)
٥٢ خَلِيلَيَّ، في طَيّا أَعِيـنا أَخاكُما ... فَقَدْ بَخِلَتْ طَيّا عَلَيْنا وضَنَّتِ (٤)
٥٣ قَطَعْتُ بِطَيّا الهَمَّ والفَقْرَ والعَنَى ... وَطَيّا مُنى نَفْسِـيْ إِذا ما تَمَنَّتِ (٥)
٥٤ وَطَيّا أَرُوجُ الجَيْبِ،مَهْضومَةُ الحَشا ... كَمُزْنَةِ صَيْفٍ هَجَّرَتْ فاسْتَهَلَّتِ (٦)

---

(١) الدّاجي: الشَّعْرُ الأَسْوَدُ (اللسان: دجى)، اللبّاتُ: جَمْعُ لَبَّـة، وهـيَ مَجْمَعُ الصَّـدْر والنَّـهْدَيْنِ مِمّـا يَلـي العُنُـقَ (اللسان: لبب)، ولاستِواءِ اللبَّةِ ومَلاسَتِها أُطْلِقَت علـى ما يُحيطُ فُوْهَةَ البُرْكانِ من صَهيرٍ أَمْلَسَ صُلْـبٍ في الإنْجليزيّة، وعلى الحِمَمِ بِعامَّة (Lava). أمّا الوَحْفُ فالشَّعْرُ الكَثيفُ الحَسَنُ المُرَجَّـلُ، وشَبَّهَهُ بَعدُ بِعناقيدِ الكَرْمَةِ السُّودِ (اللسان: وحف) .

(٢) هكذا في الرّواياتِ، ولعلّها (فَما ذا الّذي كُنّا ظَنَنّا وظَنَّتِ) .

(٣) الحاجُ: جَمْعُ حاجَةٍ، والحاجةُ في كلامِ العربِ أصْلُها الحائِجَة حذفوا منها الياءَ؛ فلمّا جَمعوها أعـادوا إليـها مـا حذفوا منها، فقالوا: حاجةٌ وَحَوائج (اللسان: حوج)، والأَرْواحُ: جَمْعُ ريح، وأصلُها بالواو (اللسان: روح)، وقد تقدَّم بيتُ ميسون بنت بحدل. وهاهنا لَطيفَـةٌ تقتَضي الذِّكرَ؛ وهي أنَّ الألفـاظَ الـتي تُطْلَقُ على الإنسـانِ مثـلَ: (الرُّوح، والنَّفْس، والنَّسَمَة)، مـأخوذةٌ في أصلِها من ثـلاثِ كلمـاتٍ تُقابلُـها، وهـي: (الرِّيح/الرَّوح، والنَّفَـس، والنَّسْمَة)، وكلُّها متعلِّقَةٌ بالهَواءِ؛ ولا رَيْبَ في أنَّ الهَواءَ أهمُّ ما يُقيمُ حَياةَ الإنسانِ، ولهذا جَعَلَ اللهُ مِلْكِيَّته عامَّةً لا خاصَّة، ثمَّ الماءُ وملكيَّته عامّة وخاصّة، ثمَّ الطّعامُ وملكيَّته خاصَّة؛ ذلك بأنَّ الإنسانَ لا يصبرُ على انقِطاعِ الهَـواء عنه دَقائق، ويصبِرُ أيّاماً على العطشِ، ويصبِرُ أسابيعَ على انقِطاعِ الطّعامِ .

(٤) عَجزُ هذا البيتِ تكرَّرَ؛ فقد كانَ عَجزَ البيتِ العِشْرينَ من القصيدَة، ويَكادُ صَدرُه يكون كذلك .

(٥) في ديوانِه والعربِ (والغِنَى)، والبيتُ بهذا لا يستَقيمُ مَعناهُ؛ إذ يُداخِلُه التّناقُضُ. وقطَعَ بِها الهَمَّ والفقرَ والعَنى؛ أي لَم يشعُرْ بهذه الثّلاثةِ حينَ كانَ حبلُ الوِصالِ قائِمًا بينَهما، والعَنى والعَناءُ سِيّانِ .

(٦) أروجُ الجَيْبِ: طَيِّبَةُ الرّائحةِ، وقد يُقصَدُ بها على المَجاز طِيـبُ الذِّكْرِ (اللسـان: أرج)، ومهضومَةُ الحشا: أي دَقيقَةُ الخَصرَيْنِ، لا عظيمةَ البَطْنِ (اللسـان: هَضم)، مُزْنَةُ الصَّيْفِ: السّحابَةُ الرّقيقَةُ البيضاءُ الخَفيفَةُ، وهجَّرَت: أي ظَهَرت وقتَ الهاجِرَةِ، وهي نصفُ النّهار، وسارَتْ في السّماءِ (اللسان: هَجر)، واستهلَّت: سالَ قَطْرُها .

٥٥ إذا جَلَسَتْ بَيْنَ الْغَواني عَشِيَّةً ... عَلى أيِّ حالٍ : عاطِلاً أوْ تَحَلَّتِ [١]

٥٦ سَمَتْ نَحْوَها الأبصارُ أوَّلَ وَهْلَةٍ ... بَدِيًا ، وَعادَتْ نَحْوَها ، فَتَثَنَّتِ [٢]

٥٧ خَليلَيَّ هذي زَفْرَةُ الْيَوْمِ قَدْ مَضَتْ ... فَمَنْ لِغَدٍ مِنْ زَفْرَةٍ قَدْ أَطَلَّتِ

٥٨ وَمِنْ زَفَراتٍ لَوْ قَصَدْنَ قَتَلْنَني ... تَقَضَّ الَّتي تَبْقَى الَّتي قَدْ تَوَلَّتِ

تَخريجُ الأبياتِ :

قالَ الهجَريُّ: "زِيادَةٌ للصِّمَّةِ بْنِ عبدِ اللهِ، أوَّلُها: ألاَ"، ثُمَّ رَوى البيتَيْنِ الأوَّلَ والثّاني. قالَ: "أنْشَدَني الشَّهْرانِيُّ لِمضاء بنِ مُضَرِّجِيٍّ بنِ الثُّوَيْبِ بنِ الصِّمَّةِ ...". تعليقات الهجَريّ-الحمادي (مقطوعة ١٧٥). وفي حماسة الخالديّين: "أنْشَدَني عَدّاء بنُ مضاء مِن ولَدِ الثُّوَيْبِ ابنِ الصِّمّة بن طُفَيْلِ بنِ زيدِ بنِ ثَور بنِ سَوادةَ بنِ قُرَّةَ بنِ سَلَمَة الخَيْر بنِ قُشَيْر (مقطوعة ١١٥)، الأغاني ٥/٤٣٥، تجريد الأغاني ق١ج٢/٧١٧، سمط اللآلي ٢/٧٣٦، التّذكرة الحمدونيّة ٦/ ٧١-٧٢، المرزوقي ٣/١١١٠، التبريزي ٣/٧٤، المجتنى ٦٤، ٨٣، أمالي الزّجّاجي/ ١٥، ٢٤، وقد أكّد نسبَتَها إليهِ أيضًا الْعَوْتَبِيُّ الصُّحاريُّ؛ إذ أوْرَدَ منها أبياتًا ثلاثًا في مواطِنَ ثَلاثٍ من كِتابِه (الإبانة ١/٢٥٩، ٢/٩٥، ٢/١٥٢)، وصرَّحَ بالاسمِ فيها جَميعًا. محاضرة الأبرار ٢/٢٤٨، تزيين الأسواق ١/ ٢٣١. الحماسة الشّجريّة ٢/٥٥٩-٥٦٠، ونسبَ بعْضَها لعليِّ بنِ عُمَيْرَة الجَرْمِيِّ، ومنها في معجم البلدانِ خمسةُ أبياتٍ (الحِمَى)، وثلاثةٌ منها نُسِبَتْ لامرأةٍ فيه (رَيّان)، ورُوِيَتْ ثمانيةٌ لأعرابيٍّ في مصارع العشّاق/ ١٦٧، العرب/١٥٥-١٦٠، دِيوانه المطبوع/٣٨

---

(١) الْغَواني: جَمعُ غانِيَةٍ، وهي الْحَسْناءُ التي غَنِيَتْ بحُسْنِها ودَلِّها عَنِ الْحَلْيِ (اللسان: غنى)، والعاطِلُ من النِّساءِ: التي لَم يَكُن علَيْها حَلْيٌ، وأمّا الْحالي، ومنه تَحَلَّت، فهي التي عَلَيها حَلْيٌ (اللسان: حلى، عطل).

(٢) الْوَهْلَةُ: أوَّلُ الرُّؤيَةِ، والْمَرَّةُ من الْوَهَلِ، وهي من وَهِلَ يَوْهَلُ وَهَلاً (اللسان: وهل). وَالبَدءُ والبَدِيُّ الأوَّلُ، ومنه قولُهم: "افْعَلْهُ بادئَ بَدْءٍ، على فَعْلٍ، وبادِيْ بَدِيءٍ، على فَعيلٍ، أي أوَّلَ شَيءٍ، والياءُ من بادِيْ ساكِنَةٌ في موضِعِ النَّصبِ؛ هكذا يتكلَّمونَ به (اللسان: بدأ)

قافيةُ الجيم

(٨)

{ الخفيف }

١ إِنْ أُفارِقْهُمُ فَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا في سُرورٍ مِنْ قُرْبِهِمْ وابْتِهاجِ

٢ فَرَمَتْنا الأيّامُ أَغْفَلَ ما كُنْـ ـنا عَلى غَفْلَةٍ بِبَيْنٍ مُفاجِي (١)

٣ فَانْصَدَعْنا صَدْعَ الزُّجاجَةِ بانَتْ كَيْفَ لِيْ بِانْصِداعِ صَدْعِ الزُّجاجِ (٢)

تخريج الأبيات :

أمالي اليزيدي/ ١٥٠، رواها عن عَمِّه فَضل عن عُيَيْنَةَ بْنِ الْمِنهال، والمراثي/ ٣١٠، وليست في العربِ ولا في ديوانِه

(١) أصْلُها (مُفاجِئ)، وقد سُهِّلَت الْهَمزة فيها .

(٢) وردت في الأصْلِ هكذا، ولعلَّها (كَيْفَ لي بالْتِئامِ صَدْعِ الزُّجاجِ)، فَهُوَ إنَّما يتمنّى أنْ يَعودَ شَمْلُه بربّا مُجتَمِعًا، وانصِداعُ صَدْعِ الزُّجاجِ (كَسْرُه) يزيدُ افْتِراقَهُ عَنْ حبيبَتِه !

قافيةُ الحاء

(٩)

{ الطَّويل }

١ كَداءِ الشَّجا بيْنَ الْوَرِيدَيْنِ ، كلَّما ذَكَرْتُكِ ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ النَّحائِحُ[1]

تَخريجُ البَيْت :

تعليقات الهجري- الحمادي (مقطوعة ١٧٧)، تعليقات الهجري- الجاسر ق٢/٦٨١، العرب/ ١٦٠، ديوانه/ ٥٣

(١) في التّعليقاتِ (الشّحابين) وهُما تصحيفٌ وتحريفٌ سيِّئان. وقد ذهبَ الحمادي إلى أنّ الأصَحَّ هُوَ ما أثْبَتَهُ، ثُمّ ذهبَ يُفسِّرُه بالشّحاج والشَّحيجِ ا ومالَ إلى جَعْلِهِ مِمّا يفعَلُهُ البَخيلُ إذا سُئِلَ شَيْئًا، وليسَ صَحيحًا. والأصحُّ ما أثْبَتْناهُ (كَداءِ الشَّجا بَيْنَ الْوَريدَيْنِ)؛ أي في الْحَلْقِ، والشَّجا شِبْهُ الْغَصَّةِ حينَ لا تُفارِقُ الحَلْقَ، ويدلُّ به الشّاعرُ على ما يَكْتُمُ في صدْرِهِ من ألَمٍ مُختَفٍ.

قافية الدّال

(١٠)

{ الطّويل }

١ خليليَّ ، إنْ قابَلْتما الْهضْبَ ، أوْ بَدا لَكُمْ سَنَدُ الْوَدْكاءِ، أنْ تَبْكِيا جَهْدا(١)

٢ سَلا عَبْدَ الأعْلى حَيْثُ أوْفَى عَشِيَّةً خُزازَى، وَمَدَّ الطَّرْفَ، هَلْ آنَسَ النَّجْدا(٢)

٣ فَما مِنْ قِلَىً لِلنَّجْدِ أَصْبَحْتُ ها هُنا إلى جَبَلِ الأَوْشالِ مُسْتَحْيِيًا بَرْدا(٣)

---

(١) يقصد الشّاعر بالهضْبِ الْهَضْبَ الواقِعَ في عاليَةِ نَجد بقُرْبِ الْمَرْدَمة؛ وهو في جَنوبِ النّيرِ نَحْوَ الغربِ بميلٍ واحد، وما يَزالُ مَعروفًا (العرب: ١٥١). وهو عندَ ياقوتٍ علَمٌ عَلى أماكنَ كثيرة، فيها هضْبُ القليبِ، قالَ: " عَلَمٌ فيهِ شِعابٌ كَثيرَة، قالَ الأصْمَعيّ: هضْبُ القليبِ بِنَجْدٍ، والْهَضْبُ جِبالٌ صِغارٌ والْهَضيبُ في وسطِ هذا الموضع. قالَ العامريُّ: هَضْبُ القليبِ يَصِفُ ما بيْنَنا وبينَ بَني سُلَيْم؛ حاجزٌ في ما بينَنا وبينَهم " (البلدان: الهضب).

أمّا سَنَدُ الوَدْكاءِ؛ فالسَّنَدُ عِندَ ياقوت ما قابلَكَ من الْجَبَل وَعلا مِن السَّفْحِ، والسَّنَد ماءٌ معروفٌ لِبَني سَعْد، وقريَةٌ مِن قُرَى هَراة، والمقصودُ ماءُ بَني سَعْد (البلدان: السّند)، وقالَ في الوَدْكاءِ: " مِنَ الْوَدْكِ؛ وهو الدُّهْنُ والدَّسَم: رَمْلَةٌ أو موضِعٌ بعينِه " (البلدان: الودكاء). وقد عرّف الجاسِرُ بِها فقالَ: "الوَدْكاء ذكرها الشّاعر مُضيفًا إليها سَنَدًا؛ أي جانبًا من الرّمل، وذكَر معها الْهَضْبَ، والوَدْكاءُ هذه مادة (لعلّها ماءةٌ !) في أعلى وادي خَنْثَل الْمَعروف الآن، وهو قريب من جبال الْهَضبِ " (العرب: ١٥١) .

(٢) ديوانه (عَبْدَ الأعْلى)، ولا يستقيمُ بِها وَزنٌ، ولعلَّ عبدَ الأعْلى يكونُ أحدَ أصدِقائِه، أمّا خَزازى، فقد عرّف بِها الجاسرُ بقولِه: "ويُسَمّى خَزاز بدون ألِف، وهو جبلٌ لا يَزال معروفًا يُشاهَدُ من بلدَةِ دُخْنَةَ الواقعةِ في عاليةِ نَجْدٍ رأيَ العَيْنِ " (العرب: ١٤٥)، وقالَ ياقوت: " خَزاز وَخَزازَى هُما لُغَتان؛ كِلاهُما بِفتحِ أوّلِه ... اختَلفت العباراتُ في موضِعِه؛ فقالَ بعضهم: هُو جبَل بيْنَ مَنْعِج وَعاقِلٍ بإزاءِ حِمَى ضَرِيَّةَ ... وقالَ أبو زياد: هُما خَزازانِ؛ وهُما هَضْبَتانِ طَويلَتانِ بيْنَ أبانَيْنِ: جَبَلِ بَنِي أسَدٍ وَبيْنَ مَهَبِّ الْجَنوب، على مسيرةِ يومَيْنِ بِوادٍ يُقالُ له مَنْعِج، وهما بِبلادِ بَني عامِرٍ وبَني أسَد " (البلدان: خَزازى) .

(٣) في التّعليقاتِ (مِنْ قِلِيّ)، (أصْبَحَت)، وَجَبَلُ الأوْشالِ تقدَّمَ ذِكْرُه والتّعريفُ بِهِ في مَطْلَعِ تائيّتِه .

٤ وَلَكِنَّ حاجاتِ الْفَتى قُــــذُفٌ بِهِ إذا لَمْ يَجِــــدْ مِنْ أنْ يُطالِبَها بُدّا[١]

٥ دَعُونِيَ مِنْ نَجْدٍ فَإنَّ سِــــنِينَهُ لَعِبْنَ بِنا شِيْبًا ، وَشَــــيَّبْنَنا مُرْدا

٦ لَحَا اللهُ نَجْدًا كَيْفَ يَتْرُكُ ذا النَّدَى بَخِيلاً ، وَحُرَّ الْقَوْمِ تَحْسَــبُهُ عَبْدا[٢]

٧ عَلى أنَّ نَجْدًا قَدْ كَســـانِيَ حُلَّةً إذا ما رَآني جـــاهِلٌ ظَنَّنِي عَبْدا

٨ سَوادًا، وَأَخْلاقًا مِنَ الصُّوفِ بَعْدَما أَرانِيْ بِنَجْدٍ ناعِمًا لابِسًــــا بُرْدا

٩ أَلا أيُّها الْبَرْقُ الَّذي بـــاتَ يَرْتَقِيْ وَيَجْلُو دُجَــى الظَّلْماءِ أَذْكَرْتَنِي نَجْدا

١٠ وَهَيَّجْتَنِي مِنْ أَذْرِعــاتَ وَما أَرَى بِنَجْدٍ عَلى ذِي حاجَــةٍ طَرَبٍ بُعْدا[٣]

١١ سَقَى اللهُ نَجْدًا مِنْ رَبِيعٍ وَصَــيِّفٍ وَماذا تُرَجِّيْ مِنْ رَبِيعٍ سَــقَى نَجْدا[٤]

١٢ وَنَجْدًا إذا جادَتْ بِهِ رِهَـــمُ الْحَيا رَأَيتَ بِهِ الْمَكْــنانَ والنَّفَلَ الْجَعْدا[٥]

---

(١) في التّعليقاتِ (حاجاتِ للفَتَى). وقُذُفٌ: أيْ أنَّ حاجاتِ الإنسانِ تَتَقاذَفُهُ بينَ حَلٍّ وارْتِحال .

(٢) في التّعليقات (نَجْدٌ أليفَ)، (وَحُراَ القومِ)، وديوانُه (تَحْسِبُهُ)، ونَجد يُذكّرُ ويؤنَّث، وقد وردَ البيتُ على روايتَيْنِ (كيفَ تتْرُكُ)، (كيف يتْرُكُ) .

(٣) قالَ ياقوت في أذْرِعات: " كأنّه جَمْعُ أذْرِعَة؛ جَمْعِ ذِراعٍ جَمْعَ قِلّة، وهو بلد في أطراف الشّام يُجاوِرُ أرض البلقاءِ وَعَمّانَ، يُنْسَب إليه الْخَمر " (البلدان: أذرعات). ويبدو أنّ الشّاعر مرَّ بأذرعات في طريقه إلى الشّامِ، أو أنّه مرَّ بها في إحْدى تنقُّلاتِه، والبيت والذي تقدَّمه لَمْ يُثبِتْهُما الجاسرُ والفيصَل له .

(٤) في التّعليقات (تُرجَىّ)، وفي خِزانة البغدادي (وَجَوْدٍ وَتَسْكابٍ سَقَى مُزْنُهُ نَجْدا). الرَّبيعُ والصَّيِّفُ الْمَطَرُ وَقْتَ الرَّبيعِ والصَّيِّفِ، وإذا كانَ الْمَكانُ يَسقيهِ الْحَيا شِتاءً في الوضعِ العاديّ، وجادَه الغيثُ في الرّبيعِ والصَّيِّفِ، كانَ حينئذٍ دائمَ الْخُضْرَةِ والْماء، وهو أدْعى لِخِصْبِه واستِقرار أهْلِه في حِماهُم .

(٥) في التّعليقات (بِهِ الْمكنّانَ والنقَل)، والرِّهَمُ جَمْعُ رِهْمَة: الْمَطَرُ الخفيفُ الدّائمُ الصّغيرُ القَطر (اللسان: رهم)، أمّا الْمَكْنانُ فَضَرْبٌ من النّباتِ زَهْرَته صَفراءُ صَغيرَة (اللسان: مكن)، وأمّا النَّفَلُ، فَضَربٌ من النّباتِ دَقيق (اللسان: نفل) .

١٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ يَقْصُرُ طُولُهُ ... بِنَجْدٍ، وَيَزْدادُ النِّطافُ بِهِ بَرْدا[١]

١٤ بَلى ، إِنَّهُ قَدْ كانَ لِلْعَيْشِ قُرَّةً ... وَلِلْبِيضِ والْفِتْيانِ مَنْزِلَةً حَمْدا[٢]

١٥ خَلِيلَيَّ، قُوما أَشْرِفا الْقَصْرَ فَانْظُرا ... بِأَعْيانِكُمْ، هَلْ تُؤْنِسانِ لَنا نَجْدا[٣]

١٦ وَإِنِّي لَأَخْشى إِنْ عَلَوْنا عُلُوَّهُ ... فَنُشْرِفَ، أَنْ يَزْدادَ -وَيْحَكُما- بُعْدا[٤]

١٧ نَظَرْتُ وَأَصْحابي بِذَرْوَةَ نَظْرَةً ... فَلَوْ لَمْ تَفِضْ عَيْنايَ أَبْصَرَتا نَجْدا[٥]

---

(١) النِّطافُ: قَطْرُ الْماءِ، تقولُ: القِربَةُ تنطفُ؛ أي تقطُرُ لأنَّها لَمْ يُحْكَم خَرْزُها (اللسان: نطف). والْمقصودُ بِهِ هُنا ماءُ المطرِ الذي تَلفَحُه الصَّبا والجَنوبُ بِنَجْدٍ وَهُما بارِدَتانِ عَليلَتانِ، وهذا أَدْعى لأَنْ يَكونَ ماءُ الْمَطرِ فيهِ أَبْرَدَ منه في غيرِه .

(٢) في التَّعليقات (للعَيْش مَرَّةً)، والْبِيضُ: النِّساءُ الْحِسانُ، وبَياضُ أدمِ الْمَرأةِ من الصِّفاتِ الجماليَّةِ عندَهم، والمنزِلَةُ الْحَمْدُ؛ أي الْمَحمودَةُ .

(٣) في ديوانه (تُونسان) بتسهيل الهمزة، والقَصرُ: البناءُ العالي الْمُطِلُّ، وهُناكَ قُصورٌ كَثيرَةٌ انتشرَت في نَجْد، لكنَّ الشّاعر يَذكُر قصرًا بعينه بَعيدًا عَن دياره، والتَّطلُّعُ نَحْوَ دِيارِ الأحبَّةِ من بعيدٍ ليسَ غَريبا على العاشِقينَ، ولا الذين يَحِنُّونَ إلى دِيارِهم، فَدَأْبُ النّاسِ أنْ يتطلَّعوا نَحْوَ دَيارِهم ولو لَمْحَ العَيْنِ .

(٤) في العرب (عَلَوْنا عُلُوَّةً)، ولا يَستَقيمُ .

(٥) ذَرْوَةُ، قالَ فيها الجاسِرُ: " لا نَجدُ فيما (؟) بينَ أيدينا من النّصوصِ ما نستَطيعُ به معرِفَةَ مكانٍ بهذا الاسمِ لنستَطيعَ أنْ نرجِّحَ أنَّ الشاعرَ أرادَه؛ فهناكَ ماءٌ في بِلادِ غَطَفان بهذا الاسمِ، ونستبعِدُ أنْ يكون الشّاعر قصَدَه، ولعلَّ هذه المقطوعةَ مِمّا نُسبَ إلى الشّاعر وليستْ له " (العرب: ١٤٥) .

وواقع الأمر أنَّ الْحَمَوِيَّ ذكر مواقعَ ثلاثةً من هذا الأصلِ، وهي:

- ذَرْوَة، وقال فيها: " مَكانٌ حِجازيٌ في دِيار غَطَفان، وقِيلَ ماءٌ لِبني مُرَّة بن عَوف. وعن الأزهريِّ: ذِرْوَةُ بِكَسْرِ أوّلِه اسمُ أرضٍ بالبادية، وعن بعضِهم: ذروة اسمُ جَبَلٍ ... وَذروَةُ: بَلَدٌ باليَمَنِ من أرضِ الصَّيْدِ" (البلدان: ذروة) .

- ذَوْرَة، وقالَ فيها: "وَقِيلَ: وادٍ يُفرِغُ في نَخلٍ ويَخرُجُ من حَرَّةِ النّار " (البلدان: ذورة) .

- ذَرْو، وقال فيه: " قال ابن الفقيه: ذاتُ ذَرْو – من غيرِ هاء – من أَوْدِيَةِ العَلاةِ باليَمامَة "، ثُمَّ قالَ: "وقال الصِّمَّةُ القشيريّ ... "، وذكرَ الأبياتَ (١٥-١٨) (البلدان: ذرو) .

وأُرَجِّحُ أنْ تَكون ذروة المقصودَةُ هُنا هي الوادي باليَمامةِ؛ ذلك أنَّ الشّاعرَ ذكَرَ الرَّكْبَ الْمُصْعِدِينَ باتِّجاهِ نَجْدٍ، ونَجد أعْلى من اليَمامة، والتّصعيدُ إليها يَكون مِمّا هُوَ أخفَضُ مِنها .

١٨ إِذا مَرَّ رَكْبٌ مُصْـــعِدينَ فَلَيْتَني مَعَ الرّائحينَ الْمُصْـــعِدينَ لَهُمْ عَبْدا

١٩ أَيا رِفْقَةً مِنْ آلِ بُصْـــرى تَحَمَّلُوا رِســـالَتَنا لُقِّيتِ مِنْ رُفْقَةٍ رُشْدا[١]

٢٠ إِذا ما وَصَلْتُمْ ســـالِمِينَ فَبَلِّغُوا تَحِيَّةَ مَنْ قَدْ ظَنَّ أَنْ لا يَرَى نَـجْدا

٢١ وَقولوا لَهُمْ: لَيْـسَ الضَّلالُ أَجازَنا وَلَكِنَّنا جُزْنا لِنَـــلْقاكُمُ عَمْدا

٢٢ وَإِنّا تَرَكْنا الْحَـــارِثِيَّ مُكَبَّلاً بِكَبْلِ الْهَوى مِنْ ذِكْرِكُمْ مُضْمِرًا وَجْدا[٢]

تَخريجُ الأبياتِ :

تعليقات الهجَريّ-الحمادي (مقطوعة ٢٧٤)، الأغاني ٢/٨٠،٨١، الحماسة الشّجريّة ٢/٥٨٥، اللسان (نجد) عَن ثعلب، معجم البلدان (نجد، أذرعات)، تهذيب ابن عساكر ٦/٦٥، المنازل والدّيار ١/٩١، شرح الشّواهد للعيني ١/١٧١، المقاصد النّحويّة ١/١٧٠، جامع الشّواهد/ ١١٢، شرح التّصريح ١/ ٨٤، الضّرائر/ ١٦٦، رسالة الملائكة/ ٢٥٧، شرح ابن عقيل ١/٥٨، شرح ألفيّة ابن مالك لابن النـاظم/ ١٦، العرب/ ١٦٠-١٦١، ديوانه/٥٩، ٦٤

(١) بُصْرى؛ قالَ في العربِ: "مَعروفٌ أنّ بُصْرى من بلادِ الشّام التي ارتَحل إليها الشّاعر" (١٤٤). وقال ياقوت: "بالشّامِ من أعْمالِ دِمشق، وهي قصَبَةُ كورة حَوْران؛ مشهورةٌ عند العرب"، وذكر الأبياتَ (١٩-٢٢) من القصيدةِ منسوبَةً لأعْرابيّ، كَما أثبت للصِّمَّةِ بيتَيْنِ سِوى هذه يردانِ في قافية اللام. (البلدان: بُصرى). والصِّمَّةُ في هذه الأبياتِ يُخاطِبُ رَكْبًا من المسافِرينَ باتِّجاهِ نَجْدٍ لِيُبْلِغُوا سَلامَه إلى نَجد وأهْلِه، والأبياتُ (١٩-٢٢) لَم تُثبِتْها العربُ ولا ديوانه للشّاعر .

(٢) الكَبْلُ: القَيْدُ، وقد تقدَّمَ في الحديثِ عَنْ ريّا مَعشوقَةِ الصِّمَّةِ شيءٌ من الحديثِ الْمُفَصَّلِ في وصْفِها بالْحارثيَّةِ (فلْيُنْظَر)، وَهو هُنا يصِفُ نفسَهُ بالحارثِيِّ، وفي المقطوعَةِ الدّاليّة (ألا أيّها الصَّمدُ) سيمرُّ وصفه لَها بالحارثيَّةِ .

(١١)

{ الطّويل }

١ ألا أيُّها الصَّمْدُ الّذي كُنْتَ مَــرَّةً ... تَحُلُّك ، أُسْقِيْتَ الغَوادِيَ مِنْ صَمْدِ [١]

٢ وَمِنْ وَطَنٍ لَمْ تَسْكُنِ النَّفسُ بَعْدَهُ ... إلَى وَطَنٍ فِي قُــرْبِ دارٍ ولا بُعْــدِ [٢]

٣ وَمَنْزِلَتَيْ ظَـمْياءَ مِنْ بَطْنِ عاقِــلٍ ... وذاتِ السَّليلِ، كَيْفَ حالُكُما بَعْدي. [٣]

(١) في ديوانه (كُنْتُ مَرَّةً بِحِلِّكَ)، وفي شعراء قشير مثلها، وفي بلدان ياقوت (كانَ مرَّةً تَحلُّلَ سُقِّيْتَ الأهاضيبَ)، وفي العربِ (الصَّمْدُ التي كُنْتَ مرَّةً تَحُلُّكَ) ولا يستقيمُ .
والصَّمْدُ، قال الجاسرُ: "ورد هذا الاسم في مقطوعةٍ في التّغزُّل بِظَمْياء، وردَ فيها اسم السَّليلِ وعاقِلٍ، ووُصِفَت ظَمياءُ هذه بالحارثيَّة، ونَرى أنّ المقطوعةَ ليسَت للصِّمَّة؛ إذ عاقلٌ والسَّليلُ في شَمال نَجْد بَعيدان عن بِلاد قُشَير؛ ثُمَّ إنّنا لَم نَر الصِّمَّةَ يذكر ظَمياء الحارثيَّة، والتي نَرى أنّها مـن حارثـة بَني أسَد، بِقَرينـة ذِكـر عاقلٍ والسَّليل، والصَّمْدُ ليسَ بعيدًا عَن مَنازل أسَد، وكذا السَّليلُ" (العرب: ١٤٦-١٤٧).
وقالَ ياقوت: "الصَّمْدُ: الصُّلْبُ من الأرضِ الغليظَةِ، وكذلكَ الصُّمْدُ بالضَّمّ" (البلدان: الصّمد). والشّاعر يقصدُ صَمْدًا بعينِه، والصُّمُدُ كَثيرَةٌ كالأجارع، ولهذا وصفَه بقولِهِ : "الذي كُنْتَ مرَّةً" .
(٢) هذا البيت أثبَتَه ياقوت وحدَه، والأبيات عند الخالديَّين ثلاثةٌ حَسْبُ، ولَم يثبته الجاسر ولا الفيصَل .
(٣) في بلدان ياقوت (ومنزِلَتَيْ دَلْفاء من بطن واسطٍ وَمِنْ ذِي سَليلٍ ...)، وهذه الرّواية تُلْغي شُكوكَ الجاسِرِ في نسبَةِ الأبياتِ للصِّمَّةِ؛ لأنَه اعتَمَدَ فيه على ذِكـر الصِّمَّةِ لِبَطـنِ عـاقِلٍ وذاتِ السَّـليلِ، ودلفـاء عند ياقوت هـيَ تصحيفُ (ذَلْفاءَ)، وكانَ الجاسِرُ قد رَأى أنَّ (ظَمْياءَ) إنّما هُوَ تَحريفُ (طَيّا)، وهو تَحليلٌ لا يستَقيمُ، وعلـى أيَـةِ حال فكُلٌّ من (ظَمْياءَ)، و (ذَلْفاء) إنّما هُوَ صِفَةٌ لا عَلَم . أمّا واسِـطٌ فقـد تقـدَّمَ الحديـثُ عنـها (انظـر فـهرس الأماكن)، وأمّا عاقِلٌ، فقد قالَ الجاسر: "عاقِلٌ هذا وادٍ يُعْرَفُ الآنَ باسمِ العاقليّ، فيه مَزارعُ لأهلِ مدينَةِ الرَّسِّ، وكانَ من منازل بَني أسد، ...، والوادي طَويلٌ يشترِك فيه في القديمِ مع بَني أسد غَنِيٌّ وتَميم، ولكنّه كمـا قلنـا بَعيدٌ عَن منازل بَني قُشَير" (العرب: ١٤٧) .
قالَ ياقوت: " عاقل وادٍ لِبَني أبانَ بْنِ دارم مِن دون بَطْنِ الرُّمَة، وهوَ يُناوحُ مَنْعِجًا من قُدّامِهِ وعَنْ يَمينِه، ويُقالُ: عاقِلٌ وادٍ بِنَجْد، ...، وعاقِل: وادٍ في أعاليهِ إمَّرَة وَفي أسافِلِه الرُّمَة، وهو مَمْلوءٌ طَلْحًا، وبَطْنُ عاقِلٍ: مَوضِعٌ على طريقِ حاجِّ البَصْرَةِ بَيْنَ رامَتَيْنِ وَإمَّرَة"، وذكَر أمكِنَةً أخرى عُرِفت بعاقِلٍ أكثرُها في نَجد، إمّا رمالٌ أو جبـالٌ أو مِياه (البلدان: عاقل) .
وكما وهم الجاسِرُ في هذا الاسم، فقد وهم في السَّليلِ أيضًا، قالَ فيهِ: "لا أعرفُ موضِعًا بهذا الاسـم إلاّ الـذي في بِلادِ بَني أسد غَربَ القَصيم، وهو بعيدٌ عن بِلاد الشّاعر، ولا يُستَبعَدُ أن يَكونَ هناك اسمُ موضِعٍ آخَرَ غيره أرادَه الشّاعر إنْ صَحَّ نسبَةُ هذا الشّعرِ إليه (العرب: ١٤٥) .
وما في بلدان ياقوت يؤكّد أنّ السَّليلَ في دِيار الشّاعر، قالَ: "قال الليـثُ: السَّـليلُ والسُّـلاّنُ: الأوْدِيَـةُ... وقَـوْلُ عُبَيدِ اللهِ بن قَيس الرُّقَيّاتِ يدلُّ على أنّه أرادَ الواديَ اسمَ جِنس؛ فقال: (فالسَّليلُ الذي بِمَدْفَعِ قَرْنٍ قَدْ تَعَفَّتْ إلاّ ثَلاثًا جُثوما)" (البلدان: السَّليل). وقَرْنٌ هذه في دِيار قُشَيرٍ، قال ياقوت: "قال أبو عبيد اللّه السَّكونيُّ: قَـرْنٌ قَرْيَةٌ بينَ فَلَجٍ وبَيْنَ مَهَبِّ الجَنوبِ من أرْضِ اليَمامَة فيها نَخْلٌ وأطْواء، وليسَ وراءها من قُرى اليَمامةِ ولا مياهِها شيْء، وهي لِبَني قُشَير، وليسَتْ من العارضِ " (البلدان: قَرن) .

٤ تَتَابَعُ أنواءُ الـرَّبِيعِ عَـــلَيْكُما ... لِما لَكُما بالْحـــارِثِيَّةِ مِنْ عَهْدِ [١]

تَخريجُ الأبياتِ :

الأشباه والنّظائر ٢/١١١، معجم البلدان (واسط)، العرب/١٦١-١٦٢، شُعراء قُشَير ٢/١٣٧، ديوانه/ ٦٥

(١) ديوانه (تَتابَعَ)، وهي تصحيحٌ، وكذلكَ الأُخرى الْمُثْبَتَة التي هي بِحَذْفِ تاء المضارَعَة خشيةَ تَوالي تاءات ثـلاث. والأنْواءُ جَمْعُ نَوْء، وهُوَ النَّجْمُ الذي بِطُلوعِهِ يَكونُ نُزولُ الغَيْث (اللسان: نوأ). وفي بلدانِ ياقوت (أما لَكُمــا بالْمالِكِيَّةِ من عَهْدِ)، وهذا يُخفِّفُ من مَيْلِ الجاسِرِ إلى عَدِّ القصيدَةِ مِمّا ليسَ للصِّمَّةِ؛ لأنّه ذَكَر الحارِثِيَّةَ، وتـابَع اعتِقادَه في ما بَناهُ على ذِكر عاقلٍ وذات السَّليلِ، وهُما لِبَنِي حارثة من أسد، أنّ الأبياتَ ليسَت له، وفي شـعراء قشير (من عَهدي)، ولا يستَقيمُ أيضًا؛ فالمعهود في هذا التَّركيبِ أنْ يَكون ما بَعدَ (مِنْ) نَكِرَةً لا معرفةً .

(١٢)

{ الطّويل }

١ أَحِنُّ إلى نَجْدٍ وإنّي لَيائـــسٌ		طِوالَ اللّيالِي مِنْ رُجوعٍ إلى نَجْدِ

٢ فإنَّكَ لا لَيْلَى ولا نَجْدَ فاعْتَرِفْ		بِهَجْرٍ إلى يَوْمِ القِيامَةِ والوَعْـــدِ [1]

تَخريجُ الأبيات :

أمالي القالي ١/١٩٤، الزّهرة/ ٣٤٩، وقد نسبهما لِمجنونِ بَني عامر، وهمـــا في ديوانه/٧١، وقد أخلَّ بِها مجموعُ شِعره وديوانُه المطبوع

(١) لَمْ يُعْرَف عن الْمَجنونِ أنّه فارَقَ نَجْدًا وغابَ عنه غِيابًا يَدعو إلى مِثلِ هذا القولِ، وإذا كُنّا قدَّمنا أنّ أشـــعارَ غَزِلِي الباديَةِ قد اختلطت عندَ الرُّواةِ، وخَلَطَ بيْنَها الْمُصنِّفونَ، وتَداخَلت حِكاياتُهم وأخبارُهم حينَ أصْبَحـــوا أحاديثَ الْمَجالسِ والقُصّاصِ؛ فإنّي أرى أنّ هذينِ البيتَينِ للصِّمَّةِ لا المجنونِ، وأرى أنَّ (ليلى) هُنـــا إنّمـــا هُـــوَ تَحريف (رَيّا)، أو هُوَ نتيجةُ استبدالِ (ليلى) ب (رَيّا) عند أَحَدِ الرُّواةِ. ومِمّا يؤكِّدُ هذا أنّ الصِّمَّةَ هَجَرَ نَجْـــدًا بعدَ زواجِ رَيّا، ولَمْ يَعُد إليهِ طِيلَةَ أيّامِه حتّى وافَتْهُ مَنيَّتُه .

والبيتُ هُنا على تَقديرِ مَحذوفٍ من الكلامِ، ويكونُ مَخرَجُ البيْتِ : (فإنَّكَ لا لَيْلى تَراها ولا نَجْدَ نَعيـــشُ في رُبوعِهِ) .

(١٣)

{ الوافر }

١ وِقاءٌ مّا مُعَيَّةُ مِنْ أبيهِ لِمَنْ أوْفَى بِعَهْدٍ أوْ بِعَقْدِ [١]

تخريج البيت :

المقتضب ٢/٢٨٤، ديوانه/٦٦

(١) أظُنُّ هذا البيتَ ليسَ للصِّمَّةِ، إنّما هُوَ لعبدِ اللهِ بْنِ الصِّمَّةِ؛ أَخي دُرَيدِ بْنِ الصِّمَّةِ، وهو جاهِليٌّ لا إسلاميّ، ويبدو أنّ الأمرَ اختَلَط على بعضِهم أحيانًا فخَلطوا بينَ عبدِ اللهِ أبي الصِّمَّةِ القُشَيريّ، وعبد اللهِ بنِ الصِّمَّةِ أخي دُرَيد؛ حتّى إنّ اليزيديّ رَوى في مراثيهِ وأماليهِ عَنِ ابْنِ الكَسْكَريّ بعضَ شِعرِ الصِّمَّةِ بنِ عبد اللهِ وَجَعله ابْنُ الكَسكريّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الصِّمَّةِ، وقد أشرنا إلى هذا التخليطِ في رواية شِعر الصِّمَّةِ في مقدّمةِ الدّيوانِ؛ فلْيُنْظَر في مَكانه .

الوِقاءُ: ما تَقِي الشَّيءَ به، مُعَيَّةُ: اسمُ عَلمٍ مذكّر تَصغيرُ مُعاوية .

(١٤)

{ الطّويل }

١ لا تَعْذُلينا في الزِّيارَةِ، إِنَّنا وَإِيّاكِ كَالظَّمْآنِ وَالْماءُ بارِدُ [(١)]

٢ يَراهُ قَريبًا دانِيًا غَيْرَ أَنَّهُ تَحُولُ الْمَنايا دُونَهُ وَالرَّواصِدُ [(٢)]

تَخريجُ الأبياتِ :

أمالي القالي ١/١٩٥، وقد أخلَّ بِهِما مجموعُ شِعرِه وديوانه المطبوع. وفي أوَّلِ البيتَيْنِ خَرْمٌ بِحَذفِ مُتَحَرِّكِ فَعُولنْ الأَوَّل .

---

(١) الْعَذْلُ واللوْمُ بِمَعْنًى، وعَذَلَ مِنْ بابِ ضَرَبَ؛ أي أنَّ عَيْنَ مُضارِعِهِ تُكْسَرُ وتُضَمُّ كَما في ضَرَبَ (اللسان: عذل).

(٢) هذه الصّورة تَكادُ تَكونُ شائعةً عندَ غَزِلي الباديةِ، ولعلَّها شائعةٌ في شِعر الغزَل عند العربِ قديمًا، ولا سيَّما ما نَراهُ من تشبيههم حديث الحبيبةِ بالماء القراحِ الذي شِيبَ بِه حَليبُ الأبكار العُوذ المطافيلِ، وتذكّرُ هذه الصّورةُ هُنا بقولِ شاعِرِهم:

إنّي وإيّاكِ كالصّادي رَأى نَهَلاً وَدُونَهُ هُوَّةٌ يَخشى بها التّلَفا

يَرَى بها مَنْهَلاً قَدْ عَزَّ مَوْرِدُهُ وَلَيْسَ يَمْلِكُ دونَ الْماء مُنْصَرَفا

والْمَنايا جَمْعُ مَنِيَّة، وهي الْمَوتُ، والرّواصِدُ جَمعُ اسم الفاعلِ مِنها، والرّواصِدُ هُنا بمعنى الرُّقَباء، والرّواصِدُ على الماءِ هُمُ الصّيادونَ الذين يرتقبونَ ورودَ الحيواناتِ على الماءِ، ويكونون قد نَصبوا شِراكَهم، وأعدّوا كِلابَهم. ويشيعُ في شِعر غَزِلي الباديةِ الحديث عن الْوُشاةِ الذين يسعَوْنَ في إفسادِ الودِّ بينَ العاشِقَيْنِ، والكاشِحينَ الْحُسّادِ، والرُّقَباءِ الذين يرصدونَ حَركاتِ المحِبّينَ وأقوالَهم، والعَواذِلِ الذينَ يلومونَ الْمُحِبَّ على حُبِّهِ .

(١٥)

{ الطويل }

١ ألا لَيتَ شِعْري هَلْ أبيتَنَّ لَيْلَةً   بِسُعْدٍ ولَمّا تَخْلُ مِنْ أهْلِها سُعْدُ [١]

٢ وَهَلْ أَقْبَلَنَّ النَّجْدَ أعْناقَ أيْنُقٍ   وَقَدْ سالَ مَسْيًا ثمّ صبَّحَها النَّجْدُ [٢]

٣ وَهَلْ أَخْبِطَنَّ القَوْمَ والرِّيحُ طلّةٌ   فُرُوعَ أَلاءٍ حَفَّهُ عَقِدٌ جَعْدُ [٣]

٤ وكُنْتُ أرى نَجْدًا وَرَيّا مِنَ الْهوى   فَما مِنْ هَوايَ اليَوْمَ رَيّا وَلا نَجْدُ [٤]

---

(١) قالَ الجاسر: "سُعْد: قريَةٌ من قُرى قَرْقَرى، وقرقَرى متّصلةٌ بديار قُشَير من النّاحية الشّرقيّة الشّماليّة، وتُعرَفُ الآنَ باسمِ الحمادَة، وهي السّهل الممتدُّ في سَفْحِ جَبَل طُوَيْق؛ عارِضِ اليمامةِ من الغرب، وفيها قُرى كثيرَة من أشهَرِها ضَرَما، وهذه القريَةُ ليسَت معروفَةً الآنَ" (العرب:٥ ١٤٥). وقالَ ياقوت: " السُّعْدُ: ماءٌ وقَرْيَةٌ نَخْلٍ غربيّ اليَمامة. وقال أبو زياد: سُعْدٌ: ماء وقريَةٌ ونَخْلٌ من حانب اليَمامةِ الغربيِّ بقَرْقَرى، وقد ذَكره الشُّعَراء؛ فقالَ الصِّمَّةُ بنُ عبد الله القشيريّ وقد فارق أهلَه وافْتَرَضَ في الْجُنْدِ ... " وذكر الأبياتَ (١-٥) (البلدان: سُعد) .

(٢) ديوانه (سارَ مَسْياً، صَبَّحَها)، وكذلك في شعراء قشير. ومَخْرَجُ الكَلام: وَهَلْ أستَقْبلَنَّ في النَّجْدِ أعْناقَ نُوقٍ سالَت بِها الأباطِحُ مَساءً ثُمَّ وصَلَتْ نَجْدًا في الصّباحِ، والبيتُ يُذكّرُ بقولِ الحارثِ بْنِ خالِدٍ، وبعضُهم يرويهِ لِكُثَيِّر ولِغَيْرِه :

أخَذْنا بأطْرافِ الأحاديثِ بيْننا   وَسالَتْ بأعْناقِ الْمَطِيِّ الأباطِحُ

(٣) الْخَبْطُ في أصْلِهِ يَكونُ ضَرْبُ أغصانِ الأشجار الشّوكيَّةِ (كالسِّدْر) بالعِصِيِّ كَي تسّاقَطَ أوراقُها فتَأكُلها الأنعام (اللسان: خبط)، والخَبْطُ هُنا يَعني بِهِ وُلوجَه دِيارَهم فجأةً أو مُصادَفَةً دونَ تحديد طريقِ سيْرِه، وحُلولَه بينَهم دونَ أنْ يَعْلَموا، وكأنَّه كانَ يسيرُ على غَيرِ هُدًى دونَ أنْ يعرفَ مَكانَهم (خَبط عَشْواء). الطَّلُّ: الْمَطَرُ الصّغيرُ القَطْرِ ، وقيلَ النّدى، وقيلَ فَوْقَ النّدى ودونَ الْمَطرِ (اللسان: طلل). أمّا فُروعَ الألاءِ؛ فَهُوَ يُشَبِّهُ رَيّا وقوْمَه بفُروعِ الألاء، والألاءُ شَجَرٌ دائمُ الْخُضْرَة (اللسان: ألأ). حَفَّهُ: أحاطَ به. عَقِدٌ: رَمْلٌ مُبْتَلٌّ يُساعِدُه على اليُنوعَةِ الدّائمة (اللسان: عقد)، وهذا أدْعى لليونَتِه وجَمالِه. جَعْدُ: فيهِ ارتفاعٌ وانخِفاض .

(٤) ديوانه (مِنْ هَوائي)، وكذلك شعراء قشير. ويُظْهِرُ البيتُ شِدَّةَ الألَمِ التي كانَ الشّاعر يُكابِدُها، وإنْ كانَ ظاهره يُوحي بِنسْيانه رَيّا وسُلُوِّه عنها .

٥ فَدَعْنِيَ مِنْ رَيّا وَنَجْـــدٍ كِلَيْهِما وَلٰكِنَّني غادٍ إِذا ما غَدا الْجُـــنْدُ (١)

٦ أَقولُ لِعَيّـــاشٍ صَحِبْنا وَجابِرٍ وَقَدْ حالَ دُونِيْ هَضْبُ عارِمَةَ الْفَرْدُ (٢)

٧ قِفا فَانْظُرا نَحْوَ الْحِمَى الْيَوْمَ نَظْرَةً فَإِنَّ غَـــداةَ الْيَوْمِ مِنْ عَهْدِهِ الْعَهْدُ (٣)

٨ فَلَمّا رَأَينا قُلَّةَ النِّيرِ أَعْـــرَضَتْ لَنا، وَجِبالُ الْحَـــزْنِ غَيَّبَها الْبُعْدُ (٤)

---

(١) يُذكِّرُ البيتُ بقولِ مالكِ بْنِ الرَّيْبِ :

أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفّانَ غازِيا

وهذا القولُ غيرُ دالٍّ أَلْبَتَّةَ على النّسيانِ كما أشرنا آنفًا، ولكنّه يدلُّ على مُحاولةِ الشّاعرِ أنْ يتسلّى ويتصبَّرَ، ويُلْهِيَ نفسَه وشَوقَهُ بما وَجَدَ مِنْ سَبيلٍ للعيشِ بنَهْجٍ مختلفٍ يُشارِكُ فيهِ في أشياءَ أُخرى، ويقضّي بَعْضَ الوقتِ الذي كانَ يقضيهِ كئيبًا مَحْزونًا في الغَزْوِ. ولعلَّ مثلَ هذا يَكونُ دَأْبَ الْمُحِبّينَ حينَ تتسرَّبُ الأحلامُ من بينِ أيديهم؛ فأمّا الذينَ لا يَجِدونَ لَهُم مُنْصَرَفًا عن الكآبةِ والْهَمِّ فَمصيرُ بعضِهم حَكَتْهُ عنهم أخبارٌ كثيرَة .

(٢) خاطَبَ الشّاعر في تائيّته (عُثْمانَ بْنَ وَهْبٍ)، وهُنا يُخاطِبُ صاحِبَيْهِ (عيّاش وجابر)، وليسَ مِن سبيلٍ إلى التّثبُّتِ من أسماءِ هؤلاءِ، ولا سيّما إذا كانوا بَعضَ الْجُنْدِ، فَهم أكثرُ من أن تَحصرهم المصادرُ التّاريخيّة، ولم أجدْ لَهم ذِكرًا في شُروحِ شِعرِه ولا في أفرادِ قبيلَتِه قُشَير .

أمّا هَضْبُ عارِمَةَ؛ فقد تقدَّمَ مَعنى الْهَضْبِ، وعارِمَةُ كما قالَ الجاسِرُ: "يُطلَقُ هذا الاسمُ عَلى موضِعٍ في بِلادِ بَني قُشَيرٍ، وعلى جبلٍ بَني عامِرٍ، ونَراهُ المقصودَ هُنا؛ إذ الشّاعر ذكَرَ أنّه هَضْب، وقَرَنَه بالنِّيرِ وَسُــواج" (العرب: ١٤٧). قالَ ياقوت: "قالَ ابنُ الْمُعَلّى الأزديُّ: عارِمَةُ من مَنازِلِ بَني قُشَيرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ ربيعَةَ بْنِ عــامِرِ بْنِ صَعْصَعَة، وقالَ الصِّمَّةُ بْنُ عبدِ اللهِ القُشَيْرِيُّ ..."، وذكر الأبياتَ (٦-٨، ١٠) (البلدان: عارمة) .

(٣) هذا البيتُ شبيهٌ ببيتِه الآخر (قِفا وَدِّعا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بالْحِمَى)، ولعلَّ القصيدتَيْنِ تَحْكِيانِ مَوقِفًا واحِدًا في هذا البابِ، ومَخرَجُ قولِه في عَجُزِ البيتِ: (فإنَّ غَداةَ الْيَوْمِ الْعَهْدُ مِنْ عَهْدِهِ)، وغَداةُ اليومِ هُنا وإنْ هِيَ دلَّتْ عَلى الزّمانِ الذي يدلُّ عليه الظّرف، فإنّها ليسَ القصدُ بها إلى الظّرفيّة، بل تصبحُ كقولِكَ: (إنَّ الْيَوْمَ آخِرُ أيّامِ عَهْدي بِك)، ومَعنى قولِه ذاكَ أنَّ غَداةَ اليومِ آخرُ عَهدِنا بالْحِمَى .

(٤) المرزباني (قلّة الشّرّ)، (وطِوال الرَّمل)، ديوانه (قُلَّةَ الْبِشْرِ) وهوَ تَحريفُ (النِّير). قُلَّةُ النِّيرِ تقدَّمــت في تائيّتِــه، وجِبالُ الْحَزْنِ: الْحُزونُ في بِلادِ العَرَبِ ثلاثَةٌ؛ حَزْنُ جَعْدَةَ بنِ كَعبِ بْنِ رَبيعة بنِ عامِرِ بْنِ صَعْصَعَة، وهؤلاءِ بَنو عُمومةِ القشيْرِيِّينَ، وَحَزْنُ بَني يَربوع، وَحَزْنُ غاضِرَة، وأقرَبُها إلى ديارِ بَني قُشَيرٍ حَزْنُ جَعْدَةَ ابنِ كَعب، ولعلَّــه هُوَ المقصودُ (البلدان: حَزن بَني جَعْدَة) .

٩ وَأَعْرَضَ رُكْنٌ مِنْ سُــواجٍ كَأَنَّهُ لِعَيْنَيْكَ فِي آلِ الضُّــحَى فَرَسٌ وَرْدُ [١]

١٠ أصابَ جَــهُولَ القَوْمِ تَتْيِيمُ ما بِهِ فَحَنَّ ، وَلَمْ يَمْلِكْهُ، ذو القُــوَّةِ الجَلْدُ [٢]

تَخريجُ الأبيات :

لعلَّه قالَها وهو راحِلٌ إلى الشّام؛ بآيَةِ ما ذَكرَ نيَّتَه للغُدُوِّ مع الْجُنْدِ، وقــد ظــنَّ الجاسِرُ أنَّ الشّاعرَ قالَها وهو قادمٌ إلى ديار قوْمِه، وأنَّ هَضْبَ عارمَةَ قدْ حَجَزَ بَصــرَه عَنْها، والظّاهرُ أنّه قالَها وهوَ راحِلٌ، وقدْ نَظَرَ هُو وصاحِباهُ خَلْفَهُم فرَأوا بعضَ المعــالِمِ المحيطةِ بمَرابعِهم.

معجَم الشُّعراء/ ١٤٤-١٤٥، والأبيات ١-٥ في معجم البلدان (سُــعْد، البِشْــر)، وبقيَّتها فيهِ (عارمة)، كَما نسبَ آخرَ ثلاثةٍ منها لعبد الله بن الصِّمَة في (البِشْــــر)، وهــي كذلكَ في المؤتلف والمختلف بتحقيق فرّاج/ ٢١٤، رَواها (الشَّرّ)، وَهُمـــا تَصحيفــان ل (النِّير) كَما أكّد الشّيخ حَمد الجاسر في العــرب/١٦٢-١٦٣. الْمُجتَــنى/٦٤، مســالكَ الأبصار ١٦٤/٩، التّبريزي ١٦٠/٢، شعراء نجد والحجاز والعراق/ ٧٥٤، ديوانه/ ٥٦

---

(١) يَدُلُّ هذا البيتُ عَلى لَوْنِ سُواجٍ الْمائِلِ إلى الْحُمْرَة، وآلُ الضُّحَى: السّرابُ وَقْتَ الضُّحَى، وَمِمّا يجدُر ذكــرُه أنّ العربَ بَعْدَ الإسلامِ تأثّروا بالاستِخدامِ القرآنيِّ في قولِه تَعالى: [مَثَلُ الذينَ كَفَرُوا أعْمالُهم كَسَرابٍ بِقِيعَــةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً]. أمّا سُواج؛ فقد قال الجاسِرُ فيه: "يقصد الشّاعر الجبلَ الواقِعَ جَنوبَ النِّيرِ، وهو لا يَــزالُ مَعروفًا باسْمِه، ولا يقصِدُ الجَبلَ الآخر الذي تقدَّمَ ذِكْرُه" (العرب: ١٤٦)، وهو المعروفُ بِسُــواجِ الْمَرْدَمَــةِ، وليسَ سُواجَ الْحِمَى: أو سُواجَ الخَيْلِ الْمَعروفَ الآنَ في شَرقِ حِمَى ضَرِيَّة (العرب: ١٤٤). قالَ ياقوت: "قــالَ ابنُ الأعْرابِيّ: ... هُوَ جَبَلٌ تَأوي فيهِ الجِنُّ، قال بعضُهم:

أقْبَلْنَ مِنْ نِيرٍ وَمِنْ سُواجِ بالقَوْمِ قَدْ مَلّوا مِنَ الإدْلاجِ

وقالَ السُّكّرِيُّ: سُواجٌ جَبَلٌ بالعالِيَةِ"؛ أي عاليةِ نَجْد، وسُواجُ الْمَرْدَمةِ ليسَ سُواجَ طَخْفَة (البلدان: سُواج) .

(٢) المرزباني: (أصابَ سَقيم القوم تتميم مابه فحن ولم يملك أخو القوم الجَلدُ)، وفيهِ أخطاء كثيرة ظــاهرة، منها أنَّ العَجُز مختلّ الوزنِ بهذه الرّواية، وقالَ المرزُباني بعدَ روايتِها: "في أبْيات" مُشيراً إلى أنَّ مــا رواه أبيــاتٌ اختارَها. أمّا الآمديّ ففيهِ (أخو القُوَّة)، وهوَ الصّواب، غيرَ أنّه أبقى على رواية البيتِ الأوّل كَمــا هــيَ. وفي ديوانه (جَهُولَ القومِ تتيمُ). والتَّتيمُ ذَهابُ العَقلِ من الهَوى (اللسان: تيم)، أمّا الهاءُ في (يَملِكْهُ) هيَ للدَّمْــعِ، ويكونُ مَخرَجُ البيتِ: (فَحَنَّ ذو القُوَّةِ الْجَلْدُ ولَمْ يَمْلِكْ دَمْعَه) .

(١٦)

{ الطّويل }

١ أَعاذِلَ ، بَعْضَ اللَّوْمِ ، إِنَّ مَنِيَّتِي   لِقَدْرِ لَيالٍ ما لَهُنَّ مَزِيدُ (١)

٢ وَإِنَّ ارْتِحالِيْ لا يُدَنِّيْ مَنِيَّتِي   وَلا مانِعِيْ مِنْ أَنْ أَمُوتَ قُعُودُ

٣ وَقَدْ يُرْجِعُ اللهُ الْفَتَى بَعْدَ غَيْبَةٍ   وَيَلْقَى الْمَنايا آخَرُونَ شُهُودُ (٢)

تَخريجُ الأبياتِ :

التّذكرة السّعدِيّة في الأشعار العربيّة/ ٣١٤، ولَمْ تَرِدْ في العرب، ولا ديوانه المطبوع

---

(١) عاذِل: مُنادى مُرَخَّم، وهي تَحتَمِلُ أنْ يَكونَ غيرَ مُرَخَّمٍ إنْ كانَ العاذِلُ مُذكَّرًا، فتَكونُ بالضَّمِّ لا غَيْرَ، أمّا إنْ كانَ مُؤنَّثًا فتَحتَمِلُ الفَتْحَ والضَّمَّ كِلَيْهِما. وقولُهُ: بَعْضَ اللَّوْمِ، نُصِبَ عَلى المفعوليَّةِ نِيابَةً عن المفعولِ المطلَق. وقولُهُ: لِقَدْرِ لَيالٍ؛ تَوقُّعٌ منه بِدُنُوِّ أجَلِه، وما هُوَ بالحقيقَةِ، إنّما يُحاولُ بِهِ أنْ يستَدِرَّ عَطْفَ مَن يَلومُه لا أكْثَرَ .

(٢) في التّذكرة (غَيْبِهِ)، والأدَقُّ ما أثبَتْناهُ. ولَم يكُنِ اللومُ الذي وجَدَه الشّاعرُ مِمَّن عذلَهُ عَلى الرّحيلِ وَحدَه، بل الظّاهر أنّه لَومٌ عَلى رَحيلِه ونِيَّتِه الانضِمامَ إلى الجيوشِ الإسلاميّة في فُتوحِها، ويبدو أنَّ مَن عذلَ الشّاعرَ كانَ قريبًا منه إلى دَرجةِ رَهْبَةِ أنْ يَموتَ في إحدى المعارك، ولعلَّ العاذلَ ربّا .

(١٧)

{ الطَّويل }

١ أَلا مَنْ لِنَفْسٍ مُسْتَخِفٍّ جَلِيدُهَا ... وَسَلْمى مُبِينٌ بُخْلُها وَصُدُودُهَا[1]

٢ أَحَقًّا عِبادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ ناظِرًا ... إِلى الْهَضْبِ إِلاّ عاوَدَ النَّفْسَ عِيدُها[2]

٣ وَإِلاّ اسْتَهَلَّتْ عَبْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ ... يُصَدِّعُ قَلْبِي أَنْ يُلِمَّ صُعودُها[3]

٤ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ عُلِّقْتُ مِنْ ساكِنِ الْحِمَى ... مُكَذِّبَةً وَعْدي، صَدوقاً وَعيدُها[4]

٥ وَلَوْ طَلَبَتْ مِنِّي عَلى ذاكَ في الْهَوى ... زِيادَةَ حُبٍّ، لَمْ أَجِدْ ما أَزِيدُها

٦ أَلا قاتَلَ اللهُ الْهَوى بَعْدَ نَظْرَةٍ ... أَفادَكَها يَوْمَ اللِّقاءِ مُفِيدُها

٧ فَأَخْفَيْتُ مِنْ أَصْحابِيَ الشَّوْقَ بَعْدَما ... جَرى مِنْ جُفونِ الْمُقْلَتَيْنِ فَرِيدُها[5]

---

(١) الْمُسْتَخِفُّ والْمُسْتَخْفي سِيّانِ (اللسان: خفي)، وجَلِيدُها: تَجَلُّدُها (اللسان: جلد)، والْمُبِينُ الظّاهِرُ (اللسان: بان). والبيتُ فيهِ مُقابَلَةٌ بينَ حالِه هُوَ إذْ يَتَجلَّدَ حتّى لا يَرى الشّامِتونَ ضَعْفَه، وحالِ حَبِيبَتِه التي سَمّاها هُنا (سَلْمى) التي تُظْهِرُ صَدَّه وتَبْخَلُ عليهِ بالوِصالِ، وهذه عادَةُ غَزِلي البادِيَةِ في أشعارهم .

(٢) الْهَضْبُ: تقَدَّمَ الحديثُ عَنِ هضْبِ عارِمَة، والشّاعر هُنا ذكر الْهَضْبَ غيْرَ مُضافٍ، ولعلّه الْهَضْبُ الْمُجاوِرُ للنِّيرِ (البلدان: الهضب). أمّا (عِيدُها)؛ فَعادَتُها التي درَجَت عليها؛ وهي البُكاء .

(٣) استَهلّت العينُ وانْهَلَّتْ: سالَت دُموعُها (اللسان: هلل)، والزَّفْرَةُ: آهَةُ الكَئِيبِ تَطولُ في صُعودِها من صَدْرِه؛ يُحاولُ بِها أنْ يُخفِّفَ أَلَمَ كَبِدِه الْحَرّى (اللسان: زفر) .

(٤) لعلّها (ساكِنِي الْحِمَى)، لكنَّها بإفْرادِها دالَّةٌ جِنْسِ مَنْ يَسْكُنُ الْحِمَى من النّاسِ (اللسان: سكن)، وقولُهُ: (عُلِّقْتُ)، أي تعلَّقَها فُؤادُهُ. والْحِمَى المقصودُ هُنا هُوَ حِمَى النِّيرِ، وقد تقدَّم (البلدان: الحِمى) .

(٥) الدّمعُ الفَريدُ: أصلُهُ تشبيهُ الدَّمْعِ في تتابُعِ قَطراتِه بالدُّرِّ، والفَرادَةُ صِفَةٌ للدُّرِّ إذا نُظِمَ وفُصِلَ بينَ حَبّاتِه بِغَيْرِه (اللسان: فرد)، وتشبيهُ الدّمعِ بالدُّرِّ الذي انفَرَطَ سِلْكُهُ مِمّا هُوَ مشهورٌ مُتَداوَلٌ بينَ الشُّعراء .

٨ وَكَانَ بُكاءُ الْعَـيْنِ مِنْ قَبْلِ مـــا يُرى عَلَى أُمِّ عَمْرٍو ، عادَةً تَسْتَعيدُها (١)

٩ لَيالِيَ يَدْعونِي الْهَـــوى فَأُجِـــيبُهُ وَدُنْيايَ لَمْ يَخْـلَقْ عَلَيَّ جَديدُها (٢)

١٠ فَأَصْبَحْتُ قَدْحَلأْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصِّبا صَـوادِيَ مِنْ قَلْبِيْ ظِماءً أَذُودُها (٣)

تَخريجُ الأبياتِ :

الأشباه والنّظائر ٢/١٤٠، العرب/ ١٦٣-١٦٤، ديوانه/ ٦٧

(١) (ما) في هذا البيتِ ظرفِيَّةٌ مصدَرِيَّة، ويكون مَخرَجُ الكلامِ بِها: (منْ قَبْلِ رُؤْيَتِـهِ عَلى أمِّ عَمْرو)، وأمُّ عَمـرو هُنا كُنْيَةُ حبيبَتِه ريّا .

(٢) يَخلَق: يَبْلى (اللسان: خلق)، وقولُه: (لَـمْ يَخلَـق علـيَّ جَديدُهـا) تَعبيرٌ عَـنْ مُواتـاةِ الحيـاةِ لـه وإقبالِـها عليـهِ، واستِعمالُ هذا التّعبيرِ مِمّا تَوارَد عليهِ الشّعراءُ، ومنه قولُ جَرير:

بانَ الشّبابُ فَوَدَّعاهُ حَميدا هَلْ مَا تَرى خَلَقًا يَعودُ جَديدا

(٣) حَلَّأَ الأنْعامَ عَنْ ورْدِ الْماءِ: لَحاها بالعَصا وانْتَهَرَها، فَمَنَعَها من الشّرب (اللسـان: حـلأ)، والصَّـوادي والظّمـاءُ بِمَعْنًى؛ وَهِيَ العِطاشُ التي اشْتَدَّ بِها الظّمأ (اللسان: صدا، ظمئ)، وذادَها بِمَعنى أبْعَدَها ومَنعها (اللسـان: ذاد). وقد تكرَّرت مُفرَداتُ هذه الصورة وعناصرها في قصيدتِه التّائيَّة .

قافيةُ الرّاء

(١٨)

{ الوافِر }

١ عَرَفْتَ الْيَوْمَ بالأَسْنادِ دارا فَدَمْعُ الْعَيْنِ يَنْهَمِرُ انْهِمارا (١)

٢ مَنازِلَ جيرَةٍ شَحَطَتْ نَواهُمْ وأَعْقَبَتِ السَّوافِيَ والقِطارا (٢)

٣ رَمَتْنِيْ بالسَّليلِ غَداةَ بانوا عَلى حَذَرٍ، وَما رَمَتِ اغْتِرارا (٣)

٤ بِأَدْهَمَ فاحِمٍ وَبِذي غُرُوبٍ كَأَنَّ عَلى أَشانِبِهِ عُقارا (٤)

---

(١) الأسنادُ: جَمْعُ سَنَدٍ، وهو ما ارتَفعَ من الأرْضِ في قُبُلِ الوادِي أو الْجَبَلِ (اللسان: سند) وقد تقدَّم حديثٌ عن سَنَدِ الْوَدْكاءِ فَلْيُنْظَر .

(٢) شَحَطَتْ نَواهُم: بَعُدَ مَزارُهُم، وأصبَحَت دِيارهُم بَعيدَةً (اللسان: شحط)، والسَّوافي من الرِّياحِ: تلكَ التي تَسْفي التُّرابَ والرَّمْلَ فتَصعُبُ الحَركةُ في وقْتِ هُبوبِها، وهي أدْعى لِتَغْيير مَعالِمِ الدِّيار بَعْدَ أنْ يرتَحِلَ عنها أهْلُها (اللسان: سفا)، وقد تُسَمّى الآنَ بِـ (الطّوز). أمّا الْقِطارُ فَجَمْعُ الْقَطْرِ، وهُوَ الْمَطرُ الكَبيرُ الْحَبُّ الْمُتَتابِعُه (اللسان: قطر) .

(٣) ظنَّ الفيصل أنّ السّليلَ هُنا موضِعٌ في ديار بَني أسَدٍ، وهو إنّما ينقُل عن الجاسرِ حينَ حدَّدَ السّليلَ مَقرونًا بِعاقِلٍ في دِيار بَني أسد، وقد أثبَتْنا قَبْلُ أنَّ السّليلَ إنّما هُوَ مِن دِيار قُشَيْرٍ عَلى أطرافِها .

(٤) الأدْهَمُ: يقصد بِهِ الشَّعْرَ الأسْوَدَ (اللسان: دهم)، وأكَّدَ صِفَةَ الدُّهْمَةِ بقولِهِ: (فاحِم)، وهو الأسْوَدُ الْحَسَنُ (اللسان: فحم). أمّا قولُه: (ذي غُروبٍ)، فهوَ يَصِفُ فَاها وجَمالَه بِما تُضيفُ إليهِ الأسْنانُ الْمُفَلَّجَةُ البيضاءُ جَمالاً آخرَ، والْغَرْبُ: الْتِماعُ الأسنانِ النّاصِعَةِ بِماءِ الرّيقِ (اللسان: غرب)، وكُلَّما كانتْ كذلكَ كانَ أطْيَبَ لِرائحةِ الفَمِ، ولا تَكونُ كذلكَ إلاّ إذا كانَت مُؤَشَّرَةً رقيقَةً مُنْتَظِمَةً، وهذا هُوَ الشَّنَبُ في أصلِه (اللسان: شنب). أمّا الْعُقارُ -بِضَمِّ القافِ- فالْخَمْرُ (اللسان: عقر) .

٥ صُهَيْباءَ الشَّرابِ خَبِيَّ حَوْلٍ وَحَوْلاً أُوْقِـرَتْ مَدَرًا وَقارا [(١)]

٦ فَلَمّا طابَ مَشْـرَبُها تَداعى لَها الْغاوونَ وَابْـتَدَروا التِّجارا [(٢)]

٧ بِرَجْمِ الظَّـنِّ ، غَيْرِ يَقينِ عِلْمٍ كَما شِـيمَ الْحَيا حِينَ اسْتَطارا [(٣)]

٨ بِأَعْيُنِ مُحْـدِبينَ أَتَوا إِلَيْهِ كَما أَلْقَى إِلى طَـيَّا نُوارا [(٤)]

تَخريجُ الأبياتِ :

تعليقات الهجَريّ (مقطوعة ١٤٨)، العرب/ ١٦٤، شعراء قشير ٢/١٦٥، ديوانه/٧٤

---

(١) صُهَيْباء: تَصغيرُ صَهْباء، وهي الْخَمْرُ الضّارِبَةُ إلى الْحُمْرَة (اللسان: صهب). خَبِيَّ حَوْلٍ: أي عُصِرَتْ وخُبِّئَتْ في الزِّقاقِ حَوْلاً. وقد جاءَت الكلمةُ (جوَلاً) في التعليقاتِ، وهي كذلك في العربِ وديوانِه، وأظُنُّها (وَحَوْلاً) كما أثبتُّها؛ إذ لَمْ أجِدْ لَها ذِكرًا في الْمَعاجِمِ، وبهذه يستَقيمُ نَظْمُ البيتِ ومَعْناهُ .

(٢) ديوانه وشعراء قشير (الغادون)، وما أثبتناه من تعليقات الهجري، وابتَدروا: بادَروا، والتِّجارُ: الشِّراءُ والبيعُ (من التِّجارة)، أي بادَروا إلى بائعي الخمر في الحوانيتِ؛ وهم في العادةِ من اليهودِ والنَّصارى .

(٣) رَجْمُ الظَّنِّ: التوقُّعُ والتَّخمينُ اللذينِ لا يستَنِدانِ إلى ما يُرجِّحُهُما، فهؤلاء الغاوون ابتَدروا التّجارَ لشراء الخَمرِ دون أنْ يتأكّدوا من أنّها أصبَحت جاهزةً للشُّربِ، لكنّهم توقَّعوا ذلكَ؛ وشاموهُ كما يُشامُ الْمَطَرُ بالسَّحابِ والبَرقِ، وشامَ البرقَ والسَّحابَ: نظرَ إليهِ فتوقَّعَ مَكانَ إمْطاره (اللسان: شيم) .

(٤) ديوانه وشعراء قشير (لَقوا)، وتصويبه من تعليقات الهجري. الْمُحْدِبُ: الْحاني الْمُتَشَوِّقُ الرَّقيقُ القلبِ (اللسان: حدب) .

{ الوافر }

١ أَقولُ لِصاحِبي والعِيسُ تَهْوي ... بِنا بَيْنَ الْمُنيفَةِ والضِّمارِ [١]

٢ تَمَتَّعْ مِنْ شَميمِ عَرارِ نَجْدٍ ... فَما بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرارِ [٢]

٣ وَبَيْنَ قِفارِها فَقِفِ الْمَطايا ... فَإِنَّ الْعِيسَ تُحْبَسُ بِالقِفارِ [٣]

---

(١) في أمالي القالي وشرح الحماسة (فَالضِّمار)، وفي الأمالي (تَخْدي)، وفي غيرِها (الْغِمار)؛ وهي غَمْرَةٌ وَما والاها إلى طريقِ البصْرَة، ووجْرَةُ مِن الغِمار، وهي جبالُ غَمْرَة، وذاتُ عِرْقٍ من الغِمار، ومنها غَمْرَةُ كِنْدَة. والأولى (الضِّمارُ)، لا كَما قالَ الجاسِرُ: "والغِمارُ وردَتْ في الْمُؤلَّفاتِ: الضِّمارُ – بالضّادِ، ولا شكَّ أنّه تصحيفٌ قديم". ودليلُنا أنَّ الغِمارَ والضِّمارَ مَوْقِعانِ مُخْتَلِفانِ كَما في مصادِرِ البلدانيّات (انظر ياقوت: الغِمار، الضِّمار).
العِيسُ: الإبلُ التي يَضربُ لونُها إلى الصُّفْرَة، وقيلَ هي الإبلُ البيضُ مع شُقْرَةٍ يَسيرَة (اللسان: عيس)، وهَوَت الإبلُ في مَسيرِها: اشتَدَّ سَيْرُها فكأنَّها تُرْقِلُ إرْقالاً، ولا يَكون ذلكَ إلاّ إذا كانت تَسيرُ على مُنْحَدَرٍ من الأرْض.
أمّا الْمُنيفَةُ والضِّمارُ فقد ساقَهُما الجاسِرُ مَعًا في التَعريفِ بِهِما، قالَ: "يُحَدِّدُه ياقوتُ بأنّه بينَ نَجدٍ واليَمامة، وهذا تحديد غَريب (!) ويُفْهَمُ من البيتِ الوارِدِ فيه أنّه بِقُربِ الْمُنيفَة، وهي عَلى ما ذكَر ياقوتٌ بِئرٌ لِبَني تَميم في فَلْج، وفَلْجٌ يُعرَفُ الآنَ بالباطِن؛ وادٍ عَظيمٌ يَختَرِقُ أسْفَل نَجْدٍ مِن الغَربِ إلى الشَرقِ مِن الدَّهْناء حَتّى قُرْبِ البَحر، ويقَعُ بِطريقِ الْمُتَّجِهِ إلى العِراق؛ فهل اتَّخذ الشّاعر طريقَه إلى الشّامِ الطَّريقَ المارَّ بالعِراق ؟ هذا ما لا نستَطيعُ الْجَزْمَ بِه، لِعدمِ الأدلَّة" (العرب: ١٤٧) .
والواقِعُ أنَّ فَلْجًا هذه ليسَتْ التي تكلَّمَ الجاسِرُ علَيْها؛ فَهُناكَ أفْلاجٌ كَثيرَة. قال ياقوت وقد ساق الأبياتَ ونسبَها إلى أعْرابيٍّ: " الضِّمارُ موضِعٌ بينَ نَجدٍ واليَمامة" (البلدان: الضِّمار)، وقال في الْمُنيفَةِ: "ماءٌ لِبَني تَميمٍ عَلى فَلْجٍ كانَ فيهِ يَوْمٌ من أيّامِهم، وهو بينَ نَجْدٍ والْيَمامة"، ثُمَّ ذكَرَ البيتَيْنِ الأوَّلَ والثّاني بِدون عَزْوٍ (البلدان: المنيفة) .
لكنّه قالَ في تَعريفِ فَلْجٍ: "وفَلْجٌ مَدينَةٌ بأرضِ اليَمامةِ لِبَني جَعْدَةَ وقُشَيْرِ بْنِ كَعبِ بْنِ رَبيعةَ بْنِ عامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ... والأفْلاجُ لِبَني جَعْدَةَ وفيها لِبَني قُشَيْر" (البلدان: فلج)، وعلى ذلكَ فَلا غَرابَةَ، ولا مَجالَ للظَّنِّ في نسبَةِ الأبياتِ للصِّمَّةِ، أو تَرَدُّدَ في أنّه اتَّخذ طريقَه إلى الشّامِ من خِلالِ العِراق !

(٢) العَرار: نَباتٌ طَيِّبُ الرائِحَةِ، وهو النَّرْجِسُ البَرِّيُّ (اللسان: عَرَر)، والشَّميم: الشَّمُّ .

(٣) انْفَرَد بِهذا البيتِ الحربيُّ في كِتابِ (المناسكِ وأماكِن طرق الحجّ)، وقد أوردَ البيتَ مرَّتَيْنِ، أُولاهُما (وبينَ رياضِها فَقِفِ)، والأخرى (وبينَ قِفارِها تقِفُ)، انظر كتاب الْمَناسك، ص ٣١٨، ص ٦٠٣ .

٤ أَلا يا حَبَّذا نَفَــحاتُ نَــجْدٍ ... وَرَيّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِــطارِ [١]

٥ وَأَهْـلُكَ ، إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْـدًا ... وَأَنْتَ عَلى زَمانِكَ غَيْرُ زارِ [٢]

٦ شُــهورٌ يَنْقَضِــينَ وَمـا عَلِمْنا ... بِأَنصــافٍ لَهُنَّ وَلا سِــرارِ [٣]

٧ تَقاصَـــرَ لَيْلُهُنَّ ، فَخَــيْرُ لَيْلٍ ... وَأَطْيَبُ ما يَكونُ مِنَ النَّهارِ [٤]

٨ أَيِسْتُ مِنَ الْحَياةِ، وطالَ حُزْني ... فَقَلْبي مُوجَعٌ، والدَّمْعُ جارِ [٥]

---

(١) في المرزوقي (غِبَّ القِطارِ)، النَّفَحاتُ: نَسائمُ الرِّيحِ العَليلَةُ الْمُضَمَّخَةُ بروائحَ ذَكِيَّة، والرَّيّا: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ (اللسان: روى)، والقِطارُ: الْمَطَرُ، جَمْعُ قَطْرٍ (اللسان: قطر) .

(٢) الزّاري: الذي يَعْتِبُ وَيَعيبُ، وزَرى عَليهِ: ذَكَرَهُ بِسوءٍ وتَنَقَّصَهُ (اللسان: زرى) .

(٣) المرزوقي (وَما شَعَرْنا)، السِّرارُ: آخِرُ لَيالي الشَّهْرِ، حينَ يستَتِرُ القَمَرُ (اللسان: سرر)، والشّاعِرُ هُنا يُثيرُ قضيَّةَ الإحساس بالزّمنِ، فالزَّمنُ بالنِّسبَةِ للإنسانِ مسألَةٌ نسبِيَّةٌ؛ فَهُناكَ مَن يَرى اليَومَ شَهرًا، وهُناكَ مَنْ يَرى الشَّهرَ يَوْمًا؛ والحقيقَةُ أنّ الزَّمَن ثابتٌ لا يتغيَّرُ؛ لكنَّ الفرَحَ والسّعادَةَ عادَةً ما يُواتِيانِ خَلْسَةً، وتَدومُ بالإنسانِ هُمومُهُ وتدُكُّه صُروفُ الدّهرِ والحدْثان. ولِهذا ظهرَت قضيَّةُ الزَّمنِ في الشّعرِ العربيِّ بارزَةً، ومنها قولُ شاعرِهِم:

يَطولُ اليَوْمُ لا أَلْقاكِ فيهِ ... وَحَوْلٌ نَلْتَقي فيهِ قَصيرُ

(٤) في معاهد التّنصيص (فَأمّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ ... وَأقْصَرُ ما ...). من المَعروفِ أنَّ اللَّيْلَ والنّهارَ يستَوِيانِ تقريبًا في المناطِقِ القريبةِ من خطِّ الاستِواء، ويَطولُ الليلُ كَثيرًا في المناطق القُطبيَّةِ حتّى يبلغ أحيانًا نصفَ العامِ تقريبًا، أمّا المناطق المداريّة وشبْهُ المداريَّة، فَلَيْلُها أطْوَلُ من نهارها بنسبَةٍ بسيطَة، وتَفضيلُ الشّاعرِ قِصَرَ النّهار هُنا دَليلٌ على أنّهم كانوا يُحبِّذونَ الليلَ عَليهِ لِما فيهِ من بُرودَةٍ؛ فالنّهارُ شَديدُ الحرارةِ في البَوادي، وكُلّما قصُرَ النّهارُ كانَ أفضَلَ عندَهم .

(٥) انفردَ به الحربيُّ، انظر كتاب المناسك وأماكن طرق الحجّ، ص ٦٠٣ .

تَخريجُ الأبيات :

المرزوقي ٣/١٢٤٠-١٢٤١، والتّبريزي ٢/١٠١-١٠٢ للصِّمَّة القشيريّ، وهي كذلك في اللسان (عرر) له عن ابنِ برّي، والتّاج (عرر)، وفي (ضَمر) قالَ الصّاغانيّ: "هكذا أنشده له المرزوقيّ، والصّحيح أنّه لِجَعْدَةَ بْنِ مُعاويةَ بنِ حَزْنِ العُقَيْلِيّ". المناسك وأماكن طرق الحجّ /٣١٨، ٦٠٣، محاضرة الأبرار ٢/٧٩، الحنين إلى الأوطان/٢٤، رغبة الآمِل ٧/١٥، وفي مَعاهد التّنصيص ٣/٢٥٠ نسبَ الأبياتَ إلى الصِّمَّةِ القُشَيْرِيّ، وقالَ بعدَ أنْ ساقَها: "وقيلَ: الأبياتُ لِجَعْدَةَ بْنِ مُعاوِيَةَ بْنِ حَزْمٍ العُقَيْلِيّ"، تاج العروس (الغِمار)، أمالي القالي ١/٣٣، سمط اللآلي ١/١٤٠، ٢/٧٦٣، المدهش/١٨٥، معجم البلدان (الضِّمار، المنيفَة)، وزَهر الآداب ٣/١٠٣، والوساطة/ ٣٤ بدون عَزْو، الحماسة البصريّة ٢/١٠٩ منسوبةً لَمَعْقَل بْنِ جَناب أوْ لِجَعْدَة بْنِ مُعاوِيَة، الزَّهرة/٦٠، المثل السّائر ١/١٧٤، وانظر العرب/ ١٦٦-١٦٧، المرشد إلى فهم أشعار العرب ١/٣٥٨، شُعراء قُشَير ٢/١٧٩، ديوانه/ ٧٨ .

وقد وهم البكريُّ في السِّمطِ، فقالَ بعدَ أنْ ذكَر البيتَ الأوّل منها: "أنشدَه أبو تمّام للصِّمَّةِ بْنِ عبد اللهِ القُشَيريّ والدِ دُرَيد" (سِمط اللآلي، ١ ص ١٤٠) .

{ ٢٠ }

{ الطّويل }

١ وَهَلْ تَجْـــزِيَنّي العامِرِيَّةُ مَوْقِفي عَلى نِسْوَةٍ بَيْنَ الْحِمَى وَغَضا الْجَمْرِ[١]

٢ مَرَرْنَ بِأَسْبابِ الصِّبا ، فَذَكَرْنَها فَأَوْمَـأْتُ ، إِذْ ما مِنْ جَوابٍ وَلا نُكْرِ[٢]

تَخريجُ الأبياتِ :

الأغاني ٥/ ٢٩٢، مهذب الأغاني ١٨٦/٤، العـــرب / ١٦٥، شـــعراء قشـــير ١٨٣/٢، ديوانه/٨٤

(١) الأغاني وديوانه وشعراء قشير (هَلْ تَجزيَنّي) عَلى حَذْفِ المتحرِّكِ الأوّلِ من فَعُولن، وكذا ديوانه. العامريَّةُ هُنـا هيَ ريّا، وهذا هُو اسْمُها في الرّوايةِ التي ساقَها أبو الفرجِ في أغانيهِ، وتَمامُ اسمِها: العامِريَّةُ بنْتُ غُطَيْـفِ بْـنِ حَبيبِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فهي إذاً ابنَةُ عمِّهِ البعيدِ. والشّاعرُ هُنا يُذَكِّرُها بما كانَ من أمْرِهِ إذِ استَمَعَ إلى نِسْـوَةٍ يَذْكُرْنَها في حُضورِهِ؛ فَما كانَ منهُ إلاّ أنْ ظلَّ واجِمًا دونَ أنْ يؤكِّدَ ما حَكَيْنَهُ عن علاقتِهِ بِها، ودونَ أنْ يَنْفِـيَ ذلكَ .

الْحِمَى: لعلَّهُ يُريدُ حِمَى النِّيرِ وقد تقدَّمَ ذِكْرُه، ولا شكَّ في أنَّ الْحِمَى يُطْلَقُ مُجَرَّدًا على أيِّ جُزْءٍ مِن حِمَـى القبيلَةِ، أمّا الْغَضا، فَنَباتٌ من نَباتِ الرَّمْلِ لَهُ هُدْبٌ كَهُدْبِ الأرْطى، ويَدومُ جَمْرُهُ حينَ يُشْعَلُ طَويلاً (اللسـان: غضا) .

(٢) أسْباب الصِّبا: ذِكرياتُ الصِّبا وحَوادِثُه (اللسان: سبب)، والإيماءُ أنْ يصْدُرَ عن الإنسانِ الْمُوْمِـئِ فِعْـلٌ لا كَلامٌ؛ يَشي بِما يُريدُ إيجابًا أو رَفضًا وإنْكارًا، وبعضُ الإيماءاتِ تَحتَمِلُ الأمْرَيْنِ مَعًا مثل حَرَكة العُنُقِ بالرَّأسِ إلى أسْفَلَ وأعْلى؛ فدلالَتُها تعتَمِدُ على مُلاحَظَةِ البَدْءِ باتِّجاهِ حَرَكةِ الرَّأسِ لأيِّ جِهَةٍ كانتْ أوْلاً. وقد كانَ من عادَةِ بعضِ الشُّعَراءِ نُكْرانُ أسْماءِ صُوَيْحِباتِهِم، وهذا هُو المشهورُ من أمر العبّاسِ بْنِ الأحْنَفِ وصاحِبَتِه (فَوز) .

(٢١)

{ الطّويل }

١ تَعـزَّ بِصَبْرٍ ، لا وَجَدِّكَ لا تَرى — سَنامَ الْحِمَى أُخْرى اللّيالي الْغَوابِرِ (١)

٢ كَـأنَّ فؤاديْ مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى — وَأَهْلَ الْحِمَى ، يَهْفو بِهِ رِيشُ طائِرِ (٢)

تَخريجُ الأبياتِ :

الأغاني ٥/ ٢٩٣، تَجريـد الأغـاني ق١ج٢/ ٧١٦، تزيـين الأسْـواق ١/ ٢٣١، وفيها أنّ هذا آخرُ ما قالَهُ الصِّمَّةُ قبـلَ أنْ تفيـضَ رُوحُـه. مَعـاهد التّنصيـص ٣/ ٢٥٦، التذكـرة الحمدونيّـة ٦/ ١٥٣، معجـم البلـدان/ سَنام، الـوافي بالوفيـات ١٦/ ١٩٣، الزهرة/١٧٧(لبعض الأَعرابِ)، ديوان ابنِ الدمينة/ ٢٤، العـرب/ ١٦٥، شـعراء قشير ٢/ ١٨٢، ديوانه/ ٨٢. وقد رُوِيَت الأبياتُ للْمَجْنونِ في ديوانِهِ/ ٩٩

---

(١) في الحمدونيّة (بَشامَ الْحِمى إحْدى)، وفي الوافي (لا وَرَبِّكَ)، وديوانه وشعراء قشير (بَشـام). والتَّعَزِّي بـالصَّبْرِ والتَّحَمُّلُ بهِ، والتَّجلُّدُ، والتَّصبُّرُ؛ كلُّها بِمَعْنًى في غايَةِ الأَمْرِ. وسَنامُ الْحِمَى أعلى ما فيهِ من هِضاب على التّشبيهِ بسَنامِ البَعيرِ (اللسان: سنم). قالَ الجاسِرُ: "وقد يقصد الشّـاعر أعـالِيَ الْحِمَـى، وهنـاكَ منـهَلٌ بِقُـرْبِ مـاوانَ في حِمَى الرَّبذَة، وهو بعيدٌ عن بِلادِ الشّاعر" (العرب/ ١٤٦)..

وقالَ ياقوت: "قالَ نَصْر: سَنام اسـم جبَل قريب من البصرَة يَراهُ أهلُها من سُطوحِهم، وفي بعض الآثار أنّه يَسـيرُ مع الدَّجّال. وسَنام أيضًا جَبَل بـين مـاوانَ والرَّبـذة. وسَـنام أيضًـا جَبَـلٌ لِبَـني دارم بـينَ البَصْـرَة والْيَمامـة؛ قـالَ بعضُهم... وحدَّثَ محمّد بن خلف [عَنْ] وكيعٍ، ورفعه إلى رَجُل من أهل طَبَرِسْتانَ كبيرِ السِّنِّ؛ قالَ: بيْنَما ..."، ويذكُر قِصَّةَ موتِ الصِّـمَّةِ، ويُوْرِدُ البيْتَيْنِ له (البلدان: سَنام) .

أمّا الْبَشامُ؛ فَهُوَ شَجَرٌ طَيِّبُ الرِّيحِ والطَّعْمِ يُسْتاكُ بِهِ، واحِدَتُه بَشامَة (اللسان: بشـم). وأمّـا الْحِمـى فقـد تقـدَّم ذِكْرُه. والليالي الْغَوابِر: الليالي الباقِيَةُ – الْمُتَبَقِّيَةُ (اللسان: غبر)، وهو يقصد أنّه لَنْ يَراها أبدَ الدَّهْرِ في ما تبقّى له من أيّام .

(٢) في الوافي (وَأَهْلِ الْحِمَى). هَفا الطّائرُ بجَناحَيْهِ: أي خَفَقَ بِهِما وطارَ (اللسـان: هفا)، وهو هُنا يُصـوِّرُ بالتّشـبيهِ ما يُصيبُ قَلْبَهُ من تَسارُعٍ في النَّبْضِ حينَ يتذكَّرُ الْحِمَى وساكِنيهِ؛ أي رُبّا .

(٢٢)

{ البسيط }

١ إِذا نَأَتْ لَمْ تُفارِقْني عَــلاقَتُها وَإِنْ دَنَتْ فَصُدُودُ العاتِبِ الزّاري [١]

٢ فَحالُ عَيْنِي مِنْ يَوْمَيْكِ واحِدَةٌ تَبْكِي لِفَرْطِ صُدُودٍ ، أَوْ نَوى دارِ [٢]

تَخريجُ البَيْتَيْنِ :

الأغاني ٥/ ٢٩٤، مهذّب الأغاني ٤/١٨٧، والثّاني في التّذكرةِ الحمدونيّة ٦/١٨٧، العرب/ ١٦٥، شعراء قشير ٢/١٧٨، الغزل عند العرب/٤٥، دِيوانه/٧٧

(١) نَأَتْ: بَعُدَتْ ورَحَلَتْ، أو رَحَلْتُ عَن دِيارها بَعْدَ صَدِّها، والأَوْلى بَعُدَت ورَحَلتْ لِما يُقابِلُها في عَجُزِ البيتِ (وإنْ دَنَتْ)، أمّا (صُدود) فتَحْتَمِلُ الضَّمَّ والفَتْحَ بِحَسَبِ تقديرِ ما قَبْلَها؛ فعلى الفَتحِ يَكونُ التّقديرُ: (فإِنَّها تَصُدُّ صُدودَ العاتِبِ)؛ أي على المفعوليّةِ، وعلى الضَّمِّ يَكونُ التّقديرُ: (فَإِنَّ دُنُوَّها صُدودُ العاتِبِ). والعاتِبُ والمُعاتِبُ بمَعْنًى، أمّا الزّاري؛ فاللائِمُ الشّديدُ اللَّوْمِ؛ الذي في لَوْمِه تَجْريحٌ (اللسان: زرى) .

(٢) في التّذكرة الحمدونيّة: (تَخْتالُ عينِيَ في يَوميك واحدةٌ)، وفيه تَصحيفٌ وتَحريفٌ ظاهِران، وفي ديوانِه (فَحالُ عَيْنَيَّ)، وقد آثَرْنا الرِّوايةَ الأُخرى لأنَّ قَوْلَهُ (تَبْكي) في عَجُزِ البيْتِ يؤكِّدُ هذه الرِّوايةَ، إذْ لَو كانتْ كَما في ديوانِه لاقتَضى النَّظْمُ (تَبْكِيانِ)، وقد جاءت هذه الرِّوايةُ في الأغاني (٦/٦) ! وفَرْطُ الصُّدودِ: شِدَّتُهُ والإفراطُ فيهِ إمْعانًا في الإيلامِ (اللسان: فرط)، أمّا النَّوى فَهُوَ البُعْدُ والارْتِحالُ (اللسان: نوى) .

(٢٣)

{ الطّويل }

١ خليليَّ ، هَلْ يُسْتَخْبَرُ الأَثْلُ والْغَضا ... وَنَبْتُ الرُّبا مِنْ بَطْنِ وَدَّانَ ، والسِّدْرُ[(١)]

٢ وَهَلْ يَلْتَقي -لا بَعْدَما قَدْ تَصافَيا- ... خَليلانِ بانا لَيْسَ بَيْنَهُما وِتْرُ[(٢)]

٣ نَأَتْ بِهِما دارُ الْهَوى وَتَراقَيا ... ذُرَى الضِّغْنِ حَتّى لَجَّ بَيْنَهُما الشَّرُّ[(٣)]

٤ إذا بِنْتِ، إلاّ ما عَدا النَّأْيُ بَيْنَنا ... وَبَيْنَكِ، لَمْ يَلْزَمْكِ ما فَعَلَ الدَّهْرُ[(٤)]

تَخريجُ الأبياتِ :

الأشباه والنظائر ٢/ ٢٥٤، العرب/ ١٦٦، شعراء قشير ٢/١٥٠، ديوانه/٧٠

(١) الأَثْلُ والْغَضا نَباتانِ من نَباتاتِ الرَّمْلِ، ونبتُ الرَّمْلِ عادةً ما يَكونُ مُسْتَدِقَّ الأغْصانِ سِوى السِّدْرِ الذي يَكونُ شَوْكِيًّا. أمّا وَدّان فقالَ في أمرِهِ الْحَاسِرُ: "ودّانُ كَما هُوَ معروفٌ يَقَعُ بِقُرْبِ ساحِلِ البَحرِ الأحْمَر، بينَ رابِغ ويَنْبُع، وهو إلى الأُولى أقربُ، وهو بَلَدُ الشّاعر نُصَيْب، ومن الْمُسْتَبْعَد أنْ يذكُرَه الصِّمَّةُ لِعَدَمِ صِلَتِه به، ونَرى أنَّ الْمَقطوعَةَ ليسَتْ للصِّمَّة" (العرب/ ١٥٠) .

قالَ ياقوت بَعْدَ أنْ يَذكُرَ بَلَدَ نُصَيْب: " ... ووَدّانُ أيضًا: جبَلٌ طَويلٌ بَيْنَ فَيْد والْجَبَلَيْنِ" (البلدان: ودّان)، وفَيْد كَما يَذكُر ياقوت: " أَكَرَمُ نَجْدٍ؛ قَريبٌ مِنْ أجَأ وسَلْمى جَبَلَيْ طَيِّئٍ" (البلدان: فيد)، وهو عَلى هذا عَلى حُدودِ دِيار قُشَيْر، وَمِمّا يؤكّدُ ذلكَ ما وردَ في المقطوعَةِ التاليةِ من ذِكْرِ شيحَةِ الرَّمْلِ، وأنّها ماءةٌ شرقِيَّ فَيْد (انظر هامش ١ في المقطوعةِ التالية) .

(٢) في مختلَف النّصوصِ (يَتَّقِي)، وأظُنُّ روايَتَها باللامِ أدقَّ لِما يقتضيهِ مَعنى عَجُزِ البيتِ والأبياتِ التي تَليهِ. والْوِتْرُ: الضِّغْنُ والثّأرُ .

(٣) تَراقَيا ذُرى الضِّغْنِ: صَعَّدا حَتّى بَلَغا قِمَّةَ الْكَراهيَة، ولَجّا في الْخُصومَةِ والتَّضاغُنِ حَتّى استَحْكَمَ الشَّرُّ بيْنَهُما، ومن المعروفِ أنّ الحَبيبَيْنِ إذا افترقا عَلى خُصومَةٍ، وتَناءَتْ بِهِما الدِّيارُ، ولَمْ تَجْدِ الأيّامُ بلقائِهِما لِيَتصافَيا، ازْدادَت نَوازِعُ الذّاتيَّةِ في نفسَيْهِما، واستَحْكَمت مَشاعِرُ اللّدادَة .

(٤) فِعْلُ الدَّهْرِ: تَفريقُ الأَحِبَّةِ والْجَوْرُ عليهِم، والشّاعرُ يُزيحُ عَن حبيبَتِه وِزْرَ هذا الفِراقِ، وينسُبُه للدَّهْرِ وصُروفِ الأيّام .

{ الطّويل }

١ وَلَمّا نَزَلْنا شِـيحَةَ الرَّمْلِ أَعْرَضَـتْ ... وَلاحَتْ لَنا حُزْوَى وَأَعْـلامُها الْغُبْرُ (١)

٢ شَـرِبْنا بِماءِ الشَّـوْقِ حَتّى كَأَنَّمـا ... سَرَتْ فَاسْتَقَرَّتْ في مَفاصِلِنا الْخَمْرُ (٢)

٣ وَظَـلَّ بِعَيْنَيْكَ اللَّـجُوجَيْنِ واكِـفٌ ... مِنَ الدَّمْعِ أَنْ لا يَنْـطِـقَ الطَّلَلُ الْقَفْرُ (٣)

٤ عَلامَ تَقولُ: الْهَجْرُ يَشْفِي مِنَ الْجَوَى ... أَلا لا، وَلَكِنْ أَوَّلُ الْكَــمَدِ الْهَجْرُ (٤)

تَخريجُ الأبياتِ :

الحماسة الشَّجَرِيّة ١/٥٤١-٥٤٢، وليسـت في العـرب، شـعراء قشـير ٢/١٥٧، ديوانه/٧٣

---

(١) لَمْ يَذكُرِ الجاسرُ شِيحَةَ الرَّمْلِ، وقالَ ياقوت: " ... قالَ أبو عُبَيد السَّكونيُّ: الشِّحَةُ شَرقِيُّ فَيْد، بينَـهُما مَسيرَةُ يوم وَلَيْلَة، ماءةٌ مَعروفَةٌ تُناوحُ القَيْصومَة، وَهِي أَوَّل الرَّمْلِ ... وَقِيلَ: الشِّيحَةُ بِبَطْنِ الرُّمَـة" (البلـدان: الشـيحة)، وهذا يؤكّدُ نِسبَةَ القصيدَةِ المتقدِّمَةِ للصِّمَّةِ، ولعلَّه يرَجّحُ أنْ تَكونَ المقطوعَتانِ من قصيدَةٍ واحِدَة؛ فَهُما تَتَماثَلانِ في الخصائص التي تُوَحِّدُ بيْنَهُما في الوزنِ والقافيَةِ والرَّويِّ والموضوعِ .

أمّا حُزْوَى، فَلَمْ يَذكُرها الجاسِرُ أيضًا، وقال ياقوت: "مَوْضِعٌ بِنَجدٍ في دِيار تَميم" (البلدان: حُزوى)، ومعروفٌ أنّ دِيار تَميمٍ مُجاورةٌ لِدِيار قُشَيْر .

أعْلامُها الْغُبْرُ: جِبالُها الْغَبْراءُ، والغُبْرَةُ كُدْرَةٌ في اللونِ بينَ الرّمادِيِّ والأحْمَر .

(٢) قَوْلُه (بِماءِ الشَّوْقِ) فيهِ الباءُ زائدَةٌ، ومَخْرَجُه: شَرِبْنا ماءَ الشَّوْقِ، وماءُ الشّوقِ الدُّموعُ الـتي تَنْـهَلُّ بِـها العَيْنـانِ لَحَظاتِ الاشتِياق .

(٣) الْعَيْنُ اللَّجوجُ: تلكَ التي لا تَنْفَكُّ تُطيلُ النَّظَرَ إلى الْمَكـانِ رَغْبَةً في الاسـتِزادَةِ منه لِما يَحمِلُه مـن ذِكرَيـاتٍ عَزيزة، وهيَ العَيْنُ التي لا تَبْرَحُ تَبكي، والواكِفُ: الدَّمْعُ الْمُنْهَمِرُ، وهذا من صِفاتِ السُّحُب (دِيمَةٌ هَطْلاءُ فيـها وَكَفٌ). أمّا قَوْلُهُ: (أنْ لا ينطِقَ الطَّلَلُ القَفْرُ) فهيَ على تقديرِ التَّعْليلِ؛ لأنْ لا يَنطِقَ؛ أي لِعَدَمِ نُطْقِ الطَّلَلِ القَفرِ .

(٤) هذا خِطابٌ من الشّاعرِ لِنَفْسِه؛ فادِّعاءُ أنَّ الهجْرَ يَشفي مـن الْجَـوى إنّمـا تُعَلِّـلُ بِـهِ النَّفْـسُ لِيَـهْدَأَ أُوارُهـا، ولا يتفطَّنُ العاشِقُ لِمِثْلِ هذا إلاّ بَعْدَ أنْ يذوقَ لَواعِجَ الفرْقَةِ والبُعْدِ، فيكونُ الْهَجرُ آلَمَ وأقْسى .

(٢٥)

{ الطّويل }

١ أُكَرِّرُ طَرْفِي نَـحْوَ نَجْدٍ وَإِنَّني إِلَيْهِ ، وإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الطَّرْفُ، أَنْظُرُ[١]

٢ حَنِينًا إِلى أَرْضٍ كَأَنَّ تُرابَها إِذا مُطِرَتْ عُودٌ وَمِسْكٌ وَعَنْبَرُ

٣ بِلادٌ كَأَنَّ الأُقْحُوانَ بِرَوْضَةٍ وَنَوْرَ الأَقاحِيْ وَشْيُ بُرْدٍ مُحَبَّرُ[٢]

٤ أَحِنُّ إِلى أَرْضِ الْحِجازِ وَحاجَتِيْ خِيامٌ بِنَجْدٍ دُونَها الطَّرْفُ يَقْصُرُ

٥ وَما نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنافِعِيْ أَجَلْ لا ، وَلكِنّيْ إِلى ذاكَ أَنْظُرُ

٦ أَفِيْ كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةٌ ثُمَّ عَبْرَةٌ لِعَيْنِكَ مَجْرَى مائِها يَتَحَدَّرُ

٧ مَتَى يَسْتَرِيحُ القَلْبُ؟ إِمّا مُجاوِرٌ بِحَرْبٍ ، وَإِمّا نازِحٌ يَتَذَكَّرُ[٣]

تَخريجُ الأبياتِ :

معجم البلدان (نَجد)

---

(١) واضِحُ أنّ الشاعر قالَ هذه الأبياتَ وهو بَعيدٌ عَن دِياره، وهو يوضِّحُ في نَهاية الأبياتِ أنّها قِيلَتْ بَعدَ أن التَحقَ بالْجُنْدِ المقاتِلينَ، وقولُهُ: (وَإنْ لَمْ يُدْرِكِ الطَّرْفُ) دالٌّ عَلى أنّه ينظُرُ ناحِيَةَ نَجْدٍ من مَكانٍ بَعيد، وأنّ مَدى بَصَرِه لا يَبْلُغُ أنْ يُدْرِكَ نَجْدًا، لكنَّهُ يُديمُ النَظَرَ وَإنْ لَمْ يُدْرِك، فَهُو إنّما جهْدُ الْمُشْتاق .

(٢) هكذا وردَ البيتُ (بِرَوضة)، ولعلّها (بِرَوْضِهِ)، وتَكونُ الهاءُ هُنا عائدَةً على الأقحوانِ نفسِهِ، والْوَشْيُ: الزِّينَةُ التي تُصْطَنَعُ في القِماشِ بِأنْ تُدْخَلَ خُيوطٌ بألْوانٍ اخرى عَدا لَوْنِ الْخَلْفِيَّةِ ذي النِّسْبَةِ الْكُبْرى، وتُحاكُ بأشْكالٍ جَميلَةٍ (اللسان: وشي). والْبُرْدُ القِماشُ أو الثَّوْبُ، أمّا التَّحْبيرُ فَأنْ تكونَ الألْوانُ الْمُدْخَلَةُ عَلى اللوْنِ الأصْليِّ عَلى هَيْئَةِ خُطوطٍ عَريضَةٍ (اللسان: حبر)، وقد كانتِ اليَمَنُ تُشْتَهَرُ بمثلِ هذه البُرودِ .

(٣) الْمُجاورُ بالحَرْبِ: الْمُقاتِلُ الذي فُرِضَ في الْجُنْدِ فَلا يُبارحُ فِرْقَتَهُ حَتّى تَنْتَهيَ المهِمَّةُ التي تَوجَّه الجيشُ إليْها، والنّازحُ: الْمُغْتَرِبُ عَنْ دِيارِهِ قَهْرًا، وهو الذي بَعُدَتْ عَلَيْهِ الشُّقَّةُ عَنْ وَطَنِه واهْلِه، وتقاذَفَتْهُ الدُّروب .

{ البسيط }

١ إنَّ الكَريمَ وَإنْ أربَتْ خَــلائِقُهُ ما لَمْ يَجُدْهُ بِأَدْنى وَبْلِهِ اليُسْرُ [١]

٢ يَرْنو بِطَرْفٍ كَليلِ اللَحْظِ خاشِعِهِ كَأَنَّهُ مُــذْنِبٌ قَدْ فاتَهُ عُذْرُ [٢]

٣ إذا ذَوُو المالِ عَــنُّوا في مُناقَلَةٍ أَلْفَيْتَهُ وانِيًا في باعِــهِ قِصَرُ [٣]

تَخريجُ الأبياتِ :

أمالي اليزيدي/ ١٥٠ عن عَمِّهِ الفَضْل، وكذلك في المراثي له/ ٣١٢، وليست في العربِ ولا دِيوانِه. ويبدو أنَّ الصِّمَّةَ قالَ هذه الأبياتَ على أثرِ ما حصلَ بينَ أبيهِ وعمِّهِ في مَهْرِ رَيّا مِنْ مُلاحاةٍ ومِحاك .

---

(١) أرْبَتْ: زادَتْ وَفَضُلَتْ عَلى غَيْرِها (اللسان: ربا)، والخَلائِقُ: الخِصالُ والطِّباعُ (اللســان: خلق)، ومنـها قـولُ زُهَير: (وَمَهْما تَكُنْ عِنْدَ امرئٍ مِنْ خَليقَةٍ وَإنْ خالَها تَخْفى عَلى النّاسِ تُعْلَمِ). وجادَهُ اليُسْـرُ: وَصَلَهُ بالنِّعْمَةِ وزادَه لِينَ مَعاش، والوَبْلُ في أصْلِهِ لِلْغَيْثِ، وينبَغي مُلاحَظَةُ ارتباطِ الخَيرِ واليَسار والكَرمِ والجُـودِ عنـدَ العـربِ بالماءِ والمَطَرِ والحَيا والغَوْث .

(٢) كَليلُ اللَحْظ: الذي لَمْ يُدِمْ نَظْرَتَه طَويلاً، ولَمْ يَنظُر بإنْعام وكأنَّه في بَصَرِه عِلَّةٌ مَـا تَمْنَعُـه مـن ذلـك (اللســان: كلل)، وخاشِعُ البَصَر: الذي تَظْهَرُ في نَظرَتِه الذِّلَّةُ والمَسْكَنَة؛ وكأنَّهُ يُحسُّ نقصانَ قَدْره عَمَّنْ حَوْلَـه (اللســان: خشع)، كالمُذْنِبِ المُقِرِّ بِذَنْبِه حينَ لا يَمْلِكُ ما يعْتَذِرُ به عَن زَلَّتِه .

(٣) ذَوو المالِ: أصحابُه من المُوسِرينَ، وهو يقصد هُنا أباهُ وَعَمَّه. عَنّوا: لَجُّوا في المِحاكِ وصعَّبوا الأمْرَ (اللســان: عَنى)، والمُناقَلَةُ: نَقْلُ المالِ من أحَدِهِم إلى الآخَر (اللسان: نقل). والواني: الواجِمُ العاجِزُ (اللسان: وَنى) .

[٢٧]

{ الطّويل }

١ فَإِنْ تُنْكِحوها عامِرًا لِاطّلاعِكُمْ ... إِلَيْهِ ، يُدَهْدِهْكُمْ بِرِجْلَيْهِ عامِرُ [(١)]

تَخريجُ البَيْتِ :

قالهُ يَهجو عامِرَ بْنَ بِشْرِ بن أبي بَراء بْنِ مالكِ بْنِ مُلاعِبِ الأَسِنَّةِ بْنِ جَعْفَرَ بْنِ كِلابٍ الّذي خَطَبَ ريّا ثُمَّ تَزَوَّجَها، وكانَ قَصيراً قبيحاً، ويُحَذِّرُ قَوْمَهُ (عَمَّهُ) من مَغَبَّةِ هذا الزّواج؛ لأنَّ عَمَّهُ كانَ يَتَطَلَّعُ إلى مَقامِ عامِرٍ في قَوْمِه، ويَطْمَعُ في مَالِه. الأغاني ٥/ ٢٩٢، مختار الأغاني ٦/٥٦، العرب/ ١٦٦، شُعراء قُشَير ٢/ ديوانه/٧٢

(١) اطَّلَعَ إِلَيْهِ، وَتَطلَّعَ إِلَيْهِ: تَقَرَّبَ منهُ لِحاجَةٍ في نَفْسِهِ وهو يُحِسُّ في نفسِهِ نقصًا عَنْ مَنْزِلَتِهِ وقَدْره (اللسان: طلع)، أمّا قولُهُ: (يُدَهْدِهْكُمْ)، فَمَعناهُ يُدَحْرِجكم بقَدَمَيْهِ كالْكُرَةِ؛ أي أنَّ نتيجَةَ هذا الزّواجِ ستَكونُ شائِنَةً لَكُم جَميعًا (اللسان: دَهْدَه) .

قافيةُ السِّين

(٢٨)

{ الطّويل }

١ كُلِي التَّمْرَ حتّى يُصْرَمَ النَّخْلُ واضْفُرِي   خِطامَكِ، ما تَدْرِينَ ما اليَوْمُ مِنْ أَمْسِ[١]

تَخريجُ البيت :

قالَه في زَوْجِهِ جَبْرَةَ بِنتِ وَحشِيِّ بْنِ قُرَّةَ. الأغاني ٥/ ٢٩٢، مُختـــار الأغـــاني ١٥٧/٦، العرب/ ١٦٧، شعراء قُشير ٢/٢١٥، ديوانه/٨٥

---

(١) في ديوانه وشعراء قشير(كُلِي التَّمْرَ حتّى تَهْرَمَ). يُصْرَمَ النَّخْلُ: يُقْطَع ويُجتَثُّ (اللسان: صرم)، والضَّفْرُ: الفَتْلُ: وهو يَكونُ في الحِبالِ بأنْ تُجْعَلَ كالضَّفائرِ من شَعرِ المرأَة، تُجْدَلُ الخصائِلُ منه وتُداخَلُ بِلَـــيٍّ إحْداهـــا علـــى الأُخرى، ثُمَّ تُدْخَلُ الثالثةُ وتُلوى، وهكذا، ثُمَّ يُربَطُ طَرَفُ الثّلاثِ الْخصائلِ مَعًا، وهذا أمْتَـــنُ للحَبْـــلِ. أمّـــا الْخِطامُ، فَكلُّ حَبْلٍ يُعَلَّقُ في حَلْقِ البَعيرِ ثُمَّ يُعْقَدُ عَلى أنْفِه لِيُساقَ به (اللسان: خَطم)، وكأنّه يشـــبِّهُها بالنّاقـــةِ لِجَهْلِها واهتِمامِها حَسْبُ بالطّعامِ والشّرابِ، ولهذا وصفَها بأنّها لا تُحسُّ بالزّمنِ وما يَجري من حَوْلِـــها، وفي هذا تَلميحٌ بأنّها لا تكترِثُ لِما يُحسُّ هُو من حُبِّه امرأةً سِواها .

قافيةُ العَيْن

(٢٩)

{ الطَّويل }

١ خَليلَيَّ، عُوجا مِنكُما اليَوْمَ أوْدَعا تُحَيِّ رُسُومًا بِالقُبَيْبَةِ بَلْقَعا (١)

٢ أَرَبَّتْ بِها الأرْواحُ حَتّى تَنَسَّفَتْ مَعارِفُها، إلاّ الصَّفيحَ المُوَضَّعا (٢)

٣ وَغَيْرَ ثَلاثٍ في الدِّيارِ كأنَّها ثَلاثُ حَماماتٍ تَقابَلْنَ وُقَّعا (٣)

---

(١) عُوجا: من عاجَ: إذا مَرَّ في طريقِهِ بالمَكان فأقامَ عِندَه قليلاً (اللسان: عاجَ)، رُسومُ الدّار: ما كانَ مِن آثارِها لاصِقًا بالأرْضِ (اللسان: رسمَ)، والمَكانُ البَلْقَعُ: الخَالي المَهجورُ (اللسان: بلقَع) .

أمّا القُبَيْبَةُ؛ فَواحِدَةُ القُبَيْباتِ، قالَ الجاسِرُ: "وردَ هذا الاسمُ في أوّل القصيدة العينيّة من كتاب المنازل والدّيار، لأسامة بن منقذ، وهو بيت يدلُّ ضَعْفُه على أنّه مصنوع ليسَ من شِعر الشّاعر، وأنّ أحدَهم رأى القصيدةَ ناقصةً من أوّلِها، فأوْجَدَ لَها هذا البيْتَ الرَّكيكَ اللفظِ، الضّعيفَ المَعنى، ليكونَ مَطْلَعًا لَها" (العرب: ١٤٩) .

وقد وهم الجاسِرُ حينَ مالَ إلى هذا الرّأي، وذهب في هامش الصفحة (١٦٧) إلى تأكيدِ هذا بقولِه: "وأنا أرى أنّ هذا ليس من شِعر الصِّمَّة، وإنّما وضَعَه (؟) أحَدُ النَّقَلَة، ويدلُّ على هذا ذِكْرُ (القُبَيْبَـة)؛ فليسَ من المواضع التي يذكُرُها الصِّمَّةُ في شِعرِه، و ع ضعفٍ في تركيبِ البيت"، وهذا مِقياسٌ لا شكَّ ضعيف، فهناكَ أماكنُ كثيرةٌ أخرى يَذكُرُها الشّاعرُ مرَّةً وَحيدَةً في شِعرِه أيضًا غير القُبَيْبَة .

ولَمْ أجِدْ للقُبَيْبَةِ ذِكْرًا في مصادِرِ البلدان، وإنّما وقفتُ على القُبَيْباتِ عندَ ياقوتٍ حيثُ قالَ: "والقُبَيْباتُ مَحَلَّةٌ ببغداد، وماءٌ في مَنازل بَني تَميم، وموضِعٌ بالحِجاز" (البلدان: القبيبات)، وغيرُ خَفيٍّ ما بيْنَهما من احتِمالِ لبس في النَّسْخِ، لا سِيَّما إذا كُتِبَت هكذا (القُبَيْبـت)، والشّاعرُ يذكُرُ مِياهًا أخرى ليسَت في دِيار قُشَير، وبعضُها يَقَعُ في دِيار تَميم .

(٢) أرَبَّتْ: دامَتْ (اللسان: ربب)، الأرْواحُ: جَمْعُ ريح عَلى أصلِه بالواو (اللسان: راح)، تنسَّفَتْ: انتسَفَت الرّيحُ الشّيءَ كأنّها سَلَبَتْهُ مَعالِمَه (اللسان: نسف)، المعارِفُ: المعالِمُ (اللسان: عرف)، الصّفيحُ المُوَضَّع: الحِجارَةُ العريضَةُ المتكسِّرَةُ المتناثِرَةُ هُنا وهُناكَ (اللسان: صفح) .

(٣) يقصِدُ الأثافيَّ؛ وهي الحِجارَةُ الثّلاثُ التي تُوضَعُ حولَ مَوْقِدِ النّار لِيُوضَعَ القِدْرُ عليها وتُوقَدَ النّارُ؛ وعادةً ما تَكونُ سُفْعًا من سُخام النّار، فكأنّها حَمائِمُ سودٌ تَقابَلْنَ، أمّا وُقَّعا، فتَحْتَمِلُ المُواقَعَةَ أي الموافَقَة والمماثَلة، وتَحتَمِلُ وُقوعَها في ذلكَ المكانِ مَعًا، ومنه قولُهم: (إنّ الطّيورَ على أشكالِها تَقَعُ) .

٤ أَمِنْ أَجْلِ دارٍ بِالرَّقاشَيْنِ أَعْصَفَتْ ... عَلَيْها رِياحُ الصَّيْفِ بَدْءًا وَرُجَّعا[١]
٥ بَكَتْ عَيْنُكَ اليُسْرى، فَلَمّا زَجَرْتَها ... عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ، أَسْبَلَتا مَعا[٢]
٦ وَلَمْ أَرَ مِثْلَ العامِرِيَّةِ قَبْلَها ... وَلا بَعْدَها يَوْمَ ارْتَحَلْنا مُوَدِّعا[٣]
٧ تُرِيكَ غَداةَ البَيْنِ مُقْلَةَ شادِنٍ ... وَجِيدَ غَزالٍ فِي القَلائِدِ أَتْلَعا[٤]
٨ وَما أُمُّ أَحْوى الْجُدَّتَيْنِ خَلا لَها ... أَراكٌ مِنَ الأَعْرافِ أَجْنَى وَأَيْنَعا[٥]
٩ غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَما ... رَأَتْ حاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوى وَتَرَفَّعا
١٠ بِأَحْسَنَ مِنْ أُمِّ الْمُحَيّا فُجاءَةً ... إِذا جِيدُها مِنْ كِفَّةِ السِّتْرِ أَطْلَعا[٦]
١١ وَلَمّا تَناهَبْنا سِقاطَ حَدِيثِها ... غِشاشًا، وَلانَ الطَّرْفُ مِنْها فَأَطْمَعا[٧]

---

(١) الرَّقاشانِ: عَمودانِ طَويلانِ من الْهَضْبِ (البلدان: الرّقاشان)، أَعْصَفَتْ: عَصَفَتْ في لُغَةِ بَني أَسَد (اللسان: عصف)، بدءًا ورُجَّعا: كأنّها دامَت على العَصْفِ بِها زَمنٌ طَويلاً، وهو تفسيرُ قولِهِ (أَرَبَّتْ) قَبْلُ .

(٢) اختَلَفت الرِّواياتُ كَثيرًا في هذا البيْتِ بيْنَ (اليُسْرى)، و (اليُمْنى)، وقد تقدَّمَ الحديثُ عَن مِثْلِ هذا الاختِلافِ في الكلامِ عَلى مسأَلَةِ كَوْنِ الشّاعر أَعْوَرَ أَمْ لا، فلْيُنْظَر. أَسْبَلَتا: انْهَلّتا بالدَّمْعِ المتواصِلِ (اللسان: سبل) .

(٣) العامريَّةُ هيَ بِنْتُ غُطَيفٍ التي تقدَّم ذِكْرُها، وهي ذاتُها ريّا .

(٤) البَيْنُ: الفراق، والشّادِنُ: الصَّغيرُ من الظِّباء (اللسان: شدن)، والجِيدُ: العُنُق (اللسان: جيد)، والأَتْلَعُ: الطَّويل العُنُق (اللسان: تلع) .

(٥) أَحْوى الْجُدَّتَيْنِ: حِمارُ الوحشِ الذي لَهُ خُطَّتانِ سوداوانِ في مَتْنِه (اللسان: جدد)، والأراكُ: شَجَرُ السِّواكِ (اللسان: أرك)، والأَعْرافُ؛ قالَ الجاسرُ: "هذه الأعرافُ تُعْرَفُ بأعرافِ لُبْنى، وتقَعُ في هَضْبٍ يُعرَفُ قديمًا بهضبِ لُبْنى، ويُعرَفُ الآنَ باسمِ الهَضْبِ غَير مُضاف، وقد يُقالُ فيهِ هَضْبُ آلِ زايد؛ لوقوعِه بطرف بِلادِ آلِ زايدٍ الدَّواسر من النّاحيةِ الشّماليَّةِ الغربيَّة" (العرب: ١٤٣)، وفي بلادِ العربِ أَعْرافٌ كثيرَة، وهي جَمْعُ عُرْفَة؛ أي ما ارتَفعَ من الرَّمْل (البلدان: الأعراف، أعراف لُبْنى) .

(٦) أمُّ الْمُحَيّا: كِنايَةٌ عَن ريّا العامريَّة، والفُجاءةُ: الفُجْأةُ، والسِّتْرِ: الْخِباءُ، ويُقالُ للهَوْدَجِ إِنْ كانَ فيهِ ظَعينَة (اللسان: ستر)، والكِفَّةُ: حاشِيَةُ الثَّوبِ من قِماشٍ إمّا مُنْحَدِرَةٌ على أصولِ النَّحْرِ، وإمّا تُحيطُ بالْهَوْدَجِ بحيثُ لا تَظْهَرُ الظَّعينَةُ فيهِ عَلى الآخَرينَ، وما كانَ منها للهَوْدَجِ يُسَمّى الْوَصْواص؛ جَمعُه وَصاوِص .

(٧) سِقاطُ الْحَديثِ: ما كانَ سَريعًا لَمْ تُمْكِنِ الفُرصَةُ منهُ ليَكونَ عادِيًا (اللسان: سقط)، والغِشاشُ: الْعَجَلَةُ .

١٢ فَرَشَّتْ بِقَوْلٍ كَادَ يَشْفي مِنَ الْجَوى تُلِمُّ بِهِ أَكْبادَنا أَنْ تَصَدَّعا (١)

١٣ كَما رَشَّفَ الصّادي وَقائِعَ مُزْنَةٍ رَشاشٍ تَوَلّى صَوْبُها حِينَ أَقْلَعا (٢)

١٤ شَكَوْتُ إِلَيْها ضَبْثَةَ الْحُبِّ بَيْنَنا وَخَشْيَةَ شَعْبِ الْحَيِّ أَنْ يَتَوَزَّعا (٣)

١٥ فَما كَلَّمَتْني غَيْرَ رَجْعٍ ، وَإِنَّما تَرَقْرَقَتِ الْعَيْنانِ مِنْها لِتَدْمَعا (٤)

١٦ كَأَنَّكَ بِدْعٌ لَمْ تَرَ الْبَيْنَ قَبْلَها وَلَمْ تَكُ بِالْأُلّافِ قَبْلُ مُفَجَّعا (٥)

١٧ فَلَيْتَ جِمالَ الْحَيِّ يَوْمَ تَرَحَّلُوا بِذِي سَلَمٍ أَمْسَتْ مَزاحِيفَ ظُلَّعا (٦)

---

(١) رَشَّتْ: بَلَّتْ وَنَضَحَتْ (اللسان: رشش)، الجَوى: الْحُرْقَةُ وشِدَّةُ الوَجْدِ بسببِ العِشْقِ (اللسان: جوى)، وقولُهُ في الشَّطرِ الثّاني يَعني: أنها بقولِها تَقي أَكْبادَنا أنْ تَتَصَدَّعَ .

(٢) يُناسِبُ قولُهُ (رَشَّتْ)؛ فهوَ يُصوِّرُ وَقْعَ حديثِها بتشبيهِ أثرِهِ بما يَفْعَلُ الماءُ للصّادي الذي تَصُوبُهُ مُزْنَةٌ ترشُّ عليهِ قَطْرَها، وقولُهُ (تَوَلّى صَوْبُها)؛ أي تَوالى وعادَ للانْهِمار ثانِيَةً، والصَّوْبُ: نُزولُ الْمَطَرِ (اللسان: صوب) .

(٣) ضَبْثَةُ الْحُبِّ: سَيطَرَةُ الْهَوى عَلى القَلْبِ، فَكَأَنَّهُ يُمْسِكُ به بِقَبْضَةِ يَدِهِ جميعًا (اللسان: ضبث)، وشَعْبُ الْحَيِّ: القبيلَةُ الْمُجتمعةُ في حِمًى واحِدٍ (اللسان: شعب) .

(٤) رَجْعُ الْحَديثِ: ما كانَ مِنْهُ تَرجيعًا؛ أي مُخْتَلِطًا بالبُكاءِ، وفي حالٍ كهذه يتكلَّمُ المرءُ أحيانًا باستِخدامِ هَواءِ الشَّهيقِ لا الزَّفيرِ – كَما هي العادَةُ في الكلامِ العاديِّ ؛ لأنّه يستَخدِمُ هَواءَ الزَّفيرِ للتّخفيفِ مِمّا يُكابِدُهُ، ولهذا سُمِّيَت الزَّفَراتُ .

(٥) الْبِدْعُ: الشّيءُ الذي يَكونُ أوّلَ مرَّةٍ (اللسان: بدع)، والأُلّافُ: جَمْعُ إلْفٍ وهو العاشِقُ والْمَعشوقُ (اللسان: ألف)، والْمُفَجَّعُ مُبالَغةٌ في الفَجيعَةِ؛ الذي تكرَّرت عليهِ الفجيعَةُ بِفراقِ أحبَّتِهِ (اللسان: فجع)

(٦) الْمَزاحيفُ: جَمْعُ مِزْحافٍ، وزَحَفَ البَعيرُ إذا أَعْياه وَكَلَّ وَوقفَ، وجَعَل يَزْحَفُ زَحْفًا عَلى ثَفِناتِه، والظُّلَّعُ: الْعُرْجُ التي تَتَهَلْهَلُ مِشْيَتُها لِطولِ بعضِ قوائِمها عن الأُخْرَياتِ (اللسان: ظلع) .

أمّا ذُو سَلَمٍ؛ فقال الجاسِرُ فيه: "يُطْلَقُ هذا الاسمُ عَلى مواضِعَ عديدةٍ، ولعلَّ الشّاعرَ ارادَ موضِعًا يَكْثُرُ فيهِ السَّلَمُ، ولم يقصد موضِعًا بعيْنِه؛ إذ المواضِعُ المعروفَةُ بعيدةٌ عن مَوْطِنِ الشّاعر" (العرب: ١٤٦) .

قالَ ياقوت: "ذو سَلَم، ووادي سَلَم: بالحِجاز ...، وذُو سَلَم: وادٍ يَنْحَدِرُ يَنْحَدِرُ على الذّنائب، ...، وسَلَم الرَّيّانِ بالْيَمامةِ قريبٌ من الْهِجْرَة، والسَّلَمُ في الأصلِ شجرٌ وَرَقُهُ الْقَرَظُ الذي يُدْبَغُ به، وبهِ سُمِّيَ هذا الموضِعُ" (البلدان: سلم)، وبهذا فلا مسوِّغ لإنكار الجاسِرِ؛ فالشّاعرُ يذكُر أنّهم ترحَّلوا وحلّوا ذا سَلَم، ولم يُرِد أنَّ ذا سَلَمٍ من دِيار قُشَير !

١٨ فَيُصْبِحْنَ لا يُحْسِنَّ مَشْيًا بِراكِبٍ ... وَلا السَّيْرَ في نَجْدٍ وَإِنْ كانَ مَهْيَعا [١]

١٩ أَتَجْـــــزَعُ وَالْحَيّانِ لَمْ يَتَفَرَّقا ... فَكَيْفَ إذا داعِي التَّفَرُّقِ أَسْمَعا [٢]

٢٠ فَرُحْتُ وَلَوْ أَسْمَعْتُ ما بي مِنَ الْجَوى ... رَذِيَّ قِطارٍ حَنَّ شَــوْقًا وَرَجَّعا [٣]

٢١ أَلا يا غُــــرابَيْ بَيْنِها لا تُرَفَّعا ... وَطِيرا جَــمِيعًا بِالْهَوَى وَقَعا مَعا [٤]

٢٢ أَتَبْكِي عَلى رَيّا وَنَفْسُكَ باعَدَتْ ... مَزارَكَ مِنْ رَيّا وَشَــعْباكُما مَعا [٥]

٢٣ فَما حَسَـــنٌ أَنْ تَأْتِيَ الأَمْرَ طائِعًا ... وَتَجْزَعَ أَنْ داعِي الصَّبابَةِ أَسْمَعا

٢٤ كَأَنَّكَ لَمْ تَشْـــهَدْ وَداعَ مُفارِقٍ ... وَلَمْ تَرَ شَــعْبَيْ صاحِبَيْنِ تَقَطَّعا

٢٥ تَحَــمَّلَ أَهْلِي مِنْ قُنِيٍّ وَغادَرُوا ... بِهِ أَهْلَ رَيّـا حِـينَ جِيدَ وَأَمْرَعا [٦]

٢٦ أَلا يا خَـــلِيلَيَّ اللَّذَيْنِ تَواصَيا ... بِلَوْمِي إلاّ أَنْ أُطِــيعَ وَأَضْرَعا

٢٧ قِفا ، إِنَّــهُ لا بُدَّ مِنْ رَجْعِ نَظْرَةٍ ... مُصَعَّدَةٍ، شَتّى بِها الْقَوْمُ، أَوْ مَعا [٧]

---

(١) الْمَهْيَعُ: الطَّرِيقُ الواسِعُ الْمُنْبَسِطُ الذي لا يُرْهِقُ السَّفْرَ (اللسان: هيع) .

(٢) في ديوانه وشعراء قُشَير (والجَبّان)، وداعي التَّفرُّق: الْمُنادي يُنادي بالقَوْمِ أَنْ يترَحَّلوا (اللسان: دَعا) .

(٣) الرَّذِيُّ مِن الإبِلِ: الْمَهزولُ الضَّعيفُ الهالِكُ (اللسان: رذى)، القِطارُ: الإبلُ يُقْطَرُ بعضُها إلى بَعضٍ عَلى نَسَــقٍ واحِدٍ (اللسان: قَطَر) .

(٤) غُرابُ البَيْنِ: هُو الأَحْمَرُ الْمِنقارِ والرِّجْلَيْنِ، ويُتشاءمُ منه لِسَوادِه ونَعيبِه (اللسان: بين) .

(٥) الْمَزارُ: تَحتَمِلُ أَنْ تَكونَ اسْمَ مَكانٍ ومَصْدَرًا من الزِّيارة مِيميًّا، والثّانيةُ أَوْلى، والشَّعْبُ: القَبيلَةُ كَما تقدَّمَ، وفي هذه الأبْياتِ يَلومُ الشّاعرُ نَفْسَهُ عَلى انْتِزاحِهِ عَن دِيارِه، ويُصبِّرُ نفسَهُ بتذكيرِها بأنَّ ما حَدثَ من فِراقٍ كانَ من فِعْلِه لا من فِعْلِها .

(٦) تَحَمَّلَ القَوْمُ من الْمَكان: ارْتَحلوا عَنْهُ (اللسان: حَمل)، وقُنَيٌّ: قالَ الجاسِرُ: "وردَ هذا الاســمُ مُصَحَّفًــا في الأغاني وغَيرِها من كُتُب الأدبِ إلى قُنَيْنٍ، وقُنَيٌّ من بِلادِ الشّاعرِ، ولا يَزالُ مَعروفًا" (العــرب: ١٤٨-١٤٩). قال ياقوت: "قُنَيٌّ من قُرى اليَمامةِ بناحِيَةِ الرَّيْب" (البلدان: قُنَيّ). وقوْلُهُ: جِيدَ وأَمْرَعا؛ فيَعني أنَّ الْجُودَ سَــقاهُ، والجودُ هُو المطر الغزيرُ (اللسان: جود)، وأَمْرَعَ: أَخْصَبَ وأَكْلأَ (اللسان: مرع) .

(٧) صَعَّدَ نَظَرَهُ أو بَصَرَهُ: إذا أطالَ فيهِ وتفحَّصَ ما ينظُرُ إليهِ جيِّدًا (اللسان: صعد) .

٢٨ فَإِنِّي وَجَدْتُ اللَّوْمَ لا يُذْهِبُ الْهَوى ... وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْيَأْسَ أَجْدى وَأَنْفَعا

٢٩ لِمُغْتَصَبٍ قَدْ عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ ... يُسِرُّ حَياءً عَبْرَةً أَنْ تَطَلَّعا(١)

٣٠ تَهِيجُ لَهُ الأَحْزانُ والذِّكْرُ كُلَّما ... تَرَنَّمَ، أَوْ أَوْفى مِنَ الأَرْضِ مَيْفَعا(٢)

٣١ قِفا وَدِّعا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى ... وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنا أَنْ يُوَدَّعا

٣٢ بِنَفْسِيَ تِلْكَ الأَرْضُ، ما أَطْيَبَ الرُّبا ... وَما أَحْسَنَ الْمُصْطافَ والْمُتَرَبَّعا (٣)

٣٣ وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى، ثُمَّ أَنْثَنِي ... عَلى كَبِدي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعا(٤)

٣٤ فَلَيْسَتْ عَشِيّاتُ الْحِمَى بِرَواجِعٍ ... عَلَيْكَ، ولَكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعا

٣٥ مَعي كُلُّ غِرٍّ قَدْ عَصى عاذِلاتِهِ ... بِوَصْلِ الْغَواني مُذْ لَدُنْ أَنْ تَرَعْرَعا(٥)

٣٦ إذا راحَ يَمْشي في الرِّداءَيْنِ أَسْرَعَتْ ... إِلَيْهِ الْعُيونُ النّاظِراتُ التَّطَلُّعا

٣٧ وَسِرْبٍ بَدَتْ لِي فيهِ بِيضٌ نَواهِدٌ ... إِذا سُمْتُهُنَّ الْوَصْلَ أَمْسَيْنَ قُطَّعا(٦)

---

(١) الْمُغْتَصَبُ: المقهورُ عَلى الشَّيْءِ، وفسّره بقولِه: (عَزَّهُ القـومُ أمْرَه)؛ أي أجبَروهُ على أمرٍ لا يُريدُهُ (اللسان: عزز).

(٢) الْمَيْفَعُ: المكانُ الْمُشْرِفُ العالي (اللسان: يفع)، أوْفى: أشْرَفَ ووصَلَ وصَعَد (اللسان: وفى) .

(٣) الْمُصْطاف والْمُتَرَبَّع: الْمَكانُ يُصْطافُ فيهِ ويُتَرَبَّعُ؛ أي يَحُلُّه النّاسُ صيفًا وربيعًا (اللسان: صاف، ربع)؛ وقلَّ أنْ يَجِدَ الإنسانُ أماكِنَ كهذه، فَما يصلُحُ مَصيفًا لا يَحسُنُ مُتَرَبَّعًا في أكثرِ الأحيانِ .

(٤) الانْثِناءُ عَلى الْكَبِد: انْطِواءُ البَطْنِ قليلاً مَع انْحِناءةٍ في الظَّهرِ، ولا يَكونُ ذلكَ إلاّ لطولِ السَّهَرِ وقِلَّةِ اشْتِهاءِ الطَّعامِ والشَّرابِ، ولِما يُعْرَفُ من أنَّ المِعِدَةَ أشَدُّ أعضاءِ الإنسانِ تأثُّرًا بالأحْوالِ النَّفسيَّةِ السيِّئة التي تُصيبُه، فـهي تَكونُ منكمِشَةً في الغالبِ، ويتكرَّرُ حديثُ العاشِقينَ عن الكَبِدِ الْحَرّى والمتصدِّعَة .

(٥) الْغِرُّ من الرِّجال: الْحَديثُ العَهْدِ بالدُّنيا، والْمَغْرورُ أيضًا (اللسان: غرر) .

(٦) السِّرْبُ من الظِّباء: القَطيعُ منها تَسيرُ مَعًا (اللسان: سرب)، وإذا أُطْلِقَتْ عَلى النِّساءِ؛ فَـهيَ على تشبيهِ المرأةِ الحسناءِ بالظَّبْيَةِ في جَمالِها ورشاقَتِها وخِفَّةِ حَرَكَتِها وروْعَةِ التِفاتِها، وفِتْنَةِ عَيْنَيْها، وطولِ عُنُقِها، والبيضُ النَّواهِدُ: الْحِسانُ اللواتي نَهَدَتْ أثداؤهُنَّ؛ أي تَكَوَّرَتْ وارتَفَعت عن صُدورهِنَّ (اللسان: نهد)، والسَّوْمُ: عَرضُ السِّلْعَةِ، وسامَهُنَّ الوَصْلَ؛ أي عَرضَهُ عليهِنَّ (اللسان: سوم) .

٣٨ مَشَيْنَ اطِّرادَ السَّيْلِ هَوْنًا كأنَّما ... تَراهُنَّ بِالأَقْدامِ ، إِذْ مِسْنَ ، ظُلَّعا[١]

٣٩ فَقُلْتُ: سَقى اللهُ الحِمَى دِيَمَ الحَيا ... فَقُلْنَ : سَقاكَ اللهُ بِالسُّمِّ مُنْقَعا[٢]

٤٠ وقُلْتُ : عَلَيْكُنَّ السَّلامُ، فَلا أَرى ... لِنَفْسِيَ مِنْ دُونِ الحِمَى اليَوْمَ مَقْنَعا[٣]

٤١ فَقُلْنَ : أَراكَ اللهُ إنْ كُنْتَ كاذِبًا ... بَنانَكَ مِنْ يُمْنَى ذِراعَيْكَ أَقْطَعا[٤]

٤٢ وَلَمّا رَأَيْتُ النَّيرَ أَعْرَضَ دُونَنا ... وَجالَتْ بَناتُ الشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا[٥]

٤٣ تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتّى وَجَدْتُني ... وَجِعْتُ مِنَ الإصْغاءِ: لِيتًا وَأَخْدَعا[٦]

٤٤ فَإِنْ كُنْتُمُ تَرْجُونَ أَنْ يَذْهَبَ الهَوى ... يَقِينًا، وَتَرْوى بِالشَّرابِ فَتَنْقَعا[٧]

٤٥ فَرُدُّوا هَبوبَ الرِّيحِ، أَوْ غَيِّرُوا الجَوى ... إذا حَلَّ أَلْوادَ الحَشا فَتَمَنَّعا[٨]

٤٦ أَما وَجَلالِ اللهِ لَوْ تَذْكُرِينَني ... كَذِكْرِيكِ ما كَفْكَفْتِ لِلعَيْنِ مَدْمَعا[١]

---

(١) مَشَيْنَ اطِّرادَ السَّيْلِ تَحتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ؛ الأوَّلُ مَشَيْنَ بِمُحاذاةِ السَّيْلِ، والأخَرُ مشَيْنَ مُتدافِعاتٍ مُتَموِّجاتٍ من تَمايُلِهِنَّ مثلَ السَّيْلِ، ومِسْنَ: تَمايَلْنَ مُتَبَخْتِرات (اللسان: ماس)، والظُّلَّعُ: العَرَجُ في المِشْيَةِ (تقدَّم) .

(٢) دِيَمُ الحَيا: سَحائِبُ الخَيْرِ المُحَمَّلة بالمَطر الدّائمِ في سُكون؛ جَمْعُ دِيَمة (اللسان: ديم)، والسُّمُّ المُنْقَعُ: النّاقِعُ الفاتِكُ، وهو السُّمُّ المجتَمِعُ في أَنْيابِ الحيَّةِ (اللسان: نقع) .

(٣) المَقْنَعُ: القَناعَةُ؛ أو ما يَقْنَعُ الإنسانُ به (اللسان: قنع) .

(٤) أيْ: قَطَعَ اللهُ بَنانَكَ من يدِكَ اليُمْنى، وهُوَ دُعاءٌ بِجَذِّ اليَدِ باعتِبار البَنانِ جُزءًا من كُلّ .

(٥) النَّيرُ: تقدَّم الحديثُ عنه في مَطلَعِ تائيَّته، بَناتُ الشَّوْقِ: لَواعِجُ الهَوى والاشتِياق، ونُزَّعا: جَمعُ نازعَة، مائلة وكأنَّها تَوَدُّ الوُثوبَ من الصَّدْر والأحشاءِ نازعةً إلى مَنْ تَهْوى (اللسان: نزع) .

(٦) اللِيتُ: صَفْحَةُ العُنُقِ من أمام (اللسان: ليت)، والأخْدَعان: عِرْقانِ في جانِبَي العُنُقِ (اللسان: خدع)، ومعروفٌ أنّ الإنسانَ إذا أطالَ التلفُّتَ بِلَيِّ عُنُقِهِ ورَفْعِ رَأسِهِ مُتطاولاً لِيُبْصِرَ يَتَوجَّعُ هذان .

(٧) نَقَعَ غَليلَهُ: شَرِبَ حتّى ارتَوى وَشَفى غُلَّته (اللسان: نقع) .

(٨) الألواذ جَمْعُ لَوْذ: وهو المَكانُ المُلْتَجَأُ الذي يَلودُ بِهِ المُلاحَقُ، وألواذ الحشا: يُريدُ بها أنّ الهَوى والجَوى قَد تسرَّبا إلى أحشائه كُلِّها، وامتَزجا بِخلاياهُ فَلَيْسَ إلى نَزْعِهِما سَبيلٌ منه .

٤٧ فَقَالَتْ: بَلَى، واللهِ ذِكْرًا لَوَ آنَّهُ يُصَبُّ عَلى صُمِّ الصَّفا لَتَصَدَّعا[١]

٤٨ فَما وَجْدُ عُلْوِيِّ الْهَوى حَنَّ وَاجْتَوى بِوادِي الشَّرَى والْغَوْرِ ماءً وَمَرْتَعا[٢]

٤٩ رَأى وَهْوَ في رَأْسِ الشَّرَى مُتَمَنَّعًا مَصادِرَ نَجْدٍ والْفَضاءَ فَرَجَّعا[٣]

٥٠ تَشَوَّقَ لَمّا عَضَّهُ الْقَيْدُ واجْتَوى مَراتِعَه مِنْ بَيْنِ قُفٍّ وَأَجْرَعا[٤]

٥١ وَرامَ بِعَيْنَيْهِ جِبالاً مُنِيفَةً وَما لا يَرَى فيهِ أَخُو الْقَيْدِ مَطْمَعا

٥٢ إِذا رامَ مِنْها مَطْلَعًا رَدَّ شَأْوَهُ أَمِينُ الْقُوى عَضَّ الْيَدَيْنِ فَأَوْجَعا[٥]

٥٣ بِأَكْبَرَ مِنْ وَجْدٍ بِرَيّا وَجِدْتُهُ غَداةَ دَعا داعِي الْفِراقِ فَأَسْمَعا

---

(١) الصَّفا: الحِجارَةُ العريضَةُ الْمَلْساءُ (اللسان: صفا)، والصُّمُّ: الصُّلْبُ من الحِجارةِ (اللسان: صمم) .

(٢) عُلْوِيّ الْهَوى: الذي عَلا الهَوى كُلَّه، واجتَوى: لَم تُوافِقْهُ الأرضُ وفكَرِهَ الإقامَةَ فيها، وإن تَوفَّر له فيها ما يَطْمَعُ فيه غَيْرُه (اللسان: جَوى) .

أمّا واد الشّرى؛ فقالَ الجاسِرُ: "هذا كَما يُفْهَمُ من القصيدةِ في الغَوْرِ وليسَ في نَجْد، والشّاعر ذَكَره عَرَضًا" (العرب: ١٥٠)، ولا نَدري لِماذا قالَ مثلَ هذا القول، فالشَّرى كَما روى ياقوت عَن نَصر: "جَبَلٌ بِنَجْدٍ في دِيار طَيِّئ، وَجَبَلٌ بِتِهامة موصوفٌ بِكَثْرَةِ السِّباع" (البلدان: الشّرى) .

(٣) هذا البيتُ وردَ في (صفة جَزيرة العرب: ٣٣٥) منسوبًا للقُشَيْريِّ وحْدَه، وهي صِفَةٌ تَحتَمِلُ كثيرًا من الشّعراء، لكنَّها حينَ تُطْلَقُ هكذا فينبَغي أنْ تَكونَ لأشْهَرِ شُعَراء قُشَير وأشيَعهم ذِكْرًا، ونظنُّ الصِّمَّة كذلك، كَما أنَّ البيْتَ في هذا الْمَكانِ من القصيدَةِ يُزيلُ ما كانَ شبيهًا بالفَصْلِ بيْنَ البيتِ قَبْلَه والبيْتِ بَعْدَه، ولذلك أثْبَتْناهُ، ولَم يُثبِته أحدٌ مِمّن رَوى القصيدَةَ أو درسَها .

(٤) عَضَّهُ القَيْدُ: آلَمَهُ وضيَّقَ عليْهِ؛ فَهُو يُريدُ الانفِلاتَ إلى حَيْثُ مصادر نَجدٍ وفَضاؤه، والقيدُ يَحولُ دونَ ذلكَ، القُفُّ: ما ارتَفَعَ من الأرضِ وغَلُظَ (البلدان: قفّ)، والأجْرَعُ، تقدَّم، وهو الكثيبُ جانِبٌ منه رَملٌ وجانِبٌ حِجارَةٌ (اللسان: جرع) .

(٥) ردَّ شَأْوَهُ: ثَناهُ عَنْ مَرامِهِ، أمينُ الْقُوى: قُوى الحَبْلِ جَدْلاتُه، وكلَّما زادَ عَدَدُها كانَ الحَبْلُ أقْوى وأمْتَن، وأمينُ القُوى من الحِبالِ ما لا يُخْشى انْقِطاعُه أو انْحِلالُ جَدلاتِه (اللسان: قوى) .

٥٤ وَلا بَكْرَةٌ بِكْرٌ رَأَتْ مِنْ حُوارِها مَجَرًّا حَديثًا مُسْتَبِينًا وَمَصْرَعا

٥٥ إِذا رَجَّعَتْ في آخِرِ اللَّيْلِ حَنَّةً لِذِكْرِ حَديثٍ أَبْكَتِ الْبُزْلَ أَجْمَعا[٢]

٥٦ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لا تَقْنَعَ النَّفْسُ بَعْدَها بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنيا وَإِنْ كانَ مَقْنَعا

٥٧ وَأَعْذُلُ فيها النَّفْسَ إِذْ حِيلَ دُونَها وَتَأْبى إِلَيْها النَّفْسُ إِلّا تَطَلُّعا

٥٨ سَلامٌ عَلَى الدُّنيا فَما هِيَ راحَةٌ إِذا لَمْ يَكُنْ شَمْلي وَشَمْلُكُمُ مَعا

٥٩ وَلا مَرْحَبًا بِالرَّبْعِ لَسْتُمْ حُلولَهُ وَلَوْ كانَ مُخْضَلَّ الْجَوانِبِ مُمْرِعا[٣]

٦٠ فَماءٌ بِلا مَرْعًى، وَمَرْعًى بِغَيْرِ ما وَحَيْثُ أَرَى ماءً وَمَرْعًى فَمَسْبَعا[٤]

٦١ لَعَمْري لَقَدْ نادَى مُنادي فِراقِنا بِتَشْتيتِنا في كُلِّ وادٍ فَأَسْمَعا

٦٢ بِكُلِّ بِلادٍ أَمْ بِكُلِّ مَظِنَّةٍ أَخُو أَمَلٍ مِنّا يُحاوِلُ مَطْمَعا

٦٣ كَأَنّا خُلِقْنا لِلنَّوى، وَكَأَنَّما حَرامٌ عَلَى الأَيّامِ أَنْ نَتَجَمَّعا

(١) البكْرَةُ من الإبل: الفتيَّةُ التي ولدَت بَطْنًا واحِدًا (اللسان: بكر)، والحُوار: ولَـدُ النّاقة (اللسان: حور)، وهذه الصّورةُ تكرّرت مرّات في شِعر الصِّمَّةِ، والنّاظرُ في تائيَّته يجد صورةً مماثلةً تقريبًا .

(٢) البُزْل: الإبلُ التي بَزلَ نابُها؛ أي طَلع، ويكون ذلك في مطلَع السّنة التّاسعة (اللسان: بزل) .

(٣) الرَّبْعُ: الْمَنزِلُ ودارُ الإقامَة (اللسان: ربع)، الْمُخْضَلُّ: الْمُبْتَلُّ بِفِعل النّدى والقَطْرِ، وهذا يَكون أدْعى لِنُوعَةِ أوراقِ نباتِه، والنّبات الْخَضِلُ: النّاعِمُ (اللسان: خضل)، الْمُمْرِعُ: الْمُعشِبُ (اللسان: مرع) .

(٤) الْمَسْبَعُ: المكانُ الذي تَكثُرُ فيهِ السِّباعُ؛ أي الحيواناتُ المفترسَةُ؛ لا الأسود وحْدَها (اللسان: سبع) .

تَخريجُ الأبياتِ :

روى القالي في أماليه ١/١٩٣-١٩٤ ما نَصُّهُ : "وأَنْشَدَنا أبو بَكر، قالَ: أنشَدَنا أبو حاتِم عن الأصمعيِّ للصِّمَّةِ بنِ عبد اللهِ القشيريِّ"، ثُمَّ رَوى أبياتًا ثمانيةً مِنها، وبعدَها قالَ: "قالَ: وأنشدَني الرِّياشِيُّ"، ثمَّ روى ثلاثةَ أبياتٍ أُخرى، ورَوى آخِرَ بيتَيْنِ منها في الأمالي ٢/١٩٣. والقصيدةُ أشْهَرُ شِعرِ الصِّمَّة، وأكثرُه دَوَرانًا قَديمًا وَحديثًا هيَ وأبياتُه في (عَرار نَجد). وروى منها اليزيديُّ في أماليهِ/ ١٤٨-١٤٩ سبعةَ عشرَ بيتًا، وأسنَدَ روايتَها إلى عمِّه أبي عُبَيد اللهِ بن محمّد عن ابنِ الْكَسْكَرِيِّ. (المراثي /٣٠٦-٣١٠). وأوْرَدَ البيْتَ الأوّلَ منها مجد الدّين أسامة في المنازل والدّيار ١/ ٣١٦، ثُمَّ أوْرَدَ أبياتاً ثلاثةً، ورأى الشّيخ حمد الجاسر أنّ هذا البيتَ ليسَ من القصيدَةِ، لأنّ فيه ذِكْرَ القُبَيْبَةِ، وهي ليسَت من الأمكِنَة الواردة في شِعر الصِّمَّة، كَما استَدلَّ على ذلكَ بضعفِ التّركيب (العرب/ ١٦٧-حاشية)، المرزوقي ٣/١٢١٥-١٢٢٠، التّبريزي ٢/٨٥-٨٨، الحماسة المغربيّة ٢/٩٣٦-٩٣٧، عُيون الأخبار ٤/١٤١ نسبها ابن قتيبةَ لابنِ الطَّثْرِيَّة، الأغاني ٥/٢٩٣-٢٩٦، تَجريد الأغاني ق١ج٢/٧١٦-٧١٧، ويؤكِّدُ ابنُ واصل أنَّ الأبياتَ للصِّمّة وأنَّ ابنَ الأعرابيَّ كانَ يستَحسِنُ مِنها أبياتاً (٤٦-٤٧). وَفَيات الأعيان ٦/ ٣٧٠-٣٧٢، واختارَ ابنُ خَلِّكان نسبَتَها للصِّمَّةِ على نسبَتِها لابْنِ الطَّثْرِيَّة أو المجنون أو قيس بنِ ذريح بقولِه: "والأكثَرُ أنّها للصِّمَّة". التّذكرة السّعدية/ ٤٣٦-٤٣٧ (أربعة أبيات)، التّذكرة الحمدونيّة ٦/٧٣، ١١٠، ١٥٢، ١٥٣، وأوْرَد الأنطاكيّ منها (أحدَ عشرَ بيتاً)، وأكَّدَ نسبَتَها للصِّمَّةِ وأنَّ قَيْسًا استَعارَ بيتَيْنِ مِنْها هُمَا: (فَما حَسَنٌ ...) وَ(بَكَتْ عَيْنِيَ الْيُمْنى ...)، وذكرَ أنّ صاحبَ قوتِ القلوبِ أكّد النّسبَةَ للصِّمَّة أيضاً (تزيين الأسواق١/ ٢٢٩-٢٣٠)، وقدْ رَوى في التّذكرة الحمدونية البيتين ٥٥-٥٦ لقيسِ بنِ ذَريح، ويؤكِّدُ صاحب بهجة المجالس أنّها للصِّمَّةِ، وأنّ بعضَهُم وهِمَ فنسبَها للمجنونِ، أو لقيسِ بنِ ذَريح (بهجة المجالس ق١ م٢/٨٢٧). الحماسة البصريّة ٢/١٣٨-١٣٩، وبعضُها في اللسانِ (وجِعَ) له أيضًا،

وفي معجم البلدان (البِشْر) منها ستّة أبيات له. وقد ذكر الأستاذ الميمَنيّ أنّ في دار الكتب المصريّة مخطوطاً يَضُمُّ تسعةً وعشرينَ بيتاً من القصيدَة، ويؤكّدُ أنّ نسبَتَها لابنِ الطّثْريَّةِ خطأ، وكذلكَ نسبتُها للمجنون، فَمُجْمَلُ ما يُرْوى لابْنِ الطّثْريَّةِ منها مَرويٌّ أيضاً للصِّمَّةِ (الطّرائف الأدبيّة/ ٧٧-٨٠)، ورَوى منها عبد السّلام هارون في مجموعة المعاني ٢/٧٤٩-٧٥٠ بيتَيْنِ، مُشيراً إلى أنّها تُنسَبُ إلى الأقرَعِ بنِ مُعاذ، مؤكّدًا نسبَتَها للصِّمَّة. العرب/ ١٦٧-١٧٢، ديوانه/ ٩٦، شاعر وقصيدة-طلاس/ ٢٨٩، مائة قصيدة مختارة-حَمّاد/٥٢٩، والأبياتُ في ديوانِه المطبوعِ ثمانيةٌ وخَمسونَ بيتاً (ديوانه: ٨٦)

ومن الجدير بالذِّكْرِ أنّ نسبَةَ القصيدَةِ ليَزيد بْنِ الطّثْريَّةِ غيرُ صحيحةٍ عَلى الإطلاقِ؛ ذلكَ بأنّ أبا الفرَجِ الأصفهانيّ قد صَنَع ديوانًا ليزيدَ؛ وحينَ أشارَ أبو الفرجِ إلى الأبياتِ لَم يذْكُر قَطُّ نسبَتَها لابْنِ الطّثْريَّة، وقد ذكر ابنُ خلّكان شيئًا عن صَنعةِ الطّوسيِّ ديوانًا لابن الطّثْريَة أيضًا، ولا ريبَ في أنّ الأصفَهاني اطّلع عليهِ، ولَم يَذكُر شيئًا عن تلك النّسبةِ أيضًا. وقد اقتَنَع جامعُ شِعر يزيدَ بأنّ القصيدَةَ ليسَت له، وكذلكَ الأستاذ الميمَنيُّ، أمّا الموجودُ منها في دِيوانِ المجنون فلا يَتجاوَزُ أبياتًا تِسْعَةً، وقد ذكر شارحُ ديوانه أنّ أكثرَها للصِّمَّةِ بْنِ عبد اللهِ القُشَيْريِّ .

(٣٠)

{ الطّويل }

١ أَجَدَّ خَـليلايَ الرَّواحَ فَـزَمَّعا ــــــــــــــــ(١)

تَخريجُ البيت :

تعليقات الهجري- الجاسر ق٢/٦٨٢، تعليقات الهجَريّ-الحمـادي (مقطوعة ٥٠٨)

(١) وقالَ بعدَه في التّعليقات: "فالتَّزْميعُ: الإجماعُ على المُضيُّ. وقالَ: بَلَجَ بِفَتْحِ اللامِ". وبعْدَ الشَّطْرِ حَذْفٌ يبدو أنّه مكانُ خَرْمٍ. ويدو لَنا أنّ هذا الشَّطْرَ إنّما هُوَ من القصيدَةِ المتقدِّمَةِ؛ وإذا لَمْ يَكُنْ مَطْلَعها الأصيلَ، فقد يَكونُ صَدْرَ بَيتٍ آخرَ مُصَرَّعٍ في القصيدَةِ يأتي في ثَناياها، وهذا موجودٌ معروفٌ لَدى الشّعراء إذا طالتْ قصائدُهم. أو عَجُزَ بيتٍ من القصيدَةِ ضاعَ صَدْرُه. ويُمكِنُ أنْ يكونَ من قصيدَةٍ أُخرى للصِّمَّةِ لَها وزنُ هذه القصيدةِ وقافِيَتُها، ضاعتْ، أو اختلطَتْ أبياتُ القصيدَتَيْنِ مَعًا! ليسَ في ديوانه.

(٣١)

{ البسيط }

١ يا لَيتَ شِعْرِيْ عَنِ الْحَيِّ الَّذِينَ غَدَوْا هَلْ بَعْدَ فُرْقَتِهِم لِلشَّـــمْلِ مُجْتَمَعُ [١]

٢ وَكُلُّ ما كُنْتُ أَخْشَـى قَدْ فُجِعْتُ بِهِ فَلَيسَ لِيْ بَعْدَهُمْ مِنْ حادِثٍ جَزَعُ [٢]

تَخريجُ الأبياتِ :

أَوْرَدَها القالي في أماليهِ ١٩٤/١ تابعةً لِروايةِ أبي بَكرٍ عن أبي حاتِمٍ عَنْ نِفْطَوَيْـــهِ، وليسَتْ في ديوانه ولا في العرب .

(١) مُجْتَمَعُ الشَّمْلِ: اجْتِماعُهُ والتِئامُه من جَديد (اللسان: جمع) .

(٢) الْجزَعُ: شِدَّةُ الْفرَقِ والْحُزْنِ لِمُصابٍ يحلُّ بالإنسانِ، والمصيبةُ في الأحِبَّةِ بَعْدَ رِحْلَتِهم وفراقِهم لا يُعوِّضُـــها أو يُخفِّفُ منها شيءٌ .

(٣٢)

{ الطّويل }

١ وَنُبّئْتُ لَيلى أرْسَلَتْ بِشَفاعَةٍ إِلَيَّ ، فَهَلاّ نَفْسُ لَيلى شَفيعُها

٢ أأكْرَمُ مِنْ لَيلى عَلَيَّ فَتَبْتَغي بِهِ الْجاهَ ، أَمْ كُنْتُ امْرَءًا لا أُطِيعُها

تَخريجُ الأبياتِ :

في الحماسة غير منسوبين، نسبهما ابن جنّي في إعراب الحماسة للصِّمَّة، المرزوقي ١٢٢٠/٣، التبريزي ١١٥/٣، خزانة البغدادي ٦٠/٣-٦٢ للصِّمَّة، شرح شواهد المغني للسّيوطي/ ٧٩، الضرائر/٢٣٢، جامع الشّواهد/٢٩٢، شرح أبيات مغني اللبيب ١١٩/٢، نسبهما الميمنيّ في الطرائف/ ١٨٥ لإبراهيم بن العبّاس الصّولي، الزّهرة/ ١٢٨، شرح المضنون به على غير أهله/ ٢٣٠، العرب/ ١٧٢، ديوانه/ ١١٣. وقد نسبَهما في شرح المغني ٢٢١/١ لقيس بن الملوَّح، وللصِّمَّة، وابنِ الدّمينة، وهي في ديوان المجنون/١٩٥، ديوان ابن الدّمينة/٢٠٦، حاشية الصّبّان ٥٢/٤، مُغني اللبيب ٧٤/١، ٥٨٧/٢ بدونِ عَزْوٍ

قافيةُ القاف

(٣٣)

{ الطّويل }

١ لَعَمْري ، لَئِنْ كُنْتُمْ على النَّأْيِ والْقِلَى ... بِكُمْ مِثْلُ ما بي ، إنّكُمْ لَصَديقُ [١]

٢ إذا زَفَراتُ الحُبِّ صَعَّدْنَ في الحَشا ... رُدِدْنَ ، ولَمْ يُنْهَجْ لَهُنَّ طَريقُ [٢]

تَخريجُ الأبياتِ :

الأغاني ٥/ ٢٩٢، تَجريد الأغاني ق١ج٢/ ٧١٥، مهذب الأغاني ٤/١٨٦، معاهد التّنصيص ٣/٢٥٦، التّذكرة الحمدونيّة ٦/٥٣، بهجة المجالس ١/٨١٧، الوافي بالوَفَيات ١٦/١٩٣، نزهة الأبصار ١/٣٠١، مجموعة المعاني ٢/١٠٠١، العرب/ ١٧٢، شعراء قُشَير ٢/٢٦٢، ديوانه/١١٧

---

(١) النَّأيُ: الْبُعْدُ (اللسان: نأى)، والقِلَى: الْهَجْرُ والبُغضُ (اللسان: قَلا) .

(٢) زَفَراتُ الْحُبِّ: آهاتُ الْمُحِبِّ إذا تألَّمَ لِما في حَشاهُ من حَرارةِ الوَجْدِ، وتَكونُ عادَةً من هَواء الزَّفيرِ كَما تقدَّمَ قَبْلُ، أو مِمّا يُكْبَتُ من هَواء الشَّهيقِ في صَدْرِ الْمُحِبِّ حينَ يَجدُ وَجْدًا عَظيمًا بسببِ الفراقِ (اللسان: زفر)، وقولُهُ: (صَعَّدْنَ): تَحرّكْنَ صَوْبَ مَخرَجِهنَّ من الصَّدْرِ. ثُمَّ يُرْدَدْنَ، إذ لا طَريقَ لَهُنَّ ولا مَخْرَجَ؛ وذلكَ لشِدَّةِ الوَجْدِ .

(٣٤)

{ الطّويل }

١ أَأَنْ سَجَعَتْ في بَطْنِ وادٍ حَمامَةٌ تُجاوِبُ أُخْـــرى ماءُ عَيْنَيْكَ دافِقُ [(١)]

٢ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْـــمَعْ بُكاءَ حَمامَةٍ بِلَيْلٍ ، ولَمْ يَحْزُنْكَ إِلْفٌ مُـــفارِقُ [(٢)]

٣ ولَمْ تَرَ مَفْجُوعاً بِشَـــيْءٍ يُحِبُّهُ سِواكَ، ولَمْ يَعْشَقْ كَعِشْقِكَ عاشِقُ

٤ بَلَى، فَأَفِـقْ مِنْ ذِكْرِ لَيْلى، فَإِنَّما أَخُو الصَّبْرِ مَنْ كَفَّ الْهَوى وَهْوَ تائِقُ [(٣)]

تَخريجُ الأبياتِ :

الأبياتُ في الحماسة الشّجريّة ٢/٥٩٧ للصِّمَّة، ونُسِبَت للعـــوّامِ بـــنِ عُقْبَـــة في مصارع العُشّاق ١/٢٩٥، وسمط اللآلي ١/٣٧٣، وللمجنون وهي في ديوانه/ ٤٣، وفي الحماسة البصريّة لِمُرَّة بن عبد الله الهِندِي، وتُرْوى لِلعَوّامِ بنِ عُقْبَـــةَ ٢/٢٣١-٢٣٢، وهيَ في أمالي القالي ١/١٣١ للعَوّامِ بْنِ عُقْبَة، شعراء قشير ٢/٢٦١، ديوانه/ ١١٥

(١) في البصريّة (أَإِنْ سَجَعَتْ يَوْمًا بِوادٍ حَمامَةٌ دَعَتْ ساق حرّ ماء عَينيك دافق)، والسَّجْعُ مُوالاةُ الْحَمامَــةِ صَوْتَ هديلِها على طَرِيقٍ واحِد (اللسان: سجع) .

(٢) حَزَنَهُ وأَحْزَنَهُ بِمَعْنًى واحِد (اللسان: حزن) .

(٣) تاقت النّفسُ إلى الشّيءِ: نَزَعت إليهِ واشتاقَتْ، والتّائِقُ: شَديدُ الشّوْقِ (اللسان: توق) .

قافيةُ اللام

(٣٥)

{ الطّويل }

١ نَظَرْتُ ، وَطَرْفُ الْعَيْنِ يَتْبَعُ الْهَوى بِشَــرْقِيِّ بُصْرى نَظْرَةَ الْمُتَطاوِلِ (١)

٢ لِأُبْصِرَ نارًا أُوقِدَتْ بَعْدَ هَجْعَةٍ لِرَيّا بِذاتِ الرِّمْثِ مِنْ بَطْنِ حايِلِ (٢)

تَخريجُ البَيْتَيْن:

معجم البلدان (بُصرى)، العرب/ ١٧٣، ديوانه/ ١١٨

---

(١) بُصْرى: تقدَّمَ ذِكْرُها، وهي قصبَةُ كُورَةِ حَوْرانَ بالشّام. والْمُتَطاوِلُ: الذي يُحاوِلُ أنْ يُطيلَ نفسَهُ بأنْ يَقِفَ على أطْرافِ أصابِعِ قدَمَيْهِ لِيتَمَكّنَ من الإبْصار أكْثَرَ وأوْضَحَ (اللسان: طول). وإبْصارُ نار في جَزيرَةِ العربِ مِنْ بُصْرى الشّامِ أمْرٌ وردَ ذِكْرُهُ في حديثِ الرّسول عليه الصّلاةُ والسّلامُ، وذلكَ حين تحدّث عن بعضِ عَلاماتِ آخرِ الزّمانِ، وفيها أنّ نارًا تشتَعِلُ بالجَزيرةِ (تُضيءُ لَها أعْناقُ الإبِلِ بِبُصْرى)، وليسَ هذا كِنايَةً عَن شِدَّةِ تلكَ النّار وعِظَمِ لَهَبِها حَسْبُ؛ إنّما لأنّ طَبيعةَ تَضاريسِ الجَزيرةِ العربيَّةِ تُتيحُ مِثْلَ هذا، لا سيَّما إذا أُوقِدَتِ النّارُ ليلاً، ونُظِرَ إلَيْها من مَكانٍ مرتَفِعٍ، وإنْ كانَ بعيدًا. وكانَ من عادَةِ العربِ أنْ يفْعَلُوا مثلَ ذلكَ؛ بأنْ يُوقِدوا نارًا على رَأسِ جَبَلٍ أو مُرْتَفَعٍ قريبٍ من دِيارِهم لِيَهْتَدِيَ بِها الرُّكْبانُ.

(٢) الرِّمْثُ: شَجَرٌ يُشْبِهُ الغَضا (اللسان: رمث)، وذاتُ الرِّمْثِ: أرضٌ كَثيرَةُ شَجَرِ الرِّمْثِ. أمّا بَطْنُ حايل؛ فقد قالَ الْجاسِرُ: "من أشْهَرِ مياهِهِم حايل، وحايلُ هذه في طرفِ الْمَرّوتِ الْجَنوبيِّ؛ غَربِ نُفودِ تِبْراك، وليسَتْ حايل الْمَدينةَ الواقِعةَ في شَمالِ نَجْدٍ الْمَعروفَةَ الآنَ" (العرب: ١٣٠) .

قالَ ياقوت: "من أرضِ الْيَمامةِ لِبَني قُشَيْر" (البلدان: حائل). وجاء في (صِفة الجزيرة: ١٤٨): "وعَن يَمينِ سَوادِ باهلةَ بَطْنُ حايل، وهو بلَدٌ مِثْلُ يَدِ الْمُصافِحِ، يُرى فيه الرّاكبُ من مسافَةِ نِصْفِ نَهار؛ في وسَط رُمَيْلَةٍ يُقالُ لَها رُمَيْلَةَ الأطْهار، وفي أعلاهُ سُوقَتانِ، ويَحُفُّه رَمْلُ جُرادٍ، وحَدُّه بيْنَ الْمَرّوتِ وبيْنَ جُراد، وهو أسفل رَمل الشّعافين، وفيهِ نَخْلٌ ونَخْلَةُ – ماءانِ لِبَني تَميم" . وفي هذا دليلٌ على تَداخُلِ دِيار قُشَيْرٍ ودِيار تَميم .

(٣٦)

قال في خُروجِه إلى الثَّغْرِ: [الطّويل]

١ فَلِلّهِ دَرّي ، أيُّ نَـظْرَةِ ذِي هَوىً ... نَظَرْتُ ضُحًى، والشَّمْسُ يَسْتَنُّ آلُها [1]

٢ إلى رَأْسِ طَـوْدٍ مِنْ جُفافٍ كَأنَّهُ ... قَرَا فَرَس : تَنْصِيبُها وَاحْـزِلالُها [2]

٣ وَكَبَّــرْتُ لَمّا أَنْ بَدَتْ لِي بَلْدَةٌ ... بِها سَــكَنَتْ طَيّا وَطالَ احْتِلالُها [3]

٤ وَكَفْكَفْتُ دَمْعِيْ ساعَةً وَزَجَرْتُهُ ... بِأَجْفانِ عَيْنِيْ ، ثُمَّ خَـلاّهُ جَالُها [4]

٥ كَما هَـمَلَتْ بِالْمَاءِ أَعْراضُ شَنَّةٍ ... هَـزِيمِ الْكُلَى ، لَمّا تَدانَى ابْتِلالُها [5]

٦ فَقَدْتُكِ عَيْنًا، رُبَّما هِجْتِ عَبْرَةً ... سَرِيعًا عَلى جَيْبِ الْقَمِيصِ انْهِمالُها

٧ أَلا إِنّما طَـيّا - فَصَبْرًا - بَلِيَّةٌ ... ضَـجَعْتُ بِأَرْضٍ فَاعْتَرانِيْ خَيالُها [6]

---

(١) يَسْتَنُّ: يَضْطَرِبُ، ولا يَكونُ ذلكَ إلاّ في شِدَّةِ الْهَاجِرَة (اللسان: سَنن)، والآلُ: السّرابُ (اللسان: أول).

(٢) الطَّودُ: الْجَبَلُ العَظيمُ الْمُنيفُ (اللسان: طود)، أمّا جُفاف: فَموضِعٌ تقدَّمَ ذِكْرُه، وهو ماءٌ لِبَني جَعْفَر بْنِ كِلابٍ (البلدان: جُفاف)؛ وبِلادُهم تقعُ في الجنوبِ الغربيِّ من بِلادِ قُشَيْر، وليسـت متّصِلَـةً بِـها (العرب: ١٤٤). قَـرا الفَرَسِ: ظَهْرُها (اللسان: قَرا)، والاحزِئلالُ: الاجْتِماعُ والارتِفاعُ (اللسان: حـزل)، وهـذا التّشـبيه معـهودٌ عنـد شُعراء العربِ؛ إذ يُشبِّهونَ الجبلَ الفَرْدَ في السّرابِ بِظَهْرِ الفرسِ إذا تحدَّبَ ظَهرُها، وبسَنامِ الجمـلِ العربـيِّ؛ فـإذا كانَ حَوْلَهُ جِبالٌ أخرى أصْغَرُ منه شبَّهوهُ في الْتِماعِ السّرابِ بالْجَملِ الفارسيِّ الـذي حُمِّـلَ أعْدالَـهُ (دُهـانِجٌ ذُو أعْدالْ)، والدُّهانِجُ أصْلُها: دو هانِهْ؛ أي ذا السّنامَيْنِ.

(٣) احْتِلالُها: أيْ مُكْثُها وإقامَتُها (اللسان: حلل) .

(٤) الْجَالُ والْجُولُ من الشّيءِ: طَرَفُه وجانِبُه، ومن البِئْرِ كذلكَ، وهُما من العيْنِ: جانبُها الذي تَسيلُ عَبَراتُها منـه، أو هُوَ مَدْمَعُها (اللسان: حال)، وخلاّهُ جالُها: أي فسَحَ السّبيلَ لانْهِماره .

(٥) الشَّنُّ: الْجِلْدُ المتيبِّسُ. والشَّنَّةُ: القِرْبَةُ الْخَلَقُ تُصنَعُ منَ الشَّنِّ بأنْ تُخرَزَ حَوانِبُه وتُخاط (اللسان: شنن)، وهَزيم الْكُلَى: يَبِسَتْ وتكسَّرَتْ فصوَّتَتْ، والْهُزومُ: الكُسورُ في القربَة، والهَزيمُ: التي يسيلُ الماءُ منها (اللسـان: هـزم)، وتشبيهُ العربِ الدّموعَ الغِزارَ بالماء السّائلِ من القربَة تَوارَدَ عليهِ شُعَراؤُهم، ومنهم ذو الرّمّة في بائيّتِه (كأنّـه مـن كُلّى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ)، ومنهم زُهَير أيضًا .

(٦) ضَجَعَ واضْطَجَعَ بِمَعْنًى واحِدٍ (اللسان: ضجع) .

٨ فَقُمْتُ إِلى عَـــيْرانَةٍ عَيْدَهِيَّةٍ ... مَليحٌ بِأَجْـــوازِ الْفَلاةِ اهْتِبالُها (١)

٩ فَلَـمّا رَأَيتُ الجِدَّ مِنها ، وَأَنَّها ... تَـجاهَلُ لَمّا حُـــلَّ عَنْها عِقالُها

١٠ ثَنَيتُ يَميني في الـزِّمامِ فَما ثَنى ... لَها الشَّأْوَ ، حَتّى عاوَنَتْها شِمالُها (٢)

١١ وَحَتّى ثَنى عِـرْنِينَها حَلَقُ الْبُرى ... وَناطَحَ أَعْلى حِـنْوِ رَحْلِيْ قَذالُها (٣)

١٢ عَلى مِثْلِها فاسْتَحْمِلِ اللهَ يا فَتى ... وَغاوِلْ بِها الْـحاجاتِ يَنْفَعْ غِوالُها (٤)

١٣ كَأَنَّ انْسِـــلالَ الذِّئْبِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ ... يُبادِرُ أَسْـــمالَ الْحِياضِ انْسِلالُها (٥)

تَخريجُ الأبيات :

تعليقات الهجَريّ-الحمادي (مقطوعة ١٤٦)، تعليقات الهجري- الجاسر ق٦٨٢/٢، العرب/ ١٧٣-١٧٤، شعراء قشير ٢/ ٣١٥-٣١٦، ديوانه/ ١٢١

(١) العَيْرانَةُ: النّاقَةُ النّاجيَةُ في نَشاط (اللسان: عير)، والعَيْدَهُ: السَّيِّئُ الْخُلُقِ من النّاسِ والإبلِ، والعَيْدَهِيَّةُ: الْجَفــاءُ والْغِلْظَةُ (اللسان: عده). أَمّا أَجْوازُ الفَلاة: فأَوْساطُ الْمَفاوِزِ الْمُقْفِرَةِ (اللسان: جوز). والاهتِبالُ: ضَرْبٌ مِنْ سَيْرِ الإبلِ (اللسان: هبل) .

(٢) الزِّمام: الْمِقْوَدُ (اللسان: زمم)، والشَّأْوُ: الْغايَةُ والأَمَدُ (اللسان: شأو)، ويَعْني أنّها شَديدَةٌ سَيِّئَةُ الخُلُقِ لا تُطاوِعُ راكِبَها بِيُسْرٍ، فَما استَطاعَ أَنْ يَرُدَّها عَنْ قَصْدِها ويُحوِّلَ وُجْهَتَها إلى القصْدِ الذي يُريدُه إلاّ بَعْدَ أَنْ اســـتَعْمَلَ كِلْتا يَدَيْهِ في ثَنْيِ زِمامِها .

(٣) الْعِرْنِينُ: الأَنفُ (اللسان: عرن)، والْبُرَى والبُرِيُّ؛ جَمْعُ بُرَةٍ زِنَةِ مُدْيَة، وجَمْعُها كَجَمْعِها: مُدَى وَمُدِيّ، هــيَ الْحَلَقَةُ مِن حَديدٍ تُوضَعُ في أَنْفِ البَعيرِ مُتَّصِلَةً بالزِّمامِ لِيَسْهُلَ قَوْدُهُ (اللسان: برى). والْحِنْوُ: حِنْوُ الرَّحْلِ، كُــلُّ عُودٍ مُعْوَجٍّ مِنْ عِيدانِ الرَّحْلِ (اللسان: حنو)، والقَذالُ: جُمّاعُ مُؤخَّرِ الرَّأسِ (اللسان: قذل). والشّاعِرُ يُصَــوِّرُ كَيْفَ شَدَّ الزِّمامَ حَتّى حَكَّ مُؤخَّرُ رأسِ ناقَتِهِ عُودَ الرَّحْلِ أَمامَهُ على ظَهْرِها .

(٤) غاوَلَ الْحاجَةَ غِوالاً ومُغاوَلَةً: بادَرَها وحاوَلَها (اللسان: غول) .

(٥) انْسَلَّ وتَسَلَّلَ: انْطَلَقَ في اسْتِخْفاء، ومَضى خارِجًا بِتَأَنٍّ وتَدْريجٍ (اللسان: سلل)، أَسْمالُ وَسَـــمَلٌ وَسُــمولٌ وَسِمالٌ وسَمائِلُ: جَمْعُ سَمَلَةٍ وسَمْلَةٍ وسُمْلَةٍ وسِمِلَةٍ، وهي بَقِيَّةُ الْماءِ في الْحَوْضِ، وقيلَ: هِيَ ما فِيهِ مِنَ الْحَمْأَةِ – الطِّين (اللسان: سمل)، والأخيرَةُ أَوْلى؛ لأنّه يشَبِّهُ سَيْرَها مُنْسَلَّةً وسطَ الفَلاة بانْسلال الذِّئبِ أَوَّلَ لَيلَةٍ في الشَّهرِ – أي في الظَّلام – حينَ يتسلَّلُ وسطَ أَسْمالِ الْحِياضِ، وكَوْنُ الأسْمالِ من الطِّينِ أَدْعَى لأنْ لا يُحَـــسَّ بِــهِ، خِلافَ ما لَو مَشى وَسَطَ الْماءِ .

(٣٧)

{ الطّويل }

١ أَلا مَنْ لِقَلْبٍ قَدْ أُصِيبَتْ مَقاتِلُهْ ... بِهِ غُلَّةٌ عادِيَّةٌ ما تُزايِلُهْ [١]

٢ وَمُغْتَصَبٍ بِالْبَيْنِ لَمْ تَسْتَطِعْ لَهُ ... كَلامًا، ولَمْ تُصْرَمْ لِبَيْنٍ حَبائِلُهْ [٢]

٣ وَعَيْنٍ رَماها اللهُ بِالشَّوْقِ كُلَّما ... رَأَتْ حَيْثُ يَلْقَى مَصْرَمَ الْحَبْلِ حابِلُهْ [٣]

تَخريجُ الأبياتِ :

أَوْرَدَها الهجريُّ بوصْفِها لعبدِ اللهِ بْنِ الطُّفَيْلِ أبي الصِّمَّةِ، وهي في الفاضل/ ٢٧ للصِّمَّةِ نفسهِ، شعراء قُشَير ٢/ ٣١٠، ديوانه/ ١١٩

(١) الغُلَّةُ: شِدَّةُ الْهُيامِ والعَطَشِ، وهي شِدَّةُ الْحُبِّ والْوَجْدِ كذلك (اللسان: غلل)، وقولُه: (عادِيَّةٌ) يَعني بها أنّها قَديمَةُ الْعَهْدِ مِنْ زَمَنِ عادٍ؛ إمْعانًا في الْمُبالَغَةِ في طُولِ الزَّمَنِ (اللسان: عاد)، تُزايِلُه: تُفارِقُهُ وتُبارِحُهُ (اللسان: زول) .

(٢) في ديوانه وشعراء قُشَير (ومُغْتَصب)، وما أثْبَتّناهُ أوْلى، وقولُه: (تُصْرَم) أي تُقْطَعْ، وصُرِمَتْ حَبائِلُه: قُطِعَتْ حِبالُ الوَصْلِ بيْنَه وبيْنَ حَبيبَتِه (اللسان: صرم)، والحبائِلُ جَمْعُ حِبَالَة، وهي التي يُصادُ بها (اللسان: حبل) .

(٣) في ديوانه وشُعراء قُشير (حايلُه)، جاعِلاً منها حايِلاً الْمَكانَ، ولا يستَقيمُ الْمَعنى ولا النّظمُ بها. مَصْرَمُ الْحَبْلِ: الْمَكانُ الذي صُرِمَ فيهِ الْحَبْلُ، ومن مَعاني الْحَبْلِ: الْعَهْدُ، والرَّمْلُ الْمُستَطيلُ (اللسان: حبل)؛ ولعلّه يُريدُ هُنا الْمَكانَ الذي كانَ فيهِ آخِرُ عَهْدٍ لَهُ بِحَبيبَتِه، والحابِلُ: صانِعُ الْحَبْلِ، ولعلَّهُ يريدُ بهِ صاحِبَ الْعَهْدِ بِما يَنسَجِمُ والتّفسيرَ الذي أشرْتُ إليْهِ آنِفًا .

قافيةُ الميم

(٣٨)

{ الطّويل }

١ خَليلَيَّ ، إنّيْ واقِفٌ فَمُسَـــلِّمٌ ... عَلى النّيرِ، فارْتاحَا قَليلاً ، فَسَلِّما [١]

٢ فَإنّيْ أُحِـــبُّ النّيرَ ، والْبُرَقَ الّتي ... بِها النّيرُ، حُبًّا خالَطَ اللّحْمَ وَالدَّما [٢]

٣ فلَوْ زالَ هَضْبُ النّيرِ عَنْ سَكَناتِهِ ... لَيَمَّمْتُ، مِنْ وَجْدٍ بِهِ، حَيْثُ يَمَّما [٣]

٤ وَلَوْ كَلَّمَتْ صُـــمُّ الْجِبالِ بِمَوْطِنٍ ... صَـــديقًا لَحَيّانا ، إذَنْ ، وَتَكَلَّما [٤]

تَخريجُ الأبياتِ :

الأشباه والنّظائر ٢/ ١٣٨، العرب/ ١٧٤، شُعراء قُشَير ٢/٣٢٧، ديوانه/ ١٢٦

---

(١) النِّيرُ: جَبَلٌ في عاليَةِ نَجْدٍ تقدَّم التعريفُ به .

(٢) الْبُرَقُ: جَمْعُ بَرْقاء، وهي الأرْضُ الْغَليظَةُ التي يختلطُ رَمْلُها بالحِجارَة (اللسان: برق) .

(٣) هَضْبُ النِّيرِ: تقدَّمَ التَّعريفُ بهِ في تائيَّته، والهضبُ كلُّ جَبَلٍ مُنبَسِط (اللسان: هضب)، ويَمَّمَ: بمَعنى قَصَدَ وَتَوجَّهَ (اللسان: يمم) .

(٤) الْعَلاقَةُ الْحَميمَةُ التي جَمَعت الصِّمَّةَ بالْمَكانِ؛ حتى عَدَّهُ صَديقًا حَميمًا، ظاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ في هذا البيتِ. وصِفَةُ (صُمّ) التي أضافَ الجبالَ إليْها هُنا تحتَمِلُ أنْ تَكونَ من الصَّلادَةِ، أو مِنَ الصَّمَمِ .

(٣٩)

{ الطّويل }

١ دَعَوْتُ زِمامًا لِلْهَوى ، فَأَجابَني وأيُّ فَتًى لِلَّهْوِ بَعْدَ زِمامِ [1]

تَخريجُ البيْت :

الشّعر والشُّعراء ١/ ٣٢٧، ديوان الحطيئة/ ٦٨ وفيه أنّه لابْنِ الصِّمَّةِ القُشَيْرِيِّ، العرب/ ١٧٤، شعراء قُشَير ٢/٣٣٥، ديوانه/١٢٨

(١) كانَ زِمامُ بْنُ خِطامِ بْنِ النَّضّاحِ الْكَلْبِيُّ أَجْوَدَ النّاسِ غِناءً بَدَوِيًّا، وفيهِ قالَ الصِّمَّةُ البيتَ المتقدِّمَ على ما ذَكَرَهُ ابنُ قُتَيْبَة .

(٤٠)

{ الوافر }

١ وَلَمْ آتِ البُيُوتَ مُطَنَّباتٍ بِأَكْثِبَةٍ فَرِدْنَ مِنَ الرَّغامِ [١]

تَخريجُ البيت :

اللسان (فرد)، شعراء قُشَير ٢/٣٥٠، ديوانه/ ١٢٨

---

(١) مُطَنَّبات: مشدودات بالأَطْناب، والأَطْنابُ جَمْعُ طَنَب، وهو الحَبْلُ يُشَدُّ بِهِ البَيْتُ بَيْنَ الأَرْضِ والطَّرائِقِ (اللسان: طنب). أمّا الأَكْثِبَةُ؛ فَجَمْعُ كَثِيب، وهِيَ تِلالُ الرَّمْلِ (اللسان: كثب)، وفَرِدْنَ: انْفَرَدْنَ (اللسان: فرد)، والرَّغام: الرَّمْلُ الْمُخْتَلِطُ بالتُّراب (اللسان: رغم) .

(٤١)

{ الطويل }

١ أَكُرُّ إلى لَيْلَى فَأَحْسَبُ أنَّني كَرِيمٌ على لَيْلَى ، وَغَيْرِيْ كَرِيمُها [١]

٢ فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَجْمَعْتُ تَرْكًا لِبَيْتِها وَفي الْعَيْنِ مِنْ لَيْلَى قَذًى لا يَرِيمُها [٢]

٣ لَئِنْ آثَرَتْ بِالْوُدِّ أَهْلَ بِلادِها عَلَى نازِحٍ مِنْ أَرْضِها لا نَلُومُها

٤ وَلا يَسْتَوِي مَنْ لا يُرَى غَيْرَ لَمَّةٍ وَمَنْ هُوَ ثاوٍ عِنْدَها لا يَرِيمُها [٣]

تَخريجُ الأبياتِ :

أمالي اليزيدي/ ١٥٠، رواها عَنْ عَمِّه عن عُيَيْنَة بنِ الْمِنهال، وكذلك في المراثي له/ ٣١١، وليست في العربِ ولا في ديوانه

(١) أشَرْتُ في ما تقدَّمَ إلى تَسْويغِ اسْمِ لَيْلى عِنْدَ الصِّمَّةِ في شِعرِه، وقَولُه: (أَكُرُّ) يَعني الرُّجوعَ إلى دِيارِها لِيَراها (اللسان: كرر)؛ لكنَّهُ وجَدَ غَيْرَه أَقْرَبَ إليْها مِنْهُ، ويبدو أنّه قالَ هذه الأبياتَ بَعْدَ زَواجِ رَيّا .

(٢) أجْمَعَ أمْرَهُ: حَزَمَ وعَزَمَ وصمَّمَ (اللسان: جمع)، ويَريمُ: يُفارِقُ (اللسان: ريم) .

(٣) اللَّمَّةُ: من الإلْمامِ، أي معالَجَةُ الأمْرِ بُرْهَةً يسيرةً، ومنه إلْمامُ الطَّيْفِ بالنّائِمِ (اللسان: لمم)، والثّاوي: الْمُقيمُ، والثُّواءُ: الإقامَةُ (اللسان: ثوى) .

قافيةُ النّون

(٤٢)

{ البَسيط }

١ يا صاحِبَيَّ، أطالَ اللهُ رُشْدَكُما — عُوجا عَلَيَّ صُدُورَ الأَبْغُلِ السَّنَنِ [١]
٢ ثُمَّ ارْفَعا الطَّرْفَ، هَلْ تَبْدُو لَنا ظُعُنٌ — بِحائلٍ ، يَا عَناءَ النَّفْسِ مِنْ ظُعُنِ [٢]
٣ أُحِبُّ بِهِنَّ! لَوَ انَّ الدّارَ جامِعَةٌ — وَبِالْبِلادِ الَّتِي يَسْكُنَّ مِنْ وَطَنِ
٤ طَوالِعَ الْحَبْلِ مِنْ تِبْراكَ مُصْعِدَةً — كَما تَتابَعَ قَيْدامٌ مِنَ السُّفُنِ [٣]
٥ يا لَيْتَ شِعْرِيَ ، وَالأَقْدارُ غالِبَةٌ — وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ أَحْيانًا مِنَ الْحَزَنِ
٦ هَلْ أَجْعَلَنَّ يَدِيْ لِلْخَدِّ مِرْفَقَةً — عَلى شَعَبْعَبَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ [٤]

---

(١) الأَبْغُلُ: جَمْعُ بَغْلٍ؛ وهو ابْنُ الفَرَسِ من الْحِمار (اللسان: بغل)، وعاجَ بالْمَكانِ: أقامَ فيهِ، وعاجَ على الْمَكانِ والإنسانِ: عَطَفَ طِريقَ سَيْرِهِ بحيثُ يَمُرُّ به (اللسان: عاج)، والسَّنَنُ: الْجَادَّةُ في سَيْرِها (اللسان: سَنن)، وفي العادَةِ تُستَخْدَمُ البِغالُ لنَقْلِ الْمَتاعِ إذا كانَتِ الطَّريقُ مُصْعِدَةً، وهذا يَظْهَرُ في البيت الثالث .

(٢) الظُّعُنُ: جَمْعُ ظَعينَة، وهي الْمَرأَةُ في الهَوْدَجِ تُحْمَلُ عَلى النّاقةِ، والظَّعينَةُ في أصْلِها النّاقَةُ التي تُستَعْمَلُ للسَّيْرِ في البادِيَةِ طلبًا للنُّجْعَةِ (اللسان: نَجع)، أمّا حائلٌ؛ فتقدّم الحديثُ عَنها، وهي ماءٌ لِبَني قُشَير في اليَمامة .

(٣) طَوالِع: جَمْعُ طالِعَةٍ، وهي الْمُصْعِدَةُ في سَيْرِها (اللسان: طلع)، والْحَبْلُ: القِطْعَةُ الْمُستَقيمَةُ الطّويلَةُ من الرَّمْلِ (اللسان: حبل)، وإضافَتُهُ إلى تِبْراك (نُفود الدَّحي) توضّحُ ذلك، فَتِبْراك كَما تقدَّمَ رَمْلٌ كُلُّه. أمّا الْقَيْدامُ مِنَ السُّفُنِ؛ فَهُوَ أوَّلُها حينَ تَكونُ جَماعَةَ سُفُنٍ مَعًا (اللسان: قدم) .

(٤) الْمِرْفَقَةُ: ما يُرْتَفَقُ عليْهِ من مُتَّكَإٍ أوْ مِخَدَّة (اللسان: رفق)، وشَعَبْعَبُ: ماءٌ لِبَني قُشَيْرٍ في الْيَمامة، وقد تقدَّمَ الحديثُ عنهُ، والْحَوضُ للْماءِ مَعْروفٌ، أمّا الْعَطَنُ؛ فَهُوَ مَبْرَكُ الإبِلِ حَوْلَ حَوضِ الماءِ (اللسان: عطن) .

٧ أصبحتُ ما ليَ من عزٍ ألوذُ به ... إلاّ التَّعَزُّزُ بعدَ السيفِ والبُدُنِ (١)

٨ بِعُرْضَةٍ جانبَ الأدنَوْنَ جانِبَها ... والأهلُ بالشامِ والإخوانُ باليَمَنِ (٢)

تَخريجُ الأبياتِ :

البيتانِ الأخيرانِ في ديوان المعاني ١/ ٢٣٥، وفيهِ عَنِ الفرّاءِ قالَ: "كُنْتُ عِنْدَ الكِسائيِّ، فقالَ له رجُلٌ: كيفَ أصبَحْتَ؟ فقالَ: أصبَحتُ كَما قالَ الصِّمَّةُ بنُ عبد اللهِ بنِ طُفَيلٍ القُشَيريّ: ..."، شعراء قشير ٢/٣٧١، ٣٧٢، ديوانه/١٣١

والأبيات ١-٦ في اللسان (شعب) مؤكِّدًا نسبتَها للصِّمَّة نقلاً عن ابنِ برّي، وذَكرَها ياقوتُ في مُعجم البلدان (شَعبْعَب)، ورَوى البَكْريُّ البيتَيْنِ ٥-٦ في معجم ما استَعجَم (شَعبْعَب) للصِّمَّةِ وَغَيْرِه، تاج العروس ١/٣٢١، مختار الأغاني ١٢/٣٢٤، بلاد العرب/٢٤٢، أعلام الشعر اليمامي/٩٢، وفي تعليقات الهَجَريّ- الحمادي جاءَ الشَّطْرُ الثّاني من ثاني الأبياتِ هَكذا : (بِحائل لاعناها السّوءُ من ظُعن)، وقالَ بعْدَها: "التَّشاخُسُ التَّفاوُتُ؛ يَركَبُ أحَدُ ..."، فظَنَّ المحقِّقُ (الحمادي) أنّه بيتُ شِعرٍ كاملٌ، فأثْبَتَهُ هكذا:

بِحائلٍ لا عناها السّوء من ظُعن ... التّشاخُس التفاوُت يَركبُ

العرب/ ١٧٥، ديوانه/١٣٢

---

(١) التَّعَزُّزُ: الانقِباضُ والاكْتِئابُ (اللسان: عزز)، والبُدُنُ: جَمْعُ بَدَنَةٍ؛ وهي النّاقةُ أو البَقَرةُ التي تُنحَرُ قُرْبانًا لِصَلاحِ حالِها وبَدَنِها (اللسان: بدن)، وهو يقصدُ هُنا إلى أنّ حالَه أصبَحتْ رَقيقَةً، فصارَ لا يَمْلِكُ من المالِ شيئًا إلاّ الانقِباض، بعْدَ أنْ كانَ فاعِلاً بسيْفِه، مالِكًا ما شاءَ من النَّعَم .

(٢) العُرْضَةُ: الهِمَّةُ العاليَةُ، وهي مأخوذةٌ من قولِهِم: ناقةٌ عُرْضَةٌ للسَّفَرِ؛ أي قويَّةٌ عليْهِ (اللسان: عرض)، والأدنَوْن: جَمعُ الأدْنَى؛ أي الأقرَب (اللسان: دنا) .

(٤٣)

{ الطويل }

١ ذَكَرْتُكِ والنَّجْمُ اليَـــمانيُّ كأنَّهُ وَقَدْ عارَضَ الشِّعْرى قَرِينُ هِجانِ [1]

٢ فَقُلْتُ لأصْحابي، ولاحَتْ غَمامَةٌ بِنَــجْدٍ، ألا لِلّهِ ما تَــــرَيانِ

٣ قِفا، لا نَرَى بَرْقًا تَقَـــطَّعَ دُونَه مِنَ الطَّرْفِ أبصــارٌ لَهُنَّ رَوانِ [2]

٤ ألا فَاحْـــمِلانيْ بارَكَ اللهُ فيكُما إلى حاضِـــرِ الماءِ الَّذي تَرِدانِ

٥ فَإنَّ عَلى الماءِ الذي تَـــرِدانِهِ غَرِيمًا لَوانِي الدَّيْنَ مُـــنْذُ زَمانِ [3]

٦ لَطِيفَ الحَشا عَذْبَ اللَّمَى طَيِّبَ الثَّنا لَهُ عِلَلٌ لا تَنْقَــــضي لِأَوانِ [4]

---

(١) النَّجْمُ اليَماني: سُهَيْلٌ. عارَضَه: سارَ حِيالَهُ وَقابَلَهُ (اللسان: عرض)، والشِّعْرى: كَوْكَبٌ نَيِّرٌ يَطْلُعُ عِندَ شِدَّةِ الحَرِّ، وهُما شِعْرَيانِ: الشِّعْرى العَبورُ، والشِّعْرى الغُمَيْصاءُ (اللسان: شعر)، والهِجانُ من الأشياء: أجْوَدُها وأكْرَمُها أصْلاً، ومِنَ الإبِلِ: البيضُ الكِرامُ (اللسان: هجن)

(٢) رَوان: جَمْعُ رَانٍ ورانِيَة، والرّاني الذي يُدِيمُ النَّظَر في سُكونِ طَرْفٍ (اللسان: رَنا)

(٣) لَواهُ دَيْنَهُ: مَطَلَهُ وَجَحَدهُ إيّاهُ (اللسان: لَوى)، والغَريمُ: الدّائنُ أو المَدينُ (اللسان: غرم)، ويقصد هُنا حَبيبَته التي وعَدَتْهُ، لكنَّ موعِدَها كانَ كَمواعيدِ عُرْقوبٍ؛ إذ كانت تَمْطُلُه وتَجْحَدُهُ ما وَعَدَتْهُ به. والبيتُ والّذي يليهِ رواهُما القالي في أماليهِ (٢ ص ١١٢) عن الأصْمَعيِّ هكذا:

إلَى اللهِ أشكو، ثُمَّ أثْنِي فَأَشْتَكِـــي غَرِيمًا لَوانِي الدَّيْنَ مُنْذُ زَمانِ

لَطِيفَ الحَشا عَبْلَ الشَّوى طَيِّبَ اللَّمى لَهُ عِلَلٌ لا تَنْقَضي وَأَمانـــي

(٤) الحَشَا: ما دونَ الحِجابِ مِمّا يَلي البَطْنَ كلّه مِنَ الكَبِدِ والطِّحالِ والكَرش وما تَبِعَ ذلك، وهُنا يقصد بهِ الخَصرَ، يُقالُ لَطيفُ الحَشا: إذا كانَ أهْيَفَ ضامِرَ الخَصْرِ (اللسان: حَشا)، واللَّمَى: سُمْرَةٌ في الشَّفَتَيْنِ تُسْتَحْسَنُ، وهي كالحُوَّةِ (اللسان: لَمى)، والثَّنا: مَقصورُ الثَّناء، وهُوَ الذِّكْرُ الحَسَنِ والمَديحُ (اللسان: ثنى)، والعِلَلُ: جَمْعُ عِلّة، وهي الشَّواغِلُ والأعْذارُ والأسْبابُ التي يتنصَّلُ بِها الإنسانُ مِمّا عَلَيْهِ لِغَيْرِه .

٧ إِذا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنايَ قالَتْ صَحابَتي ... إِلَى كَمْ تُرَى عَيْناكَ تَبْتَدِران

٨ تَواهَسَ أَصْحابي حَديثاً لِقِيتُهُ ... خَفِيًّا وَأَعْضادُ الْمَطِيِّ حَوانِ [(١)]

٩ أَفي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رامٍ بِلادَها ... بِعَيْنَيْنِ إِنْساناهُما غَرِقانِ [(٢)]

١٠ كَأَنَّ قَذًى بِالعَيْنِ قَدْ مَرِجَتْ بِهِ ... وَما حاجَةُ الأُخْرَى إِلَى الْمَرَجانِ [(٣)]

١١ فَعَيْنَيَّ يا عَيْنَيَّ حَتّامَ أَنْتُما ... بِهِجْرانِ أُمِّ الغَمْرِ تَخْتَلِجانِ [(٤)]

١٢ أَما أَنْتُما إِلاَّ عَلَيَّ طَليعَةٌ ... عَلى قُرْبِ أَعْدائي وَبُعْدِ مَكاني [(٥)]

١٣ بَكَيْتُ بِعَيْنٍ لَمْ تَخُنْها ضَمانَةٌ ... وَأُخْرَى بِها رَيْبٌ مِنَ الْحَدَثانِ [(٦)]

١٤ عَذَرْتُكِ يا عَيْني الصَّحيحَةَ بِالْبُكا ... فَما لَكِ يا عَوْراءُ وَالْهَمَلانِ

(١) التَّواهُسُ: شِدَّةُ الْغَمْزِ في الْحَديثِ عَنِ الآخَرينَ، وعادَةً ما يَكونُ هَمْسٌ (اللسان: وهس)، أعْضادُ الْمَطِيِّ: ما بَيْنَ مَرافِقِها إلى أَكْتافِها (اللسان: عضد)، حَوان: مُلْتَوِيَةٌ مُنْحَنِيَة (اللسان: حنى) .

(٢) إِنسانُ الْعَيْنِ: البُؤْبُؤ (اللسان: أنس)، غَرِقانِ: مُثَنّى غَرِق، وهو ومُغْرَوْرِق بِمَعْنًى واحِد (اللسان: غرق) .

(٣) مَرِجَت العَيْنُ بالْقَذى: اخْتَلَطَ بِدَمْعِها حتّى أَسْقَطَهُ (اللسان: مرج) .

(٤) اخْتَلَجت الْعَيْنُ: خالَجَها الدَّمْعُ للذِّكْرى حُزْنًا، فسالَت به واضْطَرَبت حَرَكَتُها (اللسان: خلج) .

(٥) الطَّليعَةُ من الجيشِ ونَحْوِهِ: أوَّلُ ما يَطلُعُ منه، والطَّليعَةُ كالْجاسوسِ، مَنْ يَطَّلِعُ طِلْعَ الْعَدُوِّ؛ أي يستكشِفُ ويَكشِفُ ما يُخْفِيهِ (اللسان: طلع)، والعَيْنُ تَكونُ طَليعَةً عَلى ما تُجِنُّ الْجَوانِحُ لأنّها تَكشِفُ ما يُخْفِيهِ الإنسانُ من مشاعِرِه تُجاهَ غَيْرِه، ومنه قولُهُم: (إذا العَيْنُ راحَتْ وَهْيَ عَيْنٌ عَلى الْجَوى فَلَيسَ بِسِرٍّ ما تُسِرُّ الأَضالِعُ) .

(٦) الضَّمانَةُ: الدّاءُ (اللسان: ضمن)، ورَيْبُ الْحَدَثانِ: صُروفُ الدَّهْرِ ومَصائِبُه (اللسان: ريب) .

تَخريجُ الأبيات :

أمالي اليزيديّ/ ١٤٩ وفيها روى اليزيديّ عن عمّه عبيد الله عن ابنِ الكَسْـــكَريّ في تفسيرِ بيتِهِ (بَكَتْ عَينيَ اليُسْرى)،"قالَ: كانَ أعْوَرَ"، وكذلك في المراثي لليزيدي/ ٣٠٩، الحماسة البصريّة ٢/١٥٤، وقد نُسِبَتْ فيها لابْنِ الدُّمَيْنَة، ووردَ البيتُ الثّـــامن منها في الفصول والغاياتِ /٣٩٦ منسوباً لبعضِ العُورِ من العــــربِ، أمـــالي القـــالي ١١٢/٢، وفي سمط اللآلي ٤٦٢/١-٤٦٣ للصِّمّة القشيري، وقد أفادَ الأستاذ الميمَـــنيُّ في الحاشية أنّها للصِّمَّة القشيريّ، ونقلَ نصًّا من كتاب زِيادات الأَمْثال كانَ صاحبُـــه نقَلَه عَنِ البكريّ، مُحاولاً فيه تَوضيحَ صَوَابِ روايةِ (عَيْنِيَ اليُسْرى) لا (اليُمْنَى) جاءت ثلاثةُ أبياتٍ منها فيهِ. وابن الدُّمَيْنَة لَمْ يُعرَف بالعَوَر، ديوانه/ ١٢٩(أربعة أبيـــات)، وفي المختار من شِعر ابنِ الدُّمَيْنَة/١٩ بغيرِ عَزو

(٤٤)

{ الطّويل }

١ رَأَتْنِيْ الْغَوانِيْ قَدْ تَرَدَّيتُ شَمْلَةً ... وأَزَرْتُ أُخْرى ، فَازْدَرتْنِيْ عُيُونُها [(١)]

٢ وَفِي شَمْلَتِيْ - لَوْ كُنَّ يَدْرِينَ - سَوْرَةٌ ... مِنَ الْجَهْلِ ، مَجْنونٌ بِهِنَّ جُنُونُها [(٢)]

تَخريجُ الأبياتِ :

الأشْباه والنّظائر ٢/ ٢٤٤، العرب/ ١٧٥، شعراء قُشَير ٢/٣٨٣، ديوانه/ ١٣٥

---

(١) الغوَاني: جَمْعُ غانِيَة، وهي التي استَغْنَت بِجَمالِها عَنِ الْحَلْي (اللسان: غنى)، وتَرَدّى بالرِّداءِ: لَبِسَهُ (اللسان: ردى)، والشَّمْلَةُ: شُقَّةٌ من الثّيابِ ذاتُ خَمْلٍ يُتَوَشَّحُ بِها ويُتَلَفَّعُ، وكِساءٌ من صوفٍ أو شَعَرٍ يُتَغَطّى بِهِ ويُتَلَفَّفُ به (اللسان: شمل)، ويدلُّ قولُهُ: (وأَزَّرْتُ أُخرى) عَلى أنّه عَنى الأُولى والثّانيةَ؛ أي وضَعَ إحداهُما على رَأسِهِ، والأُخرى عَلى جَسَدِهِ، وهذا لا يَكونُ إلاّ من كَبيرِ السِّنِّ، أو العاجِز . أمّا ازْدَرَتْني عُيونُها؛ فاسْتَحْقَرَتْني وعابَتْني بأنْ نَظَرَتْ هُزْءًا واحْتِقارًا (اللسان: زرى) .

(٢) سَوْرَةُ الْجَهْلِ: حِدَّتُهُ (اللسان: سور)، وهو يستَنْكِرُ عليهِنَّ مثْلَ ذلكَ، مُنْكِرًا عَجْزَهُ .

(٤٥)

{ الطّويل }

١ وَحَنَّتْ قَلُوصِـي آخِرَ اللَّيْلِ حَنَّةً ... فَيا رَوْعَـــةً ما راعَ قَلْبِيْ حَنِينُها [١]

٢ حَنَتْ فِي تَنائِـيها، وَشُـبَّ لِعَيْنِها ... سَنا بارِق وَهْنًا ، فَـجُنَّ جُنُونُها [٢]

٣ فَقُلْتُ لَها: صَـــبْرًا، فَكُلُّ قَرِينَةٍ ... مُفارِقُها- لا بُدَّ يَوْمًا- قَـــرِينُها [٣]

٤ فَما بَرِحَتْ حَتّى ارْعَوَيْنا لِصَوْتِها ... وَحَتّى أنْبَرَى مِـــنّا مُعِينٌ يُعِينُها [٤]

٥ تَحِنُّ إلى أَهْلِ الْحِجازِ صَــبابَةً ... وَقَدْ بُتَّ مِنْ أَهْلِ الْحِجازِ قَرِينُها [٥]

٦ فَيا رَبِّ أَطْـلِقْ قَيْدَها وَجَرِيرَها ... فَقَدْ راعَ أَهْلَ الْمَسْجِدَيْنِ حَنِينُها

٧ فَقُلْتُ لَها: حِـــنِّي رُوَيْدًا، فَإِنَّنِي ... وَإِيّاكِ نُبْدِي عَوْلَةً سَـــــنُبِينُها [٦]

---

(١) حَنَّتِ النّاقَةُ: صَوَّتَتْ صَوْتًا حَزِينًا إذا تذكَّرَتْ فَصِيلَها، أو مرَّتْ بِمكانٍ كانَ لَها فيهِ ذِكْرى ومُقام (اللســـان: حنن)، والقَلوصُ: النّاقَةُ الفَتِيَّةُ الشَّديدَةُ (اللسان: قلص) .

(٢) حَنَتْ: مِنَ الْحُنُوِّ؛ أيْ تَذَكَّرَتْ فَحَنَتْ وعَطَفَتْ وأشْفَقَتْ (اللسان: حنا)، والتّنائي: البُعْدُ (اللســـان: نـأى)، وقولُهُ: (شُبَّ لِعَيْنِها سَنا بارِقٍ)؛ يَعني أنّها رأتْ ضوءَ بارِقٍ مُنيرٍ، والْوَهْنُ: نِصْفُ اللّيْلِ أو بَعْـــدَ ســـاعَةٍ منـــهُ (اللسان: وهن)، ويكونُ ذلكَ أدْعى لظُلْمَةِ اللّيْلِ .

(٣) حَديثُهُ إلى النّاقةِ هُنا يَنْسَجِمُ مع حالَةٍ نفسيَّةٍ يعيشُها هُو؛ فَهُو يُحاوِلُ أنْ يَصْدَعَ نَفْسَهُ بالْحِكْمَـــةِ لِيَكْبَـــحَ جِمـــاحَ الشّوقِ في قَلْبِه، ومُخاطَبَةُ العربيِّ ناقَتَهُ؛ أو جَعْلُها تُخاطِبُه مِمّا يَدُلُّ على أُلْفَةٍ بيْنَهُما، حتّى وإنْ كانَ ذلكَ في الشِّـــعْرِ، ولعنترَةَ مع فَرَسِهِ، والمثقّبِ العَبْدِيِّ مع ناقَتِهِ ، والمتنبّي مع حِصانه في شِعْبِ بَوّان، شيءٌ طَريفٌ في هذا الجانب .

(٤) بَرِحَتْ تُرْسِلُ ذلكَ الصّوتَ الحزينَ، ارْعَوَيْنا: انْتَبَهْنا وَحَمَلْنا بَعْضَ ما تَجِدُه (اللسان: رعا)، انْـــبَرى مُعِـــينٌ: عرضَ أحَدُهُم لِصَوْتِها فقلّدَهُ وباراهُ لِكَيْ يُخَفِّفَ عَنْها .

(٥) بُتَّ: قُطِعَ حَبْلُ وِصالِها مع قَرِينِها (اللسان: بتت) .

(٦) الْعَوْلَةُ: رَفْعُ الصَّوْتِ بالْبُكاءِ والصِّياحِ، وحَرارَةُ الْحُبِّ والْحُزْنِ من غَيرِ نداءٍ ولا بُكـــاءٍ؛ جَمْعُـــها (عِـــوَل) (اللسان: عَول)، ولعلَّ الأخيرَةَ أَوْلى؛ لأنَّ عَوْلَتَهُ وعَوْلَتَها مَخفيَّتانِ يُظْهِرُهُما الْبُكاءُ والصِّياحُ .

٨ خَليلَيَّ ، هَلْ بِالشّامِ عَيْنٌ حَزينَةٌ ... تُبَكّي على نَجْدٍ لَعَلّي أُعِينُها ؟ [١]

٩ وَهَل بائِعٌ نَفْسًا بِنَفْسٍ، أَوِ الأَسَى ... إِلَيها فَأَجْلاها بِذاكَ حَنينُها ؟ [٢]

١٠ وَأَسْلَمَها الباكُونَ إِلاّ حَمامَةً ... مُطَوَّقَةً قَدْ بانَ عَنْها قَرِينُها [٣]

١١ تُجاوِبُها أُخْرى عَلى خَيْزُرانَةٍ ... يَكادُ يُدَنّيها مِنَ الأَرْضِ لِينُها [٤]

١٢ نَظَرْتُ بِعَيْنَيْ مُؤْنَسِيْنِ فَلَمْ أَكَدْ ... أَرَى مِنْ سُهَيْلٍ نَظْرَةً أَسْتَبِينُها [٥]

١٣ فَكَذَّبْتُ نَفْسِيْ، ثُمَّ راجَعْتُ نَظْرَةً ... فَهَيَّجَ لِيْ شَوْقًا لِنَجْدٍ يَقِينُها [٦]

تَخريجُ الأبياتِ :

محاضرة الأبرار ٢/٢٥، الحماسة الشَّجريّة ٢/٦٠٤-٦٠٥، وهي في الحماسة البصريّة ٢/١٥٥، ورواها لأمّ المثلّم الهذليّة، وتُروى لِكَريمةَ بنتِ أسَد، وفي أمالي الزّجّاجي/٢٠١ لِبَعضِ الأعرابِ. وآخِرُ سِتَّةٍ مِنها في مُعجَم البلدانِ (نَجد)، ونسبَ ابنُ خلّكان البيتين ١،٣ لابنِ الطَّثْرِيَّةِ في الوَفَياتِ ٦/٣٧٢. ديوانه/١٣٦ (خمسة أبيات)

---

(١) تُبَكّي: أي تَبكي بشِدَّةٍ وإعْوالٍ (اللسان: بكى) .

(٢) أجْلاها حَنينُها: أي خَلَّصَها حَنينُها من الْهَمِّ والْحَزَنِ الذي تَجِدُ حَرارَتَهُ في أحشائِها، وأجْلى المَمَّ عنه: أزالَهُ وكَشَفَهُ (اللسان: جلا) .

(٣) يُصوِّرُ الشّاعِرُ وَجْدَهُ مرَّةً بالنّاقةِ التي حَنّتْ لِما وَجَدت من شَوق لِقَريِنها بالْحِجاز الذي بُتَّ حَبْلُها منه، ثُمَّ يَلجَأُ لتصْويرِ شَوْقِه بما تَجِدُ الْحَمامَةُ التي فارَقَتْ قَرينَها، وَجَعلَتْ حَمامَةً اُخرى تُسلّي عَنها الْهَمَّ كما فَعَلَ هُوَ وصَحْبُهُ بِتِلْكَ النّاقةِ قَبْلُ، والْحَمامَةُ الْمُطَوَّقَةُ: التي يَظْهَرُ علي عُنُقِها طَوْقٌ بريشٍ مختَلفِ اللوْنِ عَنْ لَوْنِ سائِرِ ريشِها (اللسان: طوق) .

(٤) دَنّاها: قرَّبَها مُبالَغَةً في الدُّنُوِّ (اللسان: دنا)، واللينُ في الْخَيْزُرانَةِ: صِفَةٌ تَجعَلُها قابِلَةً للتّثَنّي والانْحِناءِ .

(٥) الْمُؤْنِسُ: الْمُدَقّقُ في نَظَرِهِ، الْمُوْقِنُ مِمّا يَرى، وأصلُها من الإيناسِ، وهو أيضًا نُورُ الْوَحْشِ (اللسان: أنس)، وسُهَيل: هُوَ النَّجْمُ اليَمانيّ، قِيلَ: عِنْدَ طُلوعِهِ تَنضَجُ الفَواكِهُ ويَنْقَضي القَيْظُ، وفي المَثَلِ: (إذا طَلَعَ سُهَيْلٌ، رُفِعَ كَيْلٌ ووُضِعَ كَيْلٌ)، يُضرَبُ في تبدُّلِ الأَحْكامِ (اللسان: سهل) .

(٦) رَاجَعْتُ النَّظْرَةَ: أعَدْتُ النَّظَرَ كرَّةً أخرى (اللسان: رجع)، يَقينُ العَيْنِ: تيقُّنُها من الرُّؤْيَةِ والعِلْمِ بِما رَأَتْ (اللسان: وقن) .

قافيةُ الياء

(٤٦)

{ الطّويل }

١ أَلا تَسْأَلانِ اللهَ أَنْ يَسْــــقِيَ الْحِمَى   بَلَى ، فَسَــــقَى اللهُ الْحِمَى وَالْمَطالِيا[١]

٢ وَأَسْأَلُ مَنْ لاقَيْتُ: هَلْ مُطِرَ الْحِمَى   فَهَلْ يَسْأَلَنْ عَنّيْ الْحِمَى: كَيْفَ حالِيا[٢]

٣ وَإِنّيْ لأَسْـــــتَسْقِي لِثِنْتَيْنِ بِالْحِمَى   وَلَوْ تَمْلِكانِ الْبَحْرَ ما سَـــــقَتانِيا[٣]

تخريجُ الأبياتِ:

الأمـالي ١/١٩٤-١٩٥، الأغـاني ٥/ ٢٩٢، تَجريـد الأغـاني ق١ج٢/٧١٦، مهذّب الأغاني ٤/١٨٦، معجم البلدان (حِمَى)؛ الوافي بالوفَيات ١٦/١٩٣، العـرب/ ١٧٥، الحنين إلى الأوطان/١١٦، شعراء قُشَير ٢/٣٩٩، ديوانه/ ١٤٠

---

(١) الْحِمَى: تقدَّمَ التَعريفُ بِهِ، وكلُّ ما هُوَ من أرْضِ القبيلَةِ يُسَمّى حِمًى. الْمَطالي: أرضٌ واسِعَةٌ من بِلادِ أبي بَكْرِ ابْنِ كِلاب (مراصد الأطلاع: المطالي)، قالَ ياقوت: "كَأنَّهُ جَمْعُ مَطْلًى، وهـو الموضِـعُ الـذي تُطْلى فيـه الإبـلُ بالقَطِرانِ والنّفط، وهو مَوْضِعٌ بِنَجْران ...، وقالَ أبو زياد: وَمِمّا يُسَمّى من بِلادِ أبي بَكـر بْـنِ كِـلابٍ تسْـمِيَةٌ فيها خَطُّها من الْمِياهِ والجِبالِ الْمَطالي، وواحِدُها الْمَطْلى، وهي أرضٌ واسِعَةٌ" (البلدان: المطالي)، وفيهِ ما يـدلُّ عَلى أنها قريبَةٌ من نَجْدٍ، بل فيهِ ما هُوَ قريبٌ من عَجُزِ البيتِ قَولُ أعرابيٍّ : (سَقى اللهُ لَيْلَى والْحِمَى والْمَطالِيـا)

(٢) قَوْلُهُ: (يسْأَلَنْ عَنّي الْحِمَى)، هُوَ على الْمَجاز لأنّه ذكرَ الْمَحَلَّ وأرادَ الْحـالَّ فيـهِ، مثـل قولِـهِ تعـالى: [واسْألِ القَرْيَةَ]، أي واسْأَلْ أهْلَ الْقَرْيَةِ .

(٣) لعلَّهُ يقصُدُ هُنا زَوْجَتَه جَبْرَةَ بِنتَ وَحشِيّ التي تزوَّجَها ثُمَّ هَجَرَ دِيارَه إلى الشّامِ فَطَبَرستان، ورُبّما العامرِيَّـةَ الـتي لَمْ يُصِرَّ عَلى الزّواجِ مِنْها، فَهَجرَ الدِّيارَ بَعْدَ أنْ زُوِّجَتْ من غَيْرِه وهي تَحْمِلُ عشْـقَهُ في صَدْرِهـا، وكِلتاهُمـا لا رَيْبَ غاضِبَةٌ منه، كارِهَةٌ له .

(٤٧)

{ الطّويل }

١ أرَى الدّهْرَ بالتّفْريقِ والبْيْنِ مُوْلَعًا ... ولِلجَـــمْعِ ما بَيْنَ الْمُحِبّينَ آبِيا [١]

٢ فَأُفٍّ عَلَيْهِ مِنْ زَمـــانٍ ، كَأنّنِي ... خُـــلِقْتُ وإيّاهُ نُطِيلُ التّعادِيا [٢]

تَخريجُ الأبياتِ :

تَزيين الأسواق ١/ ٢٣١، ولَـــمْ تَـــرِدْ في العـــرب، شـــعراء قُشَـــير ٢/٣٩٥، ديوانه/١٣٩

(١) البَيْن: الفرقَةُ والانتِزاح (اللسان: بان)، والْمُوْلَعُ بالشّيء: الوامِقُ له؛ الذي يتعلّقُ به تعلُّقًا شَديدًا (اللسان: ولع)، والآبِيْ: الرّافِضُ الْمُمْتَنِعُ (اللسان: أبي)، وهو هُنا يُلْقي باللّوْمِ عَلى الدّهْرِ لِمواساةِ نفسِه .

(٢) أُفّ عَلَيْهِ، وأُفٌّ له: كِلاهُما بِمَعْنًى، والتّأفُّفُ: التّضَجُّرُ وقوْلُ (أفٌّ) من كَرْبٍ أو ضَجَرٍ (اللسان: أفف).

(٤٨)

{ الطّويل }

١ سَقَى اللهُ أَطْلالاً بِأَكْثِبَةِ الْحِمَى ... وإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ للنَّاسِ دائِيا [(١)]

٢ مَنازِلَ لَوْ مَرَّتْ بِهِنَّ جَنازَتِي ... لَقالَ الصَّدَى: يا حَامِلَيَّ، ارْبَعا بِيا [(٢)]

تَخريجُ الأبياتِ :

الحماسة البصريّة ١٣٣/٢، وقالَ: "وقالَ مَرار بْنُ هَبّاش الطّائيّ، وتُروَى للصِّمَّة القُشَيريّ"، ويَذكُر المحقّق أنّه لَم يقف على شاعرٍ بهذا الاسمِ، وأنّ إحدى النُّسَخ انفرَدَتْ بِنسْبَةِ البيْتَينِ للصِّمَّةِ دونَ غيرِه. والبيتانِ فَوقَ هذا يَتوافَقانِ مع الأبياتِ التي سبَقَتْهما، مِمّا يُرجِّحُ أنْ يَكونا للصِّمَّة . ولَمْ يَرِدا في العرب، شُعراء قُشَير ٣٩٣/٢، ديوانه/١٣٨

---

(١) الأطلالُ من الدِّيار: رُسومُها الباقِيَةُ منها بَعْدَ خَلائِها من أهْلِيها (اللسان: طلل)، وأَكْثِبَةُ الْحِمَى؛ جَمْعُ كَثِيبٍ، وهي تِلالُ الرَّمْلِ، وقد عُرِفَت دِيارُهُم بِكَثْرَةِ الأَكْثِبَةِ فيها، قالَ في (صفَةِ الجزيرةِ: ١٤٨): "وَمِلْحُ الْحَاجِرِ قَرارَةٌ بَيْنَ أَكْثِبَةٍ"، وهي في بَطنِ حايلٍ، أشْهَرِ مِياهِ دِيار بَني قُشَيْرٍ. وقولُهُ : (أَبْدَيْنَ ...)؛ يَعني أنّ هذه الأَكْثِبَةَ لَمّا رَآها الشّاعِرُ هاجَتْ حُزْنَه ووجْدَه، فانْهَلَّتْ عَيْناهُ بالبُكاء، فكَأنّها كَشَفَتْ عَنِ الدّاءِ الذي يُجِنُّهُ ويَستُرُه .

(٢) الصَّدَى: الْهامَةُ؛ وهو طائِرٌ كانَ العربُ يزْعُمونَ أنّه يَخرُجُ من هامَةِ القَتيلِ، ويقولُ: اسْقُوني، اسْقُوني؛ حتّى يُؤْخَذَ بِثأْره (اللسان: هام)، ارْبَعا بِيا: أيْ انْزِلا بِيَ في هذا الْمَكانِ، وأقِيما بِيَ فيهِ (اللسان: ربع).

الفَهارِسُ العَامَّةُ

لِشِعْرِ الصِّمَّةِ

١. فِهرَسُ الأشعار

٢ . فهرسُ الأعلامِ

٣. فهرسُ الأماكن

ثَبتُ المَصادر والمَراجع

- الإبانة في اللغة العربيّة، سَلَمة بن مسلِم العوتبيّ الصُّحاريّ، تحقيق د. عبد الكريم خليفة وزُملائه، (عُمان: وزارة التّراث القومي والثقافة، ١٩٩٩)
- الأشباه والنّظائر من أشعار المتقدّمين والجاهليّين والمخضرمين، الخالديّان: أبو بكر محمد بن هاشم، وأبو سعيد عثمان بن هاشم، تحقيق محمّد يوسف، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر، ١٩٦٥)
- الإصابة في تَمييز الصّحابة، شِهاب الدّين أحمَد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، تحقيق محمّد علي البجّاوي، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢)
- الأعْلام، خير الدّين الزّركليّ، ط١٠، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢)
- الأغاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)
- الأمالي، أبو عبد الله محمد بن العبّاس بن محمد اليزيديّ، (حيدر آباد الدّكن: جمعيّة دائرة المعارف العثمانيّة، ١٩٤٨)
- أمالي الزَّجّاجي، أبو القاسم عبد الرّحمن بْنُ إسحاق الزَّجّاجيّ، تحقيق وشَرح عبد السّلام هارون، (بيروت: دار الجِيل، ١٩٨٧)
- الأمالي في لغة العرب، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، (بيروت: دار الكتب العلميّة، مكّة المكرّمة: دار الباز، ١٩٧٨)
- بِلاد العرب، الحسن بن عبد الله الأصفهاني، تحقيق حمَد الجاسر وصالح العَلي، (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٨)
- بهجَة الْمَجالِس وأنْس الْمُجالِس وشَحذ الذّاهنِ والْهاجِس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ القرطبيّ، تحقيق محمد الخولي، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٢)

- تاج العروس من جواهر القاموس، السيّد محمد مرتَضى الزّبيدي، (بيروت: دار ومكتبة الحياة، د.ت)
- تجريد الأغاني، ابن واصل الْحَمويّ، تحقيق د. طه حسين وإبراهيم الأبياري، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٥٥)
- التّذكرة السّعدِيَّة في الأشعار العربيّة، محمّد بن عبد الرّحمن بن عبد المجيد العبيديّ، تحقيق عبد الله الجبوري، (النّجف الأشرف: مَطابع النُّعمان، ١٩٧٢)
- التّذكرة الْحَمْدونيَّة، محمد بن الحسن بن محمّد بن حمدون، تحقيق د. إحسان عبّاس وبكر عبّاس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦)
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشّاق، داود بن عُمر الأنطاكي، تحقيق وتعليق القدس للدّراسات والبحوث، (القاهرة: دار البيان العربي، د.ت)
- التّعليقات والنّوادر، أبو عليّ هارون بن زكريّا الْهَجَرِيّ:
تحقيق حَمد الجاسر، (الرِّياض: الْمُؤلِّف، ١٩٩٢)
تحقيق حمود عبد الأمير الحمادي، (بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة، ١٩٨٧)
- جَمْهَرة أنساب العرب، أبو محمد عليّ بن أحمد بن سَعيد بن حزم الأندلسيّ، تحقيق وتعليق عبد السّلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)
- جَمْهَرة النَّسب، هشام بن محمّد السّائب بن الكّلبيّ، حقّقه ناجي الحسن، (بيروت: عالَم الكُتُب، ١٩٩٣)
- الْحَماسة البصريّة، صدر الدّين أبو الفرج بن الحسين البصريّ، اعتَنى بتصحيحه والتّعليق عليه د. مختار الدّين أحمد، (حيدر آباد الدّكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، ١٩٦٤)
- الْحَماسة الشَّجَرِيَّة، هبة الله بن عليّ بن حمزة العلويّ المعروف بابن الشّجَريّ، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٠)

- الْحَماسة الْمَغربيَّة، أبو العبّاس أحمد بن عبد السّلام التّادلي الجراوي، تحقيق محمد رضوان الدّاية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفِكر، ١٩٩١)
- الحنين إلى الأوطان، أبو عثمان عَمْرو بن بحر الجاحظ، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٢)
- خِزانة الأدب ولبُّ لُباب لِسان العرب، عبد القادر بن عُمر البغداديّ، تحقيق وشرح عبد السّلام محمد هارون، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٨)، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨١)
- ديوانُ الْحَماسة، أبي تَمّام حبيب بن أوس الطّائي:
  شرح وتعليق أحمد حسن بسج، ط١، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٨)
  علّق عليه محمّد عبد المنعم خَفاجي، (القاهرة: مكتبة محمّد علي صبيح، ١٩٥٥)
- ديوان الصِّمَّة بن عبد الله القشيريّ، د. عبد العزيز الفيصل، (الرّياض، النّادي الأدبي، ١٩٨١)، ضِمن سلسلة كتاب الشّهر (رقم ٣٢)
- ديوان ابن الدّمينة، عبد الله بن الدُّمَيْنَة، تحقيق الأستاذ راتب النّفّاخ، (القاهرة: مكتبة دار العروبة، ١٩٥٩)
- ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن سَهل العسْكَريّ، طِبْعَة مُقابَلَة على نُسْخَتَي الشّيخين الشّنقيطي ومحمّد عبده، (بيروت: دار الجيل، د.ت)
- ديوان يزيد بْن الطَّثْرِيَّة، دراسة وجَمع وتحقيق د. ناصر بن سَعد الرّشيد، (الرياض: دار مكّة للطّباعة والنّشر، ١٩٨٠)
- سِمط اللآلي في شَرحِ أمالي القالي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكريّ، تحقيق عبد العزيز الْمَيْمَنِيّ، (بيروت: دار الحديث، ١٩٨٤)
- شاعر وقصيدة - مختارات شِعريّة، مُصطَفى طلاس، (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٥)

- شَرح حَماسة أبـي تَمّـام، أبـو الحجّـاج يوسـف بـن سـليمان بـن عيسـى الأعلـم الشَّنْتَمَرِيّ، تحقيق د. علي المفضَّل حمّودان، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٢)
- شرح ديوان الحماسة، (المنسوب) لأبي العلاء أحمد بـن عبـد الله الْمَعَـرِّيّ، حقّقـه محمّد نقشة، (بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ١٩٩١)
- شَرْح دِيوان الْحَماسة، أبو عليّ أحمد بن محمد بن الحسـن المرزوقـيّ، نشـره أحمـد أمين وعبد السّلام هارون، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١)
- شرحُ ديوان قيس بْنِ الْمُلَوَّح، شرح وتحقيـق د. رحـاب عَكّـاوي، (بـيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٤)
- شرح شَواهد الْمُغْنِي، جلال الدّين عبد الرّحمن بـن أبـي بَكـر السّـيوطيّ، وبذيلـه تصحيحـات وتعليقـات الشّيخ محمّد الشّنقيطي، تحقيـق أحمـد ظـاهر كوجـان، (دمشق: لجنة إحياء التراث العربي، ١٩٦٦)
- شَرح الْمَضْنون به على غـير أهلِـه، عُبَيـد الله بـن عبـد الكـافي، (القـاهرة: مطبعـة السّعادة، ١٣٣١هـ)
- شُعَراء بَني قُشَير في الجاهليّة وصدر الإسلام حتّى أواخر العصـر الأُمَـويّ، د. عبـد العزيز الفيصل، (القاهرة: عيسى البابي الحلبيّ، ١٩٧٨)
- شُعَراء نَجْد والْحِجاز والعِراق، جَمْع الأب لويس شِيخُو، (بيروت: مطبعـة الآبـاء اليسوعيّين، ١٨٩٠)
- شُعَراء الأُمكِنَة وأشعارهم في مُعْجَم البلدان، جـورج خليـل مـارون، بإشـراف د. ياسين الأيّوبي، (بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠٠)
- الشِّعر والشُّعراء، أبو محمد عبد الله بن مسـلِم بـن قُتَيْبَـة الدِّيْنَـوَرِيّ، (بـيروت: دار الثقافة، د.ت)
- زَهر الآداب، أبو إسحق لإبراهيم بن عليّ الْحُصَرِيّ القَـيْرَوانِيّ، قـدّم لـه وشـرحه صلاح الدّين الهواريّ، (بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠١)

- الزَّهْرَة، أبو بكر محمّد بن سُلَيمان الأصفهانيّ، تحقيق د. إبراهيم السّامرّائي، نوري حمودي القيسي، (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٥)
- صِفَة جزيرة العرب، أبو محمّد الحسن بن عليّ الهمذاني، حقّقه محمد بن علي الأكوع، (الرّياض: دار اليمامة، ١٩٧٤)
- الطّرائف الأدبيّة، عبد العزيز الْمَيْمَنِيّ، (القاهرة: مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ١٩٣٧)
- عُيون الأخبار، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة، (القاهرة: المؤسسة المصريّة العامّة، ١٩٥٢)
- لِسان العرب، جَمال الدّين محمد بن مكرَم بن منظور، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٦)
- الفاضل، أبو العبّاس محمّد بن يزيد الْمُبَرِّد، تحقيق عبد العزيز الميمَنيّ، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٩٥٦)
- الفهرست، ابن النّديم محمّد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالورّاق، تحقيق رضا تجدّد، (طهران: د.م، ١٩٧١)
- الفهرست: دراسة بيوجرافيّة ببليوجرافيّة ببليومتريّة وتحقيق ونشر د. شَعبان خليفة ووليد محمّد الغُورة، (القاهرة: العربي للنّشر، ١٩٩١)
- المؤتلف والمختلف، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، تحقيق عبد الستّار فرّاج، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١)
- مائة قصيدة مختارة من مطوَّلات الشّعر العربي القديم، عبد الهادي حَمّاد، (عَمّان: ٢٠٠٠)
- الْمُجْتَنى، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد، (حيدر آباد الدَّكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، ١٩٦٣)
- مجلّة العرب ـ مجلّة شهريّة جامعة، الجزء الأوّل، تشرين الأوّل، السّنة الأولى ١٩٦٦
الجزء الأوّل، تشرين الأوّل، السنة الثانية ١٩٦٧

- مَجموعة الْمَعاني، إعداد عبد السّلام محمّد هارون، (بيروت: دار الجِيل، ١٩٩٢)
- مُحاضرة الأبرار ومسامرة الأَخْيار في الأدبيّات والنّوادر والأخبار، مُحيي الدّين ابن العربي، (القاهرة: مطبعة السّعادة، ١٩٠٦)
- الْمَراثي، محمّد بن العبّاس اليزيديّ، تحقيق محمّد نبيل طريفي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١)
- الْمُرشِد إلى فَهم أشعار العرب، د. عبد الله الطَّيِّب المجذوب، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبيّ، ١٩٥٥)
- مَعاني أبيات الْحَماسة، أبو عبد الله الحسين بن عليّ النَّمَريّ، تحقيق د. عبد الله عسيلان، (القاهرة: مطبعة المدنيّ، ١٩٨٣)
- مَعاهِد التّنصيص على شواهد التّلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العبّاسي، حقّقه وعلّق حواشيه محمد محيي الدّين عبد الحميد، (بيروت: عالَم الكُتب، ١٩٤٧)
- مُعْجَم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الْحَمَويّ، تحقيق د. إحسان عبّاس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)
- مُعْجَم البلدان، شِهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمَوِيّ الرّوميّ، (بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٩٨٤)
- مُعْجَم الشُّعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران الْمَرْزُبانيّ، تصحيح د. ف. كرنكو، (بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت)
- مُعْجَم الشُّعَراء في لِسان العرب، د. ياسين الأيّوبي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠)
- مُعْجَم الشُّعراء الْمُخَضْرَمين والأمويّين، د. عزيزة فوّال بابْتِي، (لبنان- طرابلس: جروس برس، ١٩٩٨)
- مُعْجَم الشُّعَراء من العصر الجاهلي حتّى نِهاية العصر الأمويّ، د. عفيف عبد الرّحمن، (بيروت: دار المناهل للطّباعة والنّشر، ١٩٩٦)

- الْمُعجَم الْمُفصَّل في شواهد اللغة العربيـة، د. إميـل بديـع يعقـوب، (بـيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠)
- الْمَقاصد النّحويّة في شرح شواهد الألفيّة (المعروف بشـرح الشّـواهد الكُـبرى) - على هامش خِزانة الأدب، محمود بن أحمد العَيْنِيّ، (بيروت: د.م، ١٩٧٢)
- الْمُقْتَضَب، أبو العبّاس محمّد بن يزيد الْمُبرِّد، تحقيق عبد الخالق عُضَيمَة، (القاهرة: دار التّحرير للطّباعة والنّشر، ١٣٦٨هـ)
- الْمَنازل والدِّيار، مجد الدّين أسامة بن مُرْشِد بن عليّ بْن مُنقِـذ، (دِمشـق: المكتـب الإسلامي، ١٩٦٥)
- الْمَناسِك وأماكن طرق الحجّ ومعالِم الجزيرة، أبـو إسـحاق إبراهيـم بـن إسـحاق الحربيّ، تحقيق حَمَد الجاسر، (بيروت: مطبعة المتنبّي، ١٩٦٩)
- موسوعة شُعَراء صدر الإسلام والعصر الأمويّ، عبد عون الرّوضان، (عَمّـان: دار أسامة، ٢٠٠١)
- موسوعة شُعَراء العرب، د. يحيى شامي، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٩)
- نُزْهَة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، عبد الرّحمن بـن عبـد الله بـن أحمـد بـن درهم، (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٣٦)
- الوافي بالوَفَيات، صلاح الدّين خليل بن أيبَك الصَّفـديّ، تحقيـق أحمـد الأرنـاؤوط وتركي مصطَفى، (بيروت: دار إحياء التّراث العربي، ٢٠٠١)
- الْوَساطة بين المتنبّي وخُصومه، القـاضي علـيّ بـن عبـد العزيـز الجرجـانيّ، تحقيـق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجّاوي، (بيروت: المكتبة العصريّة، د.ت)
- وَفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان، تحقيق د. إحسان عبّاس، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١).